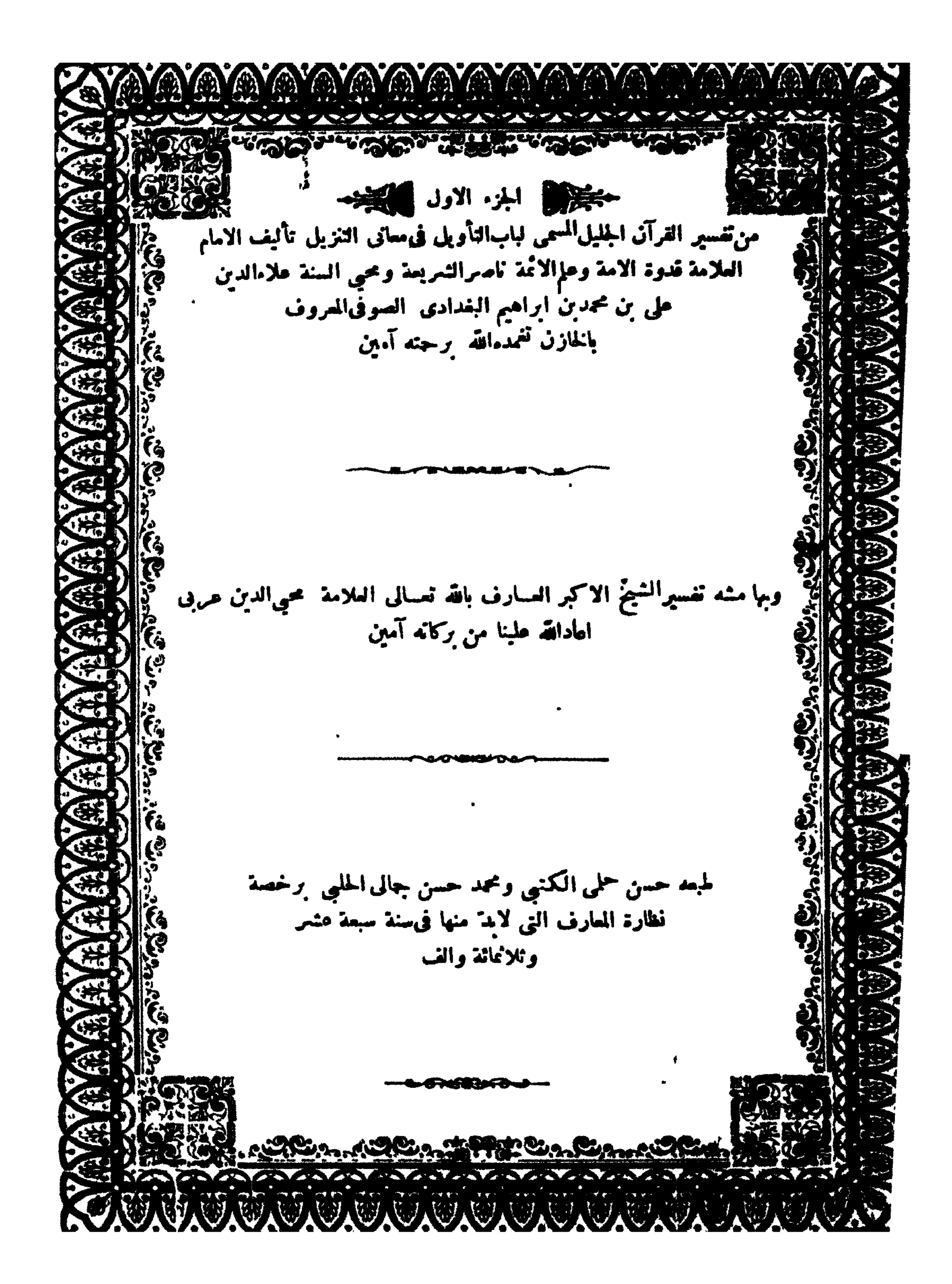


تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جمالى الحلبي برخصة نظارة المعارف التى لا بدّ منها فى سنة سبعة عشر وثلاثمائة والف

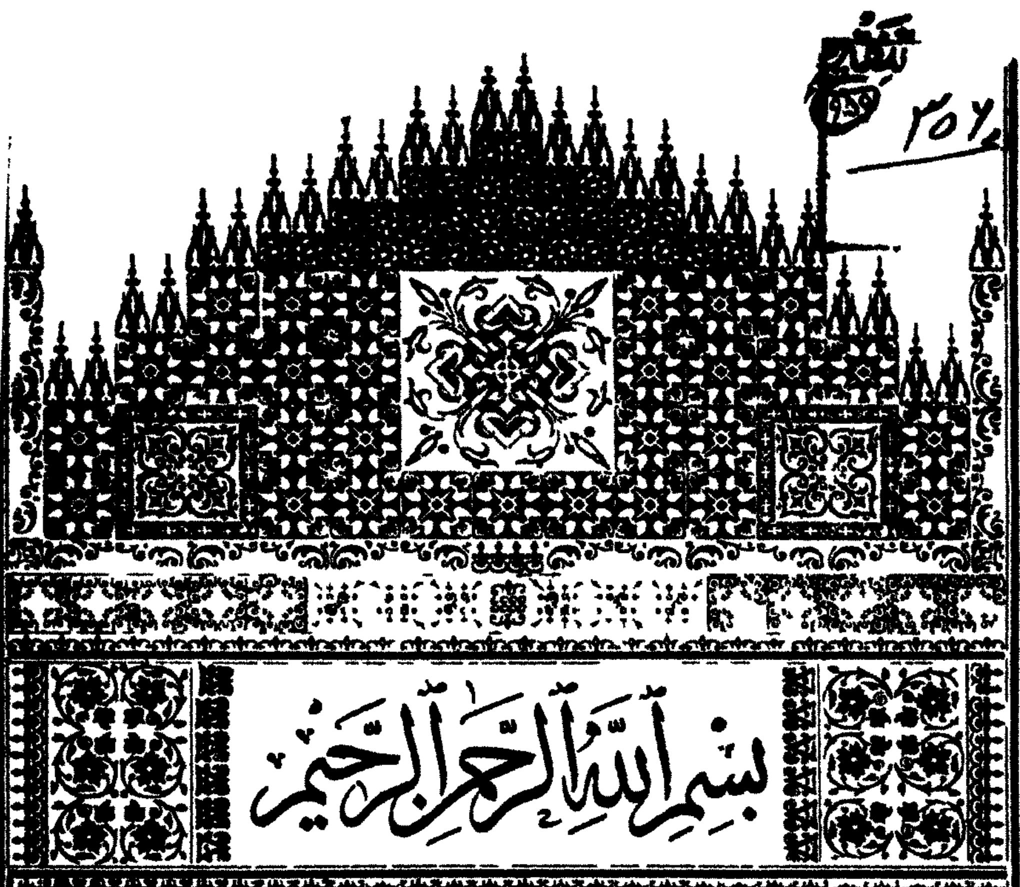


الجزء الاول

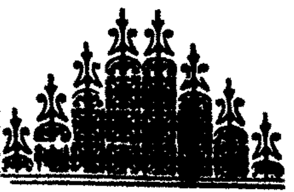
من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين
على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى
اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جمالى الحلبي برخصة
نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر
وثلاثمائة والف



الحمدلله الذى خلق الاشياء فقدرهاتقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشرفه بماعرفه به من العلم ونورقلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا * وأطلق لسانه ماذعن بشكره تحميداوتهليلا وتكبيرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وأنزل عليه كتابا منيرا * وأودعه حكمة وحكما ترغيبا وتحذيرا * وألهم حفاظه تلاوته وتحبيرا * وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا * وضرب فيه الامثال لنزيل جهالة وتحييرا * وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفى الصحف مسطورا * يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا (احمده) على تواتر انعامه حمدا كثيرا * واتوكل عليه مفوضا أمرى اليه ومستجيرا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فان الله جل ذكره * ونفذ أمره * أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للخلائقين أكمل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأتم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله فى الآفاق * وأنزل عليه نورا اهدى به من الضلالة * وأنقذ به من الجهالة * وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه * وبالخسران لمن اعرض عنه



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمدلله الذى جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته * ولوامع صفاته مطالع نور ذاته * صفى مشارع مسامع قلوب اصفيائه لصفق السماع * وروق موارد مشاعر فهوم أوليائه * لتيقن الاطلاق ولطف اسرارهم باشراق شعشعة المحبة فى أرجائها * وشوق أرواحهم الى شهود جمال وجهه بغنائها * ثم ألقى اليهم الكلام فاستروحوا

بعد ما اعجز الخلائق عن معارضته * حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله فى مقابلته * ثم سهل
على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته * ويسر على الالسن قراءته * امر فيه وزجر * وبشر وأنذر
وذكر المواعظ ليتذكر * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر * ودل فيه
على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون
العمل بمحكماته * ولا بتلاوته دون تدبر آياته فى قراءته * ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه
ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله
واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها
فرعا وفصلا * واكرمها نتاجا * وانورها سراجا * فلا شرف الا وهو السبيل اليه * ولا خير الا وهو
الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا فى سائر علومه
المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف
فشكر الله سعيهم * ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل * الذى صنفه الشيخ الجليل * والحبر
النبيل * الامام العالم الكامل * محيى السنة * قدوة الامة * وامام الائمة مفتى الفرق ناصر
الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل
المصنفات فى علم التفسير * واعلاها وانبلها واسناها * جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه
والتصحيف والتبديل * محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية * موشى بالقصص
الغريبة * واخبار الماضين العجيبة * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا
فى قالب الجمال بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه * وجعل الجنة متقلبه ومآبه
ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر
نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا
لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير
المصنفة فى سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد
التطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد * فما اوردت فيه من
الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية اوبيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه
من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت
عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابى عبد الله محمد بن
اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر اسم الصحابى الراوى للحديث (خ) وما كان من صحيح
ابى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق)
وما كان من كتب السنن كسنن ابى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه بغير العلامة
ومالم اجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد اخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوى
بسنده وما رواه البغوى باسناد الثعلبى وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة
فاعتمده فانى اجتهدت فى تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين
للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى ثم انى عوضت عن حذف الاسناد
شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة فى هذا الكتاب واسهل على الطلاب

اليه بكرة وعشيا * وقربهم
بذلك منه حتى خلصوا اليه
نجيا * فزكى بظاهره
نفوسهم فاذا هو ماء ثجاج *
وروى بباطنه قلوبهم فاذا
هو بحر مواج * فلما أرادوا
الغوص ليستخرجوا درر
أسراره * طفى الماء عليهم
فغرقوا فى تياره * لكن
أودية الفهوم سالت
من فيضه بقدرها * وجداول العقول فاضت
من رشحه بنهرها * فابرزت
الاوادى على السواحل
جواهر ثاقبة ودررا
وأنبتت الجداول على
الشواطئ زواهر ناضرة
وثمرا * فاخذت القلوب
عند مفيض مدها

وسقته بابلغ ماقدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لايخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لايخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت * (وسميته لباب التأويل * في معاني التنزيل) * والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ماقصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

* (الفصل الاوّل في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) * (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ألا أيها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن خطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على عليّ فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لاتزيغ به الاهواء ولاتلتبس به الالسنة ولاتشبع منه العلماء ولايخلق عن كثرة الرد ولاتنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لاتزيغ به الاهواء أي لايميل عن الحق * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ

واقفة على حدّها تملأ الجور والاردان عاجزة عن عدّها * وطفقت الغوص في اجتناء الثمار والانوار * شاكرة بوحدها قاضية بها الاوطار * وأمّا الاسرار فاذا قرع سمعها قوارع الآيات * تطلعت فاطلعت منها على طلائع الصفات * فصيرت في حسها اذر أنها لو طاشت * ودهشت عند تجلياتها وتلاشت * حتى اذا بلغ الروح منها التراقي طلع من ورائها جلال طلعة وجهه الباقي * وحكم الشهود عليها بنفي الوجود والزمها الاقرار * فسبحان من لا اله الا هو الواحد

من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون الله تعالى فيما يامر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجر ان يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولا تحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارىء القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول أولى ويدل

القهار * سبحان من تجلى في كلامه * بحلل صفات جلاله وجماله * على عباده في صورة بهاء ذاته وكماله * والصلاة على الشجرة المباركة التي أنطقها بهذا الكلام * وجعلها مورده ومصدره منها ولها واليها وعليها السلام * وعلى آله الذين هم مخزن علمه وكتابه العزيز وأصحابه الذين أصبح الدين بهم في حرز حريز (وبعد) فاني طالما تعهدت تلاوة القرآن * وتدبرت معانيه بقوة الايمان وكنت مع المواظبة على الاوراد * حرج الصدر قلق الفؤاد * لا ينشرح بها قلبي ولا ينصرف عنها

عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

* (الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده) * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار * عن جندب ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وماهو تابع لهواه وهذا لايخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بمايقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لماقبلها ومابعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ماقالوا سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر مافهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر مانقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لاحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي أنساه اياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أي

ربي حتى استأنست بها فألفتها * وذقت حلاوة كأسها وشربتها * فاذا أنا بها نشيط النفس * فلج الصدر * متسع البال * منبسط القلب * فسيح السرب طيب * الوقت والحال * مسرور الروح بذلك الفتوح * كأنه دائما في غبوق وصبوح * تنكشف لي تحت كل آية من المعاني * مايكل بوصفه لساني لاالقدرة تفي بضبطها واحصائها * ولاالقوة تصبر عن نشرها وافشائها * فتذكرت خبر من أتى ماازدهاني * مماوراء المقاصد والاماني * قول النبي الامي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق * مانزل من القرآن

تخلصا من العقال وهو الحبل الذي تربط به * عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود والاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتي فلم أرفيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسئلون به أخرجه الترمذي * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف) * (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الانصاري فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم من أنفسكم الى آخر براءة فألحقتها في سورتها قال فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (ح) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة

آية الا ولها ظهر وبطن * ولكل حرف حد ولكل حد مطلع * وفهمت منه ان الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل * والحد ما يتناهى اليه المفهوم من معنى الكلام * والمطلع ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام * وقد نقل عن الامام الحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لاتبصرون وروى عنه عليه السلام انه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية

قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة
أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبدالله
ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان
قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة
وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف
أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية
من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها
فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فألحقناها فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت
فقال زيد التابوه وقال عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال
اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الى
أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أى لاوان قتلهم وأراد به الوقعة التى كانت فى اليمامة فى زمن أبى بكر الصديق
وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على
مرحلتين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد أرض نجد (قوله استحر القتل)
أى كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله
فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهى ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين
المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة
(قوله يغازى أهل الشأم) أى مع أهل الشام (فى فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لاغير
سميت بارمين بن لنطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه (وأذربيجان) بفتح
الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف
والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله
حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبى خزيمة الانصارى) وفى الحديث الآخر فقدت
آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما
قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن
عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا ومابعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى وجدت
عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبدالبر وأما المذكور فى الحديث الثانى فهو أبو عمارة
خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين
شهد بدرا ومابعدها وقتل يوم صفين مع على بن أبى طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب
الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذى كتب بأمر
النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول

حتى سمعتها من المتكلم بها
(فرأيت) ان أعلق بعض
ما يسنح لى فى الاوقات * من
أسرار حقائق البطون
وأنوار شوارق المطلعات
دون ما يتعلق بالظواهر
والحدود فانه قد عين لها حد
محدود وقيل من فسر برأيه
فقد كفر * وأما التأويل
فلا يبقى ولا يذر فانه يختلف
بحسب أحوال المستمع
وأوقاته فى مراتب سلوكه
وتفاوت درجاته * وكلما
ترقى عن مقامه انفتح
له باب فهم جديد * واطلع به
على لطيف معنى عتيد
(فشرعت) فى تسويد

الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فقد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأبها • وتتبعه الرجال كان للاستظهار لالاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت فى الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبوزيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من ابوزيد قال أحد عمومتى أخرجاه فى الصحيحين اسم أبى زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن • فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لورفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أونقصوا منه شيئا والذى حملهم على جمعه ماجاء مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظه ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبى بكر فدعوه الى جمعه • فرأى فى ذلك رأيهم فأمر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم • فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أوأخروا شيئا أووضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ماينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا • فثبت ان سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لافى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن • وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين • ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها مانسخ وبقى فيها مابقى ولهذا أقام أبوبكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ماقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون • واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر رمضان ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما

هذه الاوراق • بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق • غير حائم بقعة التفسير • ولاخائض فى لجة من المطلعات مالا يسعه التقرير • مراعيا لنظم الكتاب وترتيبه غير معيد لما تكرر منه أوتشابه فى أساليبه • وكل مالايقبل التأويل عندى أولايحتاج اليه فما أوردته أصلا • ولا أزعم انى بلغت الحد فيما أوردته كلا •

عندالحاجة وحدوث مايحدث على ماشاءالله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف * فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول مانزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم نون والقلم ثم ياايها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبى لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم أرأيت الذى ثم قل ياأيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بنى اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد أفلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت * واختلفوا فى آخر مانزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب مانزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على مااستقرت عليه روايات الثقات وأما مانزل بالمدينة * فاحد وثلاثون سورة فاول مانزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب مانزل من القرآن بالمدينة * واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

* (فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وماقيل فى ذلك) * (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ماقرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ ياعمر فقرأت بقراءتى التى اقرأنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه (قوله فكدت أساوره فى الصلاة) أى أواثبه وأقاتله وهو فى الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء

فان وجوه الفهم لاتنحصر فيما فهمت * وعلم الله لايتقيد بما علمت * ومع ذلك فاوقف الفهم منى على ماذكر فيه * بل ربما لاح لى فيما كتب من الوجوه ماتهت فى مجاوبه * ومايمكن تأويله من الاحكام الظاهر منها ارادة ظاهرها لما أولته الاقليلا * ليعلم به ان للفهم اليه سبيلا *

قوله فاحد وثلثون فيه ان المعدود ثلثون لاغير ثم سيذكر ان شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهى واحد وثلثون (مصححه)

الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه فى عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة * وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ماتجوّزه العربية * واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده مايقتضى تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته فى القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها مالايعلمه عمر ولانه اذاقرأ وهو ملبب لايتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق

(قوله ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ماتيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل * واختلفوا فى المراد بسبعة أحرف. فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر. وقال الاكثرون هو حصر العدد فى سبعة احرف. ثم قيل هى فى سبع من المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهى .وقيل هى فى صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات فى هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه. وقال ابو عبيدة هى سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهى افصح لغات العرب واعلاها. وقيل هى لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن .وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهى متفرقة فى القرآن العزيز غير مجتمعة فى كلمة واحدة .وقيل بل هى مجتمعة فى بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس. وقيل هى سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت من النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة فى المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها مالم يثبت متواتراً. وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولامتباينة * فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام * وقول من قال ان المراد خواتيم الآى فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لايجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادنى فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف * معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عزوجل الزيادة فى الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عزوجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابيّ بن كعب رضى الله عنه قال كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله عزوجل فرقا فقال لى ياابيّ ارسل الى ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هوّن على امتى فرد الى الثانية ان اقرأه على حرفين

ويستدل بذلك على نظائرها * ان جاوز مجاوز من ظواهرها اذا لم يكن فى تأويلها بدّ من تعسف * وعنوان المروة ترك التكلف * وعسى أن يجده لغيرى وجوه أحسن منها طوع القياد * فان ذلك سهل لمن تيسر له من افراد العباد

فرددت اليه ان هوّن على امتى فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف فولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم ترغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية) معناه وسوس لى الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه فى الجاهلية لانه كان فى الجاهلية غافلاً ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب (وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان فى قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لايؤاخذ بها (قوله ضرب فى صدرى ففضت عرقا) قال القاضى عياض ضربه صلى الله عليه وسلم فى صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه مازال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقى الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه وروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع وقيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل فى معناه الظهر ما حدّث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خبر وفى الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما نزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فى القرآن العزيز من التأويل والمعانى مالا يفتحه على غيره وفوق كل ذى علم عليم والله اعلم

* (فصل فى معنى التفسير والتأويل) فاما التفسير فاصله فى اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعانى المعقولة فكل مايعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * واما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته فآل اى صرفته فانصرف وهو رد الشئ الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعانى والوجوه المستنبطة الموافقة لفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم * (القول فى الاستعاذة) * ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ * والشيطان اصله من شطن اى تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا * والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية * الرجيم فعيل بمعنى فاعل اى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى * (واما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق

* ولله تعالى فى كل كلمة كلمات ينفد البحر دون نفادها * فكيف السبيل الى حصرها وتعدادها * لكنها انموذج لاهل الذوق والوجدان * يحذون على حذوها عند تلاوة القرآن * فينكشف لهم مما استعدوا له من مكنونات علمه * ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خبيات غيبه * والله الهادى لاهل المجاهدة * الى سبيل المكاشفة والمشاهدة * ولاهل الشوق * الى مشارب الذوق * انه ولى التحقيق * وبيده التوفيق

الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضا وحكى عن عطاء وجوبها سواء كان فى الصلاة أو غيرها * وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب * دليل الوجوب بظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة (وأجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوذ مثلها

(المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو ولا أدرى أى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة · اخرجه ابو داود · وقيل الموتة الجنون لان من حق مقدمات عقله · وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يأتيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * واجيب عنه بما تقدم * وقال مالك لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان بعد القراءة * لما تقدم من الادلة

(المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابى سعيد * وقال الثورى والاوزاعى الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم * وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب من كل شئ يشغله عن الله تعالى * ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارى عز وجل وانه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين * ففى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان القوى الفاجر · وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

* (تفسير سورة الفاتحة) *

سورة الفاتحة

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا · واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين

مرة بمكة ومرة بالمدينة . وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها * ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثانى) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شئ اصله وقيل هى امام لمايتلوها من السور (الرابع) السبع المثانى سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة ويقرأ بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم. وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لاتقسم فى القراءة فى الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولايكفى عنها غيرها

* (فصل فى ذكر فضلها) * (خ) عن ابى سعيد بن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يارسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لى لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدى فلما اراد ان يخرج قلت له يارسول الله الم تقل لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته ورواه مالك فى الموطأ عنه . وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه . وفيه حتى تعلم سورة ماانزل فى التوراة ولافى الانجيل ولافى الزبور مثلها ورواه الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطأ . وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماانزل الله فى التوراة ولافى الانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل. اخرجه الترمذى والنسائى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثانى اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج هى خداج هى خداج غير تمام . قال فقلت ياابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعى وقال اقرأ بها فى نفسك يافارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل (قوله فهى خداج)

اى ناقصة (قوله فغمز ذراعى) اى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) اراد بالصلاة
هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين)
حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من
جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد . وقوله
واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل (قوله حمدنى
عبدى ومجدنى) اى اثنى علىّ لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال
وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوّض الىّ عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله
مالك يوم الدين يقال فلان فوّض امره الى فلان اذا ردّه اليه وعوّل فيه عليه وفى الحديث
دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة . وستأتى هذه المسئلة
ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به
مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ باسم الله او باسم الله ابدأ او اقرأ * وانما طولت الباء
فى بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة . وقيل لما اسقطوا الالف ردّوا طولها على الباء ليدلّ طولها
على الالف المحذوفة واثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله . وقيل انما
طوّلوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم . وقيل الباء حرف منخفض الصورة
فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى . وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتّابه طوّلوا الباء
من بسم الله واظهروا السين ودوّروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل * (والاسم هو المسمى عينه
وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك
وتبارك اسم ربك * وهذا القول ليس بقوىّ والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم
ما تعرف به ذات الشئ . وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات
ذلك الشئ المسمى به . فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى . وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد
كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة
وذلك يوجب المغايرة . وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء
والمدعوّ هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعوّ وبين اللفظ المدعوّ به * واجيب عن قوله
تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم * واجيب
عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله
تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال * وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك
يجب تنزيه اسمائه * وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر * (واختلفوا فى اشتقاق الاسم . فقال
البصريون من السموّ وهو العلوّ فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه
وصار علما له . وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكأنه علامة لمسماه * وجه البصريين لو كان
الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام واجمعوا على ان تصغيره سمىّ وجمعه
أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرّد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق

بسم الله الرحمن الرحيم
اسم الشئ ما يعرف
به فأسماء الله تعالى هى
الصور النوعية التى تدل
بخصائصها وهوياتها
على صفات الله وذاته
وبوجودها على وجهه
وبتعينها على وحدته اذ هى
ظواهره التى بها يعرف
والله اسم للذات الالهية
من حيث هى هى على
الاطلاق لا باعتبار اتصافها
بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها

ولايشركه فيه احد • وهو الصحيح المختار • دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لايقال لغيره الله
• وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة • دليله ويذرك والاهتك اى وعبادتك
ومعناه المستحق للعبادة دون غيره • وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه اى يفزعون
اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى • فالفيتكم فيها كرائم محتد

• وقيل اصله أله يقال ألهت الى فلان اى سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره
• وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير او بالارادة
• ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء • يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده • ومن خصائص
هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيئا بقى الباقى يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت
اللام واثبت الالف بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو
عوض من الضمة • وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقى
الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من
الآخر • قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد • وقيل ذكر
احدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه • وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى
الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم
بمعنى الغفور الكافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة
• ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله • وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير
والاحسان الى من لا يستحق • فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل • وقيل الرحمن
بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب • وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق
• (فصل فى حكم البسملة) • وفيه مسئلتان (الاولى) فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من
السور سوى سورة براءة • اختلف العلماء فى ذلك • فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى انها آية من
الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابى
هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى
هذا القول عن على بن ابى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب • وذهب الاوزاعى ومالك
وابو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة • زاد ابوداود ولا من غيرها من السور وانما
هى بعض آية فى سورة النمل • وانما كتبت للفصل والتبرك • قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة
المفروضة • وللشافعى قول انها ليست من اوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة • فأما حجة من
منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج فى الصحيحين وحديث
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين
• قالوا ولان اول مانزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى اولها فدل على
انها ليست منها • قالوا ولان محل القرآن لايثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا
على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص
اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا • واما حجة من ذهب الى اثباتها فى اوائل السور

و (الرحمن) هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ماتقتضى الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية و(الرحيم) هو المفيض للكمال المعنوى المخصوص بالنوع الانسانى بحسب النهاية ولهذا قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فمعناه بالصورة الانسانية الكاملة الجامعة الرحمة العامة والخاصة التى هى مظهر الذات الالهى والحق الاعظمى مع جميع الصفات أبدأو أقرأه وهى الاسم الاعظم • والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اوتيت جوامع الكلم وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق اذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها كما سمى عيسى عليه السلام كلمة من الله • ومكارم الاخلاق كمالاتها وخواصها التى هى مصادر افعالها جميعها محصورة فى الكون الجامع الانسانى

من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم • اخرجه ابن خزيمة وغيره • وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابوداود والحاكم ابوعبدالله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين • وروى الدار قطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدر قطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا • وروى الدار قطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم • واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ غفا غفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث * قال البيهقي احسن مااحتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة • وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لايدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ • وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن • وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم • فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه • وايضا فأجمع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

* (المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) * اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية • وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبوهريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبوقلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم

وههنا لطيفة وهي ان الانبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بازاء مراتب الموجودات وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وامير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة مايشير الى ذلك ولهذا قيل ظهرت الموجودات من باء بسم الله اذهي الحرف الذي يلي الالف الموضوعة بازاء ذات الله فهي اشارة الى العقل الاول الذي هو اول ماخلق الله المخاطب بقوله تعالى ماخلقت خلقا أحب الي ولا أكرم علي منك • بك اعطي • وبك آخذ • وبك اثيب • وبك اعاقب الحديث * والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر والمكتوبة تسعة عشر واذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف الى اثنين وعشرين فالثمانية عشر اشارة الى العوالم المعبر عنها بثمانية عشر الف عالم اذ الالف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب الاعداد فهو ام المراتب الذي لاعدد فوقه فعبر بها عن امهات العوالم التي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت والعرش والكرسي

ومكحول وعمر بن عبدالعزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد. واليه ذهب الشافعى. وهو احد
قولى ابن وهب صاحب مالك. ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابى ثور* وممن ذهب الى الاسرار بها
من الصحابة ابوبكر وعمر وعثمان وعلىّ وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم
ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبى وابراهيم النخعى وقتادة والاعمش والثورى . واليه
ذهب مالك وابوحنيفة واحمد وغيرهم* اماحجة من قال بالجهر فقدروى جماعة من الصحابة منهم
ابوهريرة وابن عباس وانس وعلىّ بن ابى طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبى صلى الله
عليه وسلم جهر بالبسملة * فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد فى صريح
الاسرار بها عن النبى صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهى رواية عبدالله بن
مغفل والاخرى عن انس وهى فى الصحيح وهى معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها. وروى
نعيم بن عبدالله المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن
وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخرجه
النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقدثبت وصح عن النبى
صلى الله عليه وسلم * وروى الدار قطنى بسنده عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرأ وهو يؤمّ الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث* قال الدار قطنى اسناده
كلهم ثقات* وعن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم* اخرجه
الدارقطنى وقال ليس فى روايته مجروح * واخرجه الحاكم ابوعبدالله وقال اسناده صحيح وليس له
علة وفى رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم * اخرجه الدار قطنى وقال صحيح ليس فى اسناده مجروح* واخرجه
الترمذى وقال ليس اسناده بذاك* قال الشيخ ابوشامة اى لايماثل اسناده مافى الصحيح ولكن اذا
انضم الى ماتقدم من الادلة رجح على مافى الصحيح * وعن انس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدار قطنى وقال اسناده صحيح وفيه
عن محمد بن ابى السرى العسقلانى قال صليت خلف المعتمر بن سليمان مالاأحصى صلاة الصبح
والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول
ماآلوا ان اقتدى بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ماآلوا ان اقتدى بصلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه الدار قطنى وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبدالله وقال رواة
هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات* قلت وفى الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من
الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عزوجل (الحمد لله) لفظه
خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اى قولوا الحمد لله
وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه* والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قديكون
قبل الاحسان وبعده والحمد لايكون الابعد الاحسان وقيل ان المدح قديكون منهيا عنه
واما الحمد فمأمور به *. والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال
تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه . والشكر لايكون الاعلى النعمة فالحمد اعم من الشكر
اذلاتقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا. وقيل الحمد باللسان

والسموات السبع والعناصر
الاربعة والمواليد الثلاثة
التى ينفصل كلّ واحد منها
الى جزئياته والتسعة
عشر اشارة الى الجامع العالم
الانسانىّ فانه وان كان
داخلا فى عالم الحيوان الا
انه باعتبار شرفه وجامعيته
للكل وحصره للوجود
عالم آخر له شأن وجنس
برأسه له برهان كجبريل
من بين الملائكة فى قوله
تعالى وملائكته وجبريل
والالفات الثلاثة المحتجبة
التى هى تتمة الاثنين
والعشرين عند الانفصال
اشارة الى العالم الآلهىّ الحق
باعتبار الذات والصفات
والافعال فهى ثلاثة عوالم
عند التحقيق والثلاثة
المكتوبة اشارة الى ظهور
تلك العوالم على المظهر
الاعظمىّ الانسانىّ
واحتجاب العالم الالهى حين
سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الف الباء من
اين ذهبت قال سرقها
الشيطان وامر بتطويل
باء بسم الله تعويضا عن الفها
اشارة الى احتجاب الوهية
الآلهية فى صورة الرحمة
الانتشارية وظهورها
فى الصورة الانسانية بحيث
لايعرفها الااهلها ولهذا

قولاً والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم* واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (ربّ العالمين) الربّ بمعنى المالك كما يقال ربّ الدار وربّ الشيء اى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال ربّ فلان الضيعة يربّها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الربّ للمخلوق معرفا بل يقال ربّ الشيء مضافا (والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه. وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب. وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل * واختلف في مبلغ عددهم. فقيل لله الف عالم ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر. وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر. وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء. الفسطاط الخيمة (واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى* (الرحمن الرحيم) * فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم (فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وانت غيث الورى لا زلت رحمانا * قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا (فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية (قلت لعل ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه * قوله تعالى* (مالك يوم الدين) * يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء * والمالك هو المتصرف بالامر والنهي. وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى. وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون ملكا لشيء الا وهو يملكه وقد يكون مالكا لشيء ولا يملكه. وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا. وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين. قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب. وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان. وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين. وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اى قهرته فذل (فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها (قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى* (اياك نعبد) * رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من اوّل السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء اولى (وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد (والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحّدك ونطيعك خاضعين لك (والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل. وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده (وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة

نكرت في الوضع وقد ورد في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته فالذات محجوبة بالصفات والصفات بالافعال والافعال بالاكوان والآثار فمن تجلت عليه الافعال بارتفاع حجب الاكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال رضى وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فنى في الوحدة فصار موحدا مطلقا فاعلا ما فعل وقارئا ما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فتوحيد الافعال مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات والى الثلاثة اشار صلوات الله عليه في سجوده بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الاشياء اذ هي اثنية فائحة بمدح رائحة لموليها بما يستحقه فالموجودات كلها بخصوصياتها وخواصها

غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولاتستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) * اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا (فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة عن العبادة وما الحكمة فيه (قلت ذكروا فيه وجوها(أحدها انهذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمدالله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلافرق بين التقديم والتأخير(الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ماهو من تفاصيلها ثانيا(الثالث كأن العبد يقول شرعت فى العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع (الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة *(اهدنا الصراط المستقيم)* اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ماانت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لاتتناهى وهذا مذهب اهل السنة (والصراط الطريق قال جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

اى على طريقة حسنة (قال ابن عباس هو دين الاسلام (وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا (وقيل السنة والجماعة(وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة *(صراط الذين انعمت عليهم)* هذا بدل من الاول اى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا (وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته *(غير المغضوب عليهم)* يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم (والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لايلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين *(ولا الضالين)* اى وغير الضالين عن الهدى. واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك. وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود. والضالين هم النصارى* عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال (اخرجه الترمذى (وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولاتتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل (وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

* (فصل فى آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) * * (الاولى) * السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف * وفيه لغتان المد والقصر قال فى المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال فى القصر * امين فزاد الله مابيننا بعدا *

وتوجيهها الى غاياتها واخراجها لانها من حيز القوة الى الفعل مسبحة حامدة كما قال تعالى وان من شئ الايسبح بحمده فتسبيحها اياه تنزيهه عن الشريك وصفات النقص والعجز باستنادها اليه وحده ودلالتها على وحدانيته وقدرته وتحميدها اظهار كمالاتها المترتبة ومظهريتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية وخص بذاته بحسب مبدئيته للكل وحافظيته ومدبريته له التى هى معنى الربوبية للعالمين اى لكل ماهو علم لله يعلم به كالخاتم لمايختم به والقالب لمايقلب فيه وجمع جمع السلامة لاشتماله على معنى العلم اوللتغليب وبازاء الافاضة الخير العام والخاص أى النعمة الظاهرة كالصحة والرزق والباطنة كالمعرفة والعلم وباعتبار منتهائيته التى هى معنى مالكية الاشياء فى يوم الدين اذلايجرى فى الحقيقة الا المعبود الذى ينتهى اليه الملك وقت الجزاء بأثابة النعمة الباقية عن الفانية عند التجرد عنها بالزهد وتجليات الافعال عند انسلاخ العبد عن افعاله وتعويض صفاته عند المحو

ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب (وقال ابن عباس معناه كذلك يكون (وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى (وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآفات (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امّن الامام فامّنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه) قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فامّن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص. والقول الاول هو الصحيح (واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ماتقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

(المسئلة الثانية في حكم الفاتحة) * اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولاتجزئ الابها .واحتجوا بماروى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب. اخرجاه في الصحيحين. وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة (وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لاتتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة او ثلاث آيات قصار .واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه* وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسئ صلاته ثم اقرأ بماتيسر معك من القرآن. اخرجاه في الصحيحين (دليل الجمهور ماتقدم من الاحاديث (فان قيل المراد من الحديث لاصلاة كاملة (قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث (ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب. اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح* وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادي لاصلاة الا بفاتحة الكتاب فمازاد. اخرجه ابو داود (واجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على مازاد على الفاتحة او على العاجز عن قراءة الفاتحة والله اعلم

* (تفسير سورة البقرة) *

قال ابن عباس هي اول مانزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع* وهي مائتان وست .وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة * وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

* (فصل في فضلها) * (م) عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيابتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر

عن صفاته وابقائه بذاته وهبته له الوجود الحقاني عند فنائه فله تعالى مطلق الحمد وماهيته ازلا وابدا على حسب استحقه قه اياه بذاته باعتبار البداية والنهاية ومابينهما في مقام الجمع على السنة التفاصيل فهو الحامد والمحمود تفصيلا وجمعا والعابد والمعبود مبدا ومنتهى * ولما تجلى في كلامه لعباده بصفاته شاهدوه بعظمته وبهائه وكمال قدرته وجلاله فخاطبوه قولا وفعلا بتخصيص العبادة به وطلب المعونة منه اذ ماراوا موجودا غيره ولاحول ولاقوة لاحد الابه فلوحضروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له وبه فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه (اهدنا الصراط المستقيم) اي ثبتنا على الهداية ومكنا بالاستقامة في طريق الوحدة التي هي طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التي هي المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبيين والشهداء والصديقين والاولياء الذين شاهدوه

(قوله كانهما غمامتان اوغيايتان) قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شئ اظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتى كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهى التى تصف اجنحتها عند الطيران (تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة (والبطلة السحرة كما جاء فى الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل * وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقى السور وانه لا كراهة فى ذلك * وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور * والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرؤ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى . اخرجه الترمذى وقال حديث غريب *(بسم الله الرحمن الرحيم)* قوله عز وجل *(الم)* قيل ان حروف الهجاء فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر الله فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى * وفائدة ذكرها طلب الايمان بها . قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن اوائل السور . وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى (واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون (واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمى الجمار فانه مما يعقل معناه * والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة * فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها (وقال آخرون من اهل العلم هى معرفة المعانى * ثم اختلفوا فيها (فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد (وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه * ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفى فقالت قاف * لا تحسبى انا نسينا الايجاف

قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها (والايجاف الاسراع فى السير * قال ابن عباس الم انا الله اعلم * وقيل هى اسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا * وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى اقسام فقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا * وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ * وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفى آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر * وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين

اولا وآخرا وظاهرا وباطنا فنـا بوافى شهودهم طلعة وجهه البـاقى عن وجود الظل الفانى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) الذين وقفوا مع الظواهر واحتجبوا بالنعمة الرحانية والنعيم الجسمانى والذوق الحسى عن الحقائق الروحانية والنعيم القلبى والذوق العقلى كاليهـود اذ كانت دعوتهم الى الظواهر والجنان والحور والقصور فغضب عليهم لان الغضب يستلزم الطرد والبعـد والوقوف مع الظواهر التى هى الحجب الظلمانية غاية البعد (ولا الضـالين) الذين وقفوا مع البواطن التى هى الحجب النورانية واحتجبوا بالنعمـة الرحيمـة عن الرحمانية وغفلوا عن ظاهريه الحق وضـلوا عن سواء السبيل فحرموا شهود جمال المحبوب فى الكل كالنصارى اذ كانت دعوتهم الى البواطن وانوار عالم القدس ودعوة المحمديين الموحدين الى الكل والجمع بين محبة جمال الذات وحسن الصفات كما ورد سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة اتقوا الله وآمنوا

اسمعوا الى ماجيء به محمد فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم
* وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لاسبيل لاحد الى معرفة خطابه
الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة فى اوائل السور اربعة
عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء
والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقيها
فى مواضعها ان شاء تعالى * وقوله تعالى *(ذلك الكتاب)* اى هذا الكتاب هو القرآن * وقيل فيه
اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه
كتابا لايمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به * وقيل
ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب اى هذا
الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى هو من ولد اسمعيل (والكتاب
مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا
لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن *(لاريب فيه)* اى لاشك
فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق * وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه (فان قلت
قد ارتاب فيه قوم فما معنى لاريب فيه (قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر
عرف حقيقة ذلك *(هدى للمتقين)* الهدى عبارة عن الدلالة (وقيل دلالة بلطف (وقيل الهداية
الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين (وقيل هو هاد لاريب فى هدايته *(والمتقى اسم فاعل من وقاه
فاتقى(والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف (وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم
وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش
(وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين
مايقصده (وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا
اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل
امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار (وقيل المتقى هو من لايرى نفسه خيرا
من احد (وقيل التقوى ترك ماحرم الله واداء ما افترض (وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية
وترك الاغترار بالطاعة(وقيل التقوى ان لايراك مولاك حيث نهاك (وقيل التقوى الاقتداء بالنبى
صلى الله عليه وسلم واصحابه * وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية (وقيل المتقى هو الذى يترك مالابأس به حذرا مما به بأس *(وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم
لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله
تعالى هدى للمتقين لكفاهم (فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون (قلت هو
كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ماهو ثابت فيه كقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم *(الذين يؤمنون بالغيب)* اى يصدقون بالغيب(واصل الايمان فى اللغة
التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق * فاذا فسر الايمان بهذا فانه لايزيد ولاينقص
لان التصديق لايتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى (والايمان فى لسان الشرع عبارة

برسوله يؤتكم كفلين من
رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به اعبدوا الله
ولاتشركوا به شيأ فاجابوا
الدعوات الثلاث كما جاء
فى حقهم يرجون رحمته
ويخافون عذابه يقولون ربنا
أتمم لنا نورنا قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فأثيبوا بالجمع
على ما أخبر الله تعالى
جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن لهم أجرهم ونورهم
أينما تولوا فثم وجه الله للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم ذلك الكتاب) اشار
بهذه الحروف الثلاثة الى
كل الوجود من حيث هو
كل لان (ا) اشارة الى
ذات الذى هو أول الوجود
على مامر و (ل) الى العقل
الفعال المسمى جبريل وهو
أوسط الوجود الذى
يستفيض من المبدا ويفيض
الى المنتهى و (م) الى محمد
الذى هو آخر الوجود تتم به
دائرته وتتصل بأولها ولهذا
ختم وقال ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وعن
بعض السلف ان (ل)
ركبت من الفين اى وضعت
بازاء الذات مع صفة العلم
اللذين هما عالمان من العوالم
الثلاثة الالهية التى أشرنا

عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان * واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم * وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف . والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . فنفى عنه اسم الايمان اوكمال الايمان(وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا (وقال المحققون من متكلمى اهل السنه ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها . وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الادلة والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة (وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه (والدليل على ان الاعمال من الايمان ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه فى الصحيحين(البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشئ (واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه (والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح (وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيى ينزجر باستحيائه عن المعاصى فصار من الايمان (وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله (والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق (وذلك ان الرجل قد يكون مسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن (ق) عن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يارسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من اشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذ واليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقى اشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله

بها فهو اسم من أسماء الله مالى اذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما واما (م) فهى اشارة الى الذات مع جميع الصفات والافعال التى احتجبت بها فى الصورة المحمدية التى هى اسم الله الاعظم بحيث لا يعرفها الا من يعرفها ألا تدرى ان (م) التى هى صورة الذات كيف احتجب فيها فان الميم فيها الياء وفى الياء ألف والسر فى وضع حروف التهجى هو ان لا حرف الا وفيه ألف ويقرب من هذا قول من قال معناه القسم بالله العليم الحكيم اذ جبريل مظهر العلم فهو اسمه العليم ومحمد مظهر الحكمة فهو اسمه الحكيم ومن هذا ظهر معنى قول من قال تحت كل اسم من أسمائه تعالى أسماء بغير نهاية والعلم لا يتم ولا يكمل الا اذا قرن بالفعل فى عالم الحكمة الذى هو عالم الاسباب والمسببات فصير حكمة ومن ثم لا يحصل الاسلام بمجرد قول لا اله الا الله الى اذا قرن بمحمد رسول الله فمعنى الآية الم ذلك الكتاب الموعود أى صورة الكل الموحى اليها بكتاب الجفر والجامعة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزاً اى ظاهراً . وقوله ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر . هو بكسر الخاء . وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت . والبعث هو بعده عند قيام الساعة . وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر (قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا (وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك (واشراط الساعة علاماتها التى تظهر قبلها (قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها (ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهى الصغار من اولاد الضان (والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم *(قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون * قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان * وقيل الغيب هنا هو الله تعالى * وقيل القرآن * وقيل بالآخرة * وقيل بالوحى * وقيل بالقدر * وقال عبدالرحمن بن يزيد كنا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبدالله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون *(ويقيمون الصلاة)* اى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه * والمراد به الصلوات الخمس * والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم . وأصله من صليت العود اذا لينته فكان المصلى يلين ويخشع * وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية *(ومما رزقناهم)* أى أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب *(ينفقون)* أى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها * وأدخل من التى هى للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق *(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك)* أى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله *(وبالآخرة)* يعنى وبالدار الآخرة * سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها *(هم يوقنون)* من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة *(أولئك)* اى الذين هذه صفتهم *(على هدى من ربهم)* أى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة *(وأولئك هم المفلحون)* اى الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والفلاح الظافر بالمطلوب اى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه

المشتملة على كل شئ الموعود بأنه يكون مع المهدى فى آخر الزمان لايقرأه كما هو بالحقيقة الا هو والجفر لوح القضاء الذى هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذى هو نفس الكل فمعنى كتاب الجفر والجامعة المحتويان على كل ما كان ويكون كقولك سورة البقرة وسورة النمل (لاريب فيه) عند التحقيق بأنه الحق وعلى تقدير القول معناه بالحق الذى هو الكل من حيث هو كل لانه مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الانبياء وفى كتبهم بأنه سيأتى كما قال عيسى عليه السلام نحن نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فسيأتى به المهدى فى آخر الزمان وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه كما حذف فى غير موضع من القرآن مثل والشمس والنازعات وغير ذلك اى انا منزلون لذلك الكتاب الموعود فى التوراة والانجيل بان يكون مع محمد حذف لدلالة قوله ذلك الكتاب عليه اى ذلك الكتاب المعلوم فى العلم السابق الموعود فى التوراة والانجيل حق بحيث لا مجال للريب فيه (هدى للمتقين) اى هدى

ويكون الفلاح بمعنى البقاء * قال الشاعر * لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح * يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى * وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع * فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين * فاما التي في الكفار فقوله تعالى * (ان الذين كفروا) * أي جحدوا وأنكروا * واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته * قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها (والكفر على أربعة أضرب · كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله · اعلمت لكم من آله غيري · وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقرّ بلسانه ككفر ابليس · وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

· وكفر نفاق وهو أن يقرّ بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه * فجميع هذه الانواع كفر * وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له * نزلت في مشركي العرب * وقيل في اليهود * (سواء عليهم) * أي متساو لديهم * (أأنذرتهم) * أي خوّفتهم وحذّرتهم * والانذار اعلام مع تخويف * فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا * (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) * أي لا يصدّقون (وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون * ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى * (ختم الله على قلوبهم) * أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه * وأصل الختم التغطية * وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب * قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم * وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم * (وعلى سمعهم) * أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا * وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع * قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع * (وعلى أبصارهم غشاوة) * هذا ابتداء كلام (والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج (أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده * (ولهم عذاب عظيم) * يعني في الآخرة (وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى (وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه · وقيل هو الايجاع الشديد · وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش (والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل * (ومن الناس من يقول آمنا بالله) * نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب ابن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وأصحابه وأسرّوا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود * وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقرّ به

في نفسه الذين يتقون الرذائل والحجب المانعة لقبول الحق فيه (واعلم ان الناس بحسب العاقبة سبعة اصناف لانهم اما سعداء واما اشقياء قال الله تعالى فمنهم شقيّ وسعيد والاشقياء اصحاب الشمال والسعداء اما اصحاب اليمين واما السابقون المقرّبون قال الله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة الآية واصحاب الشمال اما المطرودون الذين حق عليهم القول وهم اهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم ازلا كما قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجنّ والانس الى آخر الآية وفي الحديث الرباني هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي واما المنافقون الذين كانوا مستعدّين في الاصل قابلين للتنوّر بحسب الفطرة والنشأة ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي ومباشرة الاعمال البهيمية والسبعية ومزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيآت الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم وارتكمت على افئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين قد حبطت اعمالهم وانتكست

وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها(والناس جمع انسان سمى به لانه عهد اليه فنسى
(قال الشاعر* وسميت انسانا لانك ناسى * وقيل سمى انسانا لانه يستأنس بمثله *(وباليوم الآخر)*
أى وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة *سمى بذلك لانه يأتى بعد الدنيا وهو آخر الايام المعدودة
المعدودة وما بعده فلا حدله* ولا آخر (قال الله تعالى ردا على المنافقين *(وماهم بمؤمنين)* نفى عنهم
الايمان بالكلية*(يخادعون الله والذين آمنوا)* أى يخالفون الله (والخديعة الحيلة والمكر . وأصله
فى اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أى يظهر لهم
نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف مايغيب عنهم من عذاب الآخرة(فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجئ
فى الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة(قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول
عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن
ان يكون منه خداع(فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة
فكيف يقال يخادعون الله (قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم
وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه(وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله
تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم* ولتجرى عليهم أحكام
الاسلام فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن *(وما يخدعون الا أنفسهم)* أى ان الله تعالى
يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون فى الحقيقة الا خادعين أنفسهم(وقيل ان وبال ذلك
الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا
ويستوجبون العقاب فى العقبى(والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن
(ومايشعرون) أى لايعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم *(فى قلوبهم مرض)* أى شك
ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان(وسمى الشك فى الدين
والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن *(فزادهم الله مرضا)* يعنى ان الآيات
كانت تنزل تترى أى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا *(ولهم
عذاب اليم)* أى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم *(بما كانوا يكذبون)* أى بتكذيبهم الله ورسوله
فى السر . وقرئ بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين *(واذا قيل لهم)* يعنى المنافقين
. وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون *(لاتفسدوا فى الارض)* أى بالكفر وتعويق الناس
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن *(قالوا انما نحن مصلحون)* يعنى يقولونه كذبا
(الا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب *(انهم هم المفسدون)* يعنى فى الارض بالكفر وهو أشد الفساد
(ولكن لايشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ماهم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح
وهو عين الفساد . وقيل لايشعرون ما أعد الله لهم من العذاب *(واذا قيل لهم)* يعنى المنافقين وقيل
اليهود *(آمنوا كما آمن الناس)* يعنى المهاجرين والانصار وقيل عبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمنى
أهل الكتاب(والمعنى أخلصوا فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون
الايمان*(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)* أى الجهال (فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم
أنؤمن كما آمن السفهاء(قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله *(الا انهم هم السفهاء)* يعنى الجهال

رؤسهم فهم اشد عذابا
واسوأ حالا من الفريق
الاول لمنافاة مسكة استعدادهم
لحالهم والفريقان هم اهل
الدنيا واصحاب اليمين اما
اهل الفضل والثواب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
للجنة راجين لها راضين بها
فوجدوا ماعملوا حاضرا
على تفاوت درجاتهم ولكل
درجات مما عملوا ومنهم اهل
الرحمة الباقون على سلامة
نفوسهم وصفاء قلوبهم
المتبوؤن درجات الجنة
على حسب استعداداتهم
من فضل ربهم لا على حسب
كمالاتهم من ميراث عملهم
واما اهل العفو الذين خلطوا
عملا صالحا وآخر سيأ وهم
قسمان المعفو عنهم رأسا
لقوة اعتقادهم وعدم
رسوخ سيأتهم لقلة
مزاولتهم اياها او لمكان توبتهم
منها فاؤلئك يبدل الله
سيأتهم حسنات والمعذبون
حينا بحسب ما رسخ فيهم
من المعاصى حتى خلصوا
من درن ما كسبوا فنجوا
وهم أهل العدل والعقاب
والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيأت ماكسبوا
لكن الرحمة تتداركهم
و تلافيهم اهل الآخرة
والسابقون اما محبون

(وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم (وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء *(ولكن لا يعلمون)* يعني انهم كذلك * قوله تعالى *(واذا لقوا الذين آمنوا)* يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار *(قالوا آمنا)* كايمانكم *(واذا خلوا)* أي رجعوا. وقيل هو من الخلوة *(الى)* قيل بمعنى الباء أي ب *(شياطينهم)* وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم (قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السواد بالشام (ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له (وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم *(قالوا انا معكم)* أي على دينكم *(انما نحن مستهزؤن)* أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم (قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبيّ لاصحابه انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن اني لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا *(الله يستهزئ بهم)* أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته (قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار *(ويمدهم)* أي يتركهم ويمهلهم (والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير *(في طغيانهم)* أي في ضلالهم * وأصل الطغيان مجاوزة الحد *(يعمهون)* أي يترددون في الضلالة متحيرين *(اولئك)* يعني المنافقين *(الذين اشتروا الضلالة بالهدى)* أي استبدلوا الكفر بالايمان (وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر (فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها (والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء *(فما ربحت تجارتهم)* اى ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال * واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون *(وما كانوا مهتدين)* اى مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى. وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم *قوله عزوجل *(مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً)* المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة (ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشئ في نفسه

واما محبوبون فالمحبوبون هم الذين جاهدوا وافي الله حق جهاده وانابوا اليه حق انابته فهداهم سبله والمحبوبون هم اهل العناية الازلية الذين اجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم والصنفان هما اهل الله (فالقرآن ليس هدى للفريق الاول من الاشقياء لامتناع قبولهم الهداية لعدم استعدادهم ولا للثاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم فهم اهل الخلود في النار الاماشاء الله فبقي هدى للخمسة الاخيرة الذين يشملهم المتقون والمحبوب يحتاج الى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله لقوله تعالى لحبيبه كذلك لنثبت به فؤادك وقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك والمحب يحتاج اليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه الى الله وفي الله فعلى هذا المتقون في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الاصلية واجتنبوا رين الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم

(ولان)

ولان المثل تشبيه الشئ الخفى بالجلى فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية فى الايضاح * وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذى استوقد نارا لينتفع بها *(فلما اضاءت)* يعنى النار *(ما حوله)* يعنى حول المستوقد *(ذهب الله بنورهم)* (فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا (قلت يجوز وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا (وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد (وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذى استوقد نارا *(وتركهم فى ظلمات لا يبصرون)* قال ابن عباس نزلت فى المنافقين * يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف * وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل ذهاب نورهم فى القبر او على الصراط (فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة (قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة فى الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه فى الآخرة الا حيرة (وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم * احداها ان المستضئ بالنار مستضئ بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو فى ظلمة فكأنهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار * الثانية ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم * الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء * فشبه حالهم بذلك *ثم وصفهم الله تعالى فقال *(صم)* اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه *(بكم)* اى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه *(عمى)* اى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

*صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم اذن*

(فهم لا يرجعون) اى عن ضلالتهم ونفاقهم * قوله تعالى *(او كصيب)* اى كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب *(من السماء)* اى من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء (وقيل من السماء بعينها * وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء *(فيه)* اى الصيب *(ظلمات)* جمع ظلمة *(ورعد)* هو الصوت الذى يسمع من السحاب *(وبرق)* يعنى النار التى تخرج منه (قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب (وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها

وبقاء نورهم الفطرى فلم ينقضوا عهد الله وهذه التقوى مقدمة على الايمان ولها مراتب اخرى متأخرة عنه كما سيأتى ان شاء الله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة) اى بما غاب عنهم الايمان التقليدى او التحقيقى العلمى فان الايمان قسمان تقليدى وتحقيقى والتحقيقى قسمان استدلالى وكشفى وكلاهما اما واقف على حد العلم والغيب واما غير واقف والاول هو الايقان المسمى علم اليقين والثانى اما عينى وهو المشاهدة المسمى عين اليقين واما حقى وهو الشهود الذاتى المسمى حق اليقين والقسمان الاخيران لا يدخلان تحت الايمان بالغيب والايمان بالغيب يستلزم الاعمال القلبية التى هى التزكية وهى تطهير القلب عن الميل الى السعادات البدنية الخارجية الشاغلة عن احراز السعادة الباقية فان السعادات ثلاث قلبية وبدنية وما حول البدن فالقلبية هى المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية الخلقية والبدنية هى الصحة والقوة واللذات الجسمانية

فاذا اشتدّ غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق (وقيل الرعد تسبيح الملك) (وقيل الرعد
(يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل
من يسمعها او يغشى عليه (وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء *عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
(حذر الموت) اى مخافة الهلاك *(والله محيط بالكافرين)* اى عالم بحالهم (وقيل يجمعهم
ويعذّبهم *(يكاد البرق)* اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل *(يخطف ابصارهم)* اى يختلسها
(والخطف استلاب الشئ بسرعة *(كلما)* اى متى ماجاء *(اضاءلهم)* يعنى البرق *(مشوا فيه)*
اى في اضاءته ونوره *(واذا اظلم عليهم قاموا)* اى وقفوا متحيرين (وهذا مثل آخر ضربه
الله تعالى للمنافقين * ووجه التمثيل ان الله عزوجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة
في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك
الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضمّ سامعوه أصابعهم الى آذانهم
من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدّته * فهذا مثل ضربه الله تعالى
للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه * فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة
الارض * والظلمات مافي القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق * والرعد ماخوّف به
من الوعيد * وذكر النار والبرق مافيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة (فالكافرون
والمنافقون يسدّون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به
عندهم كفر والكفر موت (وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام . فالمطر هو الاسلام
. والظلمات مافيه من البلاء والمحن . والرعد مافيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة
. والبرق مافيه من الوعد . يجعلون أصابعهم في آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء
وشدّة هربوا حذرا من الهلاك . والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم
يجمعهم ويعذّبهم . يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ماسبق لهم من الشقاوة
. كلما اضاءلهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان . مشوا فيه يعنى على المسالمة
باظهار كلمة الايمان (وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم
عليهم قاموا يعنى اذا رأوا اشدّة وبلاء تأخروا *(ولو شاء الله لذهب بسمعهم)* أى بصوت الرعد
(وأبصارهم) بوميض البرق (وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم
وأبصارهم الباطنة *(ان الله على كل شئ قدير)* أى هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه * قوله
عزوجل *(ياأيها الناس)* قال ابن عباس ياأيها الناس خطاب لاهل مكة وياأيها الذين آمنوا خطاب
لاهل المدينة وهنا خطاب عام لسائر المكلفين *(اعبدوا ربكم)* قال ابن عباس وحّدوا ربكم (وكل
ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد (وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها
الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى *(الذى خلقكم)* اى ابتدع خلقكم على غير مثال
سبق *(والذين من قبلكم)* اى وخلق الذين من قبلكم *(لعلكم)* لعل وعسى حرفا ترجّ
وهما اى كل منهما من الله واجب *(تتقون)* اى لكى تنجوا من العذاب (وقيل معناه تكونوا

والشهوات الطبيعية وماحول البدن هي الاموال والاسباب كما قال امير المؤمنين عليه السلام الاوان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة الجسد تقوى القلب ويجب الاحتراز عن

قوله اى متى ماجاء هكذا في جميع النسخ التي بايدينا ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها زائدة وكذا قوله فيما بعده من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها ليس بظاهر من التعبير بيكاد في الآية مصححه

الاولين لاحراز الاخيرة المطلوبة بالزهد والعبادة فاقامة الصلاة ترك الراحات البدنية واتعاب الآلات الجسدية وهي امّ العبادات التي اذا وجدت لم يتأخر عنها البواق انّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذهي تعامل على البدن والنفس ومشقة فادحة عليهما وانفاق المال هو الاعراض عن السعادة الخارجية المحبوبة الى النفس المسمى الزهد فانّ الانفاق ربما كان اشدّ عليها من بذل الروح للزوم الشح اياها لم يكتف باقدر الواجب

على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء ويحكم مايريد *(الذى جعل لكم الارض فراشا)* اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها . والحزن ماغلظ من الارض *(والسماء بناء)* أى سقفا مرفوعا (قيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل مايحتاج اليه *فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه * فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها *(وانزل من السماء)* يعنى السحاب *(ماء)* يعنى المطر *(فاخرج به)* اى بذلك الماء *(من الثمرات)* يعنى من الوان الثمرات واصناف النبات *(رزقا لكم)* اى وعلفا لدوابكم *(فلا تجعلوا لله أندادا)* يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته (والند المثل *(وانتم تعلمون)* يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لامثل له ولا ضد له قوله تعالى *(وان كنتم فى ريب)* أى ان كنتم فى شك لان الله تعالى علم انهم شاكون *(مما نزلنا على عبدنا)* اى محمد صلى الله عليه وسلم * لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه (وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى *(فاتوا)* أمر تعجيز *(بسورة)* والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر (وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه . سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن *(من مثله)* اى مثل القرآن (وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم ياخذ العلم عن احد (ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل ألا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فاتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم يدل على كون القرآن معجزا مااشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة ياتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان اعلاه لمثمر *(وادعوا شهداءكم من دون الله)* أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله (والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى دفع مانزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم انها آلهة (وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم *(ان كنتم صادقين)* ان محمدا صلى الله عليه وسلم

فقال (ومما رزقناهم ينفقون) ليعتاد القلب ترك الفضول المالية بالجود والسخاء وبذل المال فى وجوه المروات والهبات والصدقات الغير الواجبة فيوق شح نفسه وخصص الانفاق بالبعض بايراد من التبعيضية لئلا يقع فى رذيلة التبذير ببذل القدر الضرورى فيحرم فضيلة الجود الذى هو من باب التخلق باخلاق الله (والذين يؤمنون بما انزل اليك وماانزل من قبلك) اى الايمان المحقق الشامل للاقسام الثلاثة المستلزم للاعمال القلبية التى هى التصلية وهى تفرس القلب بالحكم والمعارف المنزلة فى الكتب الآلهية والعلوم المتعلقة باحوال المعاد وامور الآخرة وحقائق عالم القدس ولهذا قال (وبالآخرة هم يوقنون) واهل الآخرة الذين ماجاوزوا حد التزكية ولم يصلوا الى التصلية التى هى ميراثها لقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم واهل الله الموقنون الجامعون لها كانهم على هدى من ربهم امالبه واماالى داره دار

السلامة والفضل والثواب واللطف وهم اهل الفلاح لاغير اما من العقاب واما من الحساب ولهذا قال (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحلية (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاجلها على هذا الذين يؤمنون مبتدا والذين يؤمنون الثانى معطوف عليه وأولئك خبره ولو جعل صفة للمتقين لكان المراد بهم الكاملين فى التقوى بعد الهداية وكان مجازا من باب تسمية الشئ بما سيؤل اليه (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) هم الفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الالهى لا ينجح فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار أولئك حقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم الابواب اذا القلب

بقوله من تلقاء نفسه *(فان لم تفعلوا)* اى فيما مضى *(ولن تفعلو)* فيما بقى (وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الذرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد (وهو قوله تعالى *(فاتقوا النار)* أى فآمنوا واتقوا بالايمان النار *(التى وقودها)* أى حطبها *(الناس والحجارة)* قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا • وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها • وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم *(اعدت)* اى هيئت *(للكافرين)* قوله عز وجل *(وبشر الذين آمنوا)* اى اخبر المؤمنين وهذا امر للنبى صلى الله عليه وسلم (والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو فى السرور والخير اغلب *(وعملوا الصالحات)* اى الفعلات الصالحات وهى الطاعات (قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص (وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء *(ان لهم جنات)* جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق (وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم *(تجرى من تحتها)* اى من تحت اشجارها ومساكنها *(الانهار)* اى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى (وقيل معناه تجرى بأمرهم وفى الحديث ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود اى فى غير شق والخد الشق *(كلما رزقوا)* اى اطعموا *(منها)* اى من الجنة *(من ثمرة رزقا)* اى طعاما *(قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)* اى فى الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى *(واتوا به)* اى بالرزق *(متشابها)* قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم (وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لا رداءة فيها (وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك • قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس اى يجرى على السنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ • قوله طعامهم جشاء يعنى ان فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق • وقوله تعالى *(ولهم فيها)* اى فى الجنات *(ازواج)* اى من الحور العين *(مطهرة)* يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار (وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا

(وقيل)

(وقيل طهرن من مساوى الاخلاق(قيل فى الجنة جماع ماشئت ولاولد (وهم فيها خالدون)
اى لايخرجون منها ولايموتون والخلد البقاء الدائم الذى لاانقطاع له (ق) عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لايبصقون ولايمتخطون ولايتغوطون ولايبولون
امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين على خلق رجل
واحد وعلى صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء (وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون
يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا * عن ابى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الله
الخلق قال من الماء قلت الجنة مابناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك
الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولايبأس ويخلد ولايموت
ولاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم (اخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوى *
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة مابين كل
درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة
ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس(اخرجه الترمذى (م) عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال
فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقدازدادوا حسنا
وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد
ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلانسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له (اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب* قوله تعالى(ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة فمافوقها)
سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لماضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل
قالت اليهود ماارادالله بذكر هذه الاشياء الخسيسة (وقيل قال المشركون انالانعبد آلهة يذكر
هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لايستحيى * الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف
مايعاب به ويذم عليه* وقيل هوانقباض النفس عن القبائح (هذا اصله فى وصف الانسان والله
تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية
ونهاية فبداية الحياء هوالتغير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح
ونهايته ترك ذلك القبيح فاذاورد وصف الحياء فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو
التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لايستحيى
ان يضرب مثلا اى لايترك المثل لقول الكفار واليهود (ما * قيل ماصلة فيكون ان يضرب مثلا

هو المشعر الالهى الذى هو
محل الالهام فحجبوا عنه
بختمه والسمع والبصر هما
المشعران الانسانيان اى
الظاهران اللذان هما بابا
الفهم والاعتبار فحرموا
عن جدواهما لامتناع
نفوذ المعنى فيهما الى القلب
فلاسبيل لهم فى الباطن
الى العلم الذوقى الكشفى
ولا فى الظاهر الى العلم
النقلى والكسبى فحبسوا
فى سجون الظلمات فماأعظم
عذابهم (ومن الناس
من يقول آمنا) هم الفريق
الثانى من الاشقياء سلب
منهم الايمان مع ادعائهم
له بقولهم آمنا (بالله)لان
محل الايمان هو القلب
لااللسان قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان
فى قلوبكم ومعنى قولهم
آمنا بالله (وباليوم الآخر
وماهم بمؤمنين
يخادعون الله والذين
آمنوا ومايخدعون
الاانفسهم ومايشعرون)
ادعاء على التوحيد
والمعاد اللذين هما اصل
الدين واساسه اى لسنا من
المشركين المحجوبين عن
الحق ولا من اهل الكتاب
المحجوزين عن الدين

بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة (والبعوض صغار البق" وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوّف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه (فما فوقها) يعني الذباب والعنكبوت وماهو اعظم منهما في الجثة *وقيل معناه فادونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لايمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة وأطيش من ذبابة والحّ من ذبابة (فاما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون انه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لايجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) اي بهذا المثل (يضلّ به كثيرا) اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين يصدّقونه ويعلمون انه حق (ومايضلّ به الا الفاسقين) يعني الكافرين (وقيل المنافقين (وقيل اليهود* والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله* ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) اي يخالفون ويتركون* واصل النقض الفسخ وفكّ المركّب (عهد الله) اي امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اي من بعد عقده وتوكيده (وفي معنى هذا العهد اقوال* احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى* الثاني المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته* الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا امرهم الله تعالى واحكمه بما انزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ماامر الله به ان يوصل) يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود (وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها (ويفسدون في الارض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك هم الخاسرون) اي المغبونون (واصل الخسار النقص* ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته* ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم امواتا) يعني نطفا في اصلاب آبائكم (فاحياكم) يعني في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اي تردّون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم *قوله عز وجل (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا) يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار (والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم مافي الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا (امامصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بماخلق فيها (ثم استوى الى السماء) اي قصد واقبل على خلقها (وقيل عمد (وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد (قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم (وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى

والمعاد لانّ اعتقاد اهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقا للحق واعلم انّ الكفر هو الاحتجاب والحجاب امّا عن الحق كما للمشركين وامّا عن الدين كما لاهل الكتاب والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول اليه ضرورة وامّا المحجوب عن الدين فقد لايحجب عن الحق فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معا فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم اي ليسوا بمؤمنين ماداموا اياهم * المخادعة استعمال الخدع من الجانبين وهو اظهار الخير واستبطان الشرّ ومخادعة الله مخادعة رسوله لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ولانه حبيبه وقد ورد في الحديث لايزال العبد يتقرّب اليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ولسانه الذي به يتكلم ويده الذي بها يبطش ورجله الذي بها يمشي فخداعهم لله وللمؤمنين اظهار الايمان والمحبة واستبطان الكفر والعداوة

خلق السماء (فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها (قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك (فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم مافي الارض جميعا يقتضي ان ذلك لايكون الا بعد الدحو (قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم به عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم (فسوىٰهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لاصدع فيها ولافطور وسيأتي ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شيء عليم) يعني بعلم الجزئيات كا بعلم الكليات * قوله تعالى (واذقال ربك) اى واذكر يا محمد اذقال ربك وكل ماورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله (وقيل اذ زائدة * والاول اوجه (للملائكة) جمع ملك واصله مألك من المألكة والالوكة وهي لفظ البغوى وهي الرسالة واراد بالملائكة الذين كانوا في الارض هو ذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه * فقال له ولجنده (اني جاعل في الارض خليفة) اى اني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم اليّ فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة * والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم (وقيل لانه يخلفه غيره (والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) اى بالمعاصي (ويسفك الدماء) اى بغير حق كما فعل الجن (فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول (قلت يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم اوقاسوا الشاهد على الغائب (وقيل انهم لما راوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك (وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك (فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض (قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين * واستدل على ذلك بوجوه . منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها . ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لاعلى سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله اني أعلم مالا تعلمون (وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر ان رسول الله

وخداع الله والمؤمنين اياهم مسالمتهم واجراء أحكام الاسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الاموال وغير ذلك وادخار العذاب الاليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم باخباره تعالى وبالوحي عن حالهم لكن الفرق بين الخداعين ان خداعهم لايخدع الا في انفسهم باهلاكها وتحسيرها وايرائها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع اسباب الهلكة والبعد والشقاء عليها وخداع الله يؤثر فيهم ابلغ تأثير ويوبقهم أشد ايباق كقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهم من غاية تمقهم في جهلهم لايحسون بذلك الامر الظاهر (في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق تنكير المرض وايراد الجملة الظرفية اشارة الى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها كما اشرنا اليه في التقسيم والانقال قلوبهم مرضى أو موتى (فزادهم الله مرضا) ولهم عذاب اليم واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن

صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال مااصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده (قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماجاء فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك (وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لايليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدس لك) اصل التقديس التطهير أى نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة . واللام صلة (وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال انى أعلم مالاتعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها قال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة مالاتعلمون (وقيل اعلم ان فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس (وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالاترون واسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا (أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب *

واما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم اوحى الى الارض انى خالق منك خليفة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى ادخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذى ارسلك الى ان لاتاخذ منى شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك منى فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتنى بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ماقالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ماقالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتنى بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لاتاخذ منى شيا فقال وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لاخلقن مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم اخرجها فجعلها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ماخلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لايتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا ولانعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل فى جسد آدم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها

مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) اى اخرحقدا وحسدا وغلا باعلاء كلمة الدين ونصرة الرسول والمؤمنين والرذائل كلها امراض القلوب لانها أسباب ضعفها وآفتها فى افعالها الخاصة وهلاكها فى العاقبة وفرق بين العذابين بالالم للمنافقين والعظم للكافرين لان عذاب المطرودين فى الازل اعظم فلا يجدون شدة ألمه لعدم صفاء ادراك قلوبهم كالعضو الميت أو المفلوج والخدل بالنسبة الى مايجرى عليه من القطع والكى وغير ذلك من الآلام واما المنافقون فلثبوت استعدادهم فى الاصل وبقاء ادراكهم يجدون شدة الالم فلاجرم كان عذابهم مؤلما مسببا عن المرض العارض المزمن الذى هو الكذب ولواحقه * واذا نهوا عن الافساد فى الارض اى فى الجهة السفلية التى هى النفوس وما يتعلق بها من المصالح بتكدير النفوس وتهييج

وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء (وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم (وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في رأسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها واثنين في اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه (وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه* فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب (أخرجه الترمذي وابو داود* قوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض (وقيل لانه كان آدم اللون * وكنيته أبو محمد* وقيل ابو البشر (ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا مالم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم * وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا (قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة (وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها (وقيل علم آدم اسماء الملائكة (وقيل اسماء ذريته (وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الاشخاص (وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعني تعجيزا لهم (انبؤني) أي اخبروني (باسماء هؤلاء) يعني تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منه واعلم (قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) اي انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) أي بخلقك وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) اي في امرك وله معنيان. احدهما انه القاضي العدل . والثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد

الفتن والحروب والعداوة والبغضاء بين الناس أنكروا وبالغوا في اثبات الاصلاح لانفسهم اذ يرون الصلاح في تحصيل المعاش وتيسير أسبابه وتنظيم أمور الدنيا لانفسهم خاصة لتوغلهم في محبة الدنيا وانهماكهم في اللذات البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الحسية عن المصالح العامة الكلية واللذات العقلية وبذلك يتيسر مرادهم ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسون بافسادهم المدرك بالحس * واذا دعوا الى الايمان الحقيقي كايمان فقراء المسلمين والصعاليك المجردين سفهوهم لمكان تركهم حطام الدنيا واعراضهم عن متاعها ولذاتها وطيباتها لزهدهم الحقيقي اذ قصارى همومهم وقصوى مقاصد عقولهم الاسيرة في قيد الهوى المشوبة بالوهم المؤدية لهم الى الردى هي تلك اللذات يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا يعلمون ان غاية السفه هو اختيار الفاني الاخس

(قال) يعني الله تعالى (يا آدم انبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه
وذكر وجه الحكمة التي خلق لها (فلما انبأهم بأسمائهم قال) يعني الله تعالى (ألم اقل لكم) يعني
يا ملائكتي (انى اعلم غيب السموات والارض) يعني ماكان وماسيكون وذلك انه سبحانه وتعالى
علم أحوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم انى اعلم مالاتعلمون (واعلم ماتبدون) يعني قول
الملائكة اتجعل فيها (وماكنتم تكتمون) يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا اكرم عليه منا
(وقال ابن عباس اعلم ماتبدون من الطاعة وماكنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية* قوله عزوجل
(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض
(والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس (فسجدوا)
يعني الملائكة (وفي هذا السجود قولان* اصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة
على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لاسجود عبادة كسجود اخوة يوسف له
في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى
الطاعة لله تعالى والامتثال لامره (والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى
كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى (وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة
في تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمي به لانه ابلس من رحمة الله أي يئس وكان
اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته
(قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم (وقيل انه من الجن لانه خلق
من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس* والاول أصح لان
الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (ابى) أي امتنع من السجود فلم يسجد
(واستكبر) أي تكبر وتعظم من السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى فانه
وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله وفي رواية ياويلتاه
أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار * قوله عز وجل
(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) اى اتخذها مأوى ومنزلا* وليس معناه الاستقرار
لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض* ولما اسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس
معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو
الاقصر فخلق منه زوجته حواء وضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد
ألما ولو وجد ألما ماعطف رجل على امرأة قط (وسميت حواء لانها خلقت من حي (فلما استيقظ آدم
من نومه ورآها جالسة كأحسن ماخلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما
ذا خلقت قالت لتسكن الي وأسكن اليك (واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها. فقيل انها
جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها
(وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو
كقوله تعالى اهبطوا مصرا (والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف
واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب (وقيل كلا القولين

على الباقي الاشرف وفرق
بين الفاصلتين بالشعور
والعلم لان تأثير خداعهم
في أنفسهم وافسادهم
في الارض أمر بين
كالمحسوس وأما ترجيح
نعيم الآخرة على نعيم
الدنيا المستلزم للفرق بين
السفه والحكمة فأمر
استدلالي عقلي صرف
(واذ لقوا الذين آمنوا)
حكاية لنفاقهم اللازم
لحصول استعدادين فيهم
الفطري النوري الضعيف
المغلوب القريب من
الانطفاء الذي ناسبوا به
المؤمنين والكسبي الظلماني
القوي الغالب الذي
تألفوا به الكفار اذ لولم يكن
فيهم أدنى نور لم يقدروا
على مخالطة المؤمنين
ومصاحبتهم أصلا
كغيرهم من الكفار
للتنافي الضروري بين
النور والظلمة من جميع
الوجوه* والشيطان فيعال
من الشطون الذي هو
البعد وشياطينهم المتعمقون
في البعد وهم المطرودون
ورؤساؤهم البالغون في النفاق
واستهزاؤهم بالمؤمنين
دل على ضعف جهة
النور وقوة جهة الظلمة
فهم اذا المستخف بالشيء

يمكن فلاوجه للقطع (وكلا منها رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعنى الاكل (قيل انما وقع هذا النهى عن جنس الشجرة (وقيل عن شجرة مخصوصة (قال ابن عباس هى السنبلة (وقيل الكرمة (وقيل هى شجرة التين (وقيل عن شجرة العلم (وقيل الكافور (وقيل ليس فى ظاهر الكلام مايدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة ومالا يكون مقصودا لايجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعنى ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما (فمن جوّز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية (وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه (ومن لم يجوّز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ماكان الاولى أن لا يفعله (وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوّة (فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او بظلم أنفسهم (قلت لايجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم* قوله عزوجل (فأزلّهما الشيطان) أى استزلّ آدم وحوّاء ودعاهما الى الزّلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عزوجل وعصى آدم ربه فغوى فى سورة طه (عنها) اى الجنة (فاخرجهما مما كانا فيه) يعنى من النعيم (وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوّاء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لايعلمون (وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد (وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحوّاء وهما لايعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا مايبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فاغترّا وماظنا أن احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوّاء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها (قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحداً يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لاتنال العيش فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلّم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم دوسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد (وفى رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ماحملك على ماصنعت قال يارب زينته لى حوّاء قال فانى اعقبتها ان لاتحمل الا كرها ولاتضع الا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حوّاء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك (والرنة الصوت* فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) اى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحوّاء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوّاء بجدة والابليس بالابلة

هو الذى يجد ذلك الشئ فى نفسه خفيفا قليل الوزن والقدر فهم يستخفون النورانيين لخفة النور عندهم اذ بالنور يعرف قدر النور ورجحان الظلمة فيهم اووا الى الكفار والفوهم (الله يستهزئ بهم) اى يستخفهم لانّ الجهة التى هم بها ناسبوا الحضرة الآلهية فيهم خفيفة ضعيفة فبقدر مافنيت فيهم الجهة الآلهية ثبتوا عند انفسهم كما انّ المؤمنين بقدر مافنيت فيهم انيتهم النفسانية وجدوا عند الله شتان بين المرتبتين (ويمدّهم) فى ظلماتهم البهيمية والسبعية التى هى الصفات الشيطانية والنفسانية بتهيئة موادّها واسبابها التى هى مشتهياتهم ومستلذاتهم واموالهم ومعايشهم من الدنيا التى اختاروها بهواهم فى حالة كونهم متحيرين (فى طغيانهم يعمهون) والعمه عمى القلب وطغيانهم التعدّى عن حدّهم الذى كان ينبغى ان يكونوا عليه وذلك الحدّ هو الصدر اى وجه القلب الذى يلى النفس كان الفؤاد وجهه الذى يلى الروح فانه متوسط بينهما ذو وجهين

من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدوّ) يعني العدواة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا والعدواة التي بين ذرية آدم والحية (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ماسالمنا هن منذحار بناهن(أخرجه أبوداود(وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان(وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع) أي بلغة ومستمتع (الى حين) الى وقت انقضاء آجالكم* قوله عز وجل (فتلقى آدم) أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم (وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أي كانت سبب توبته (وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية(وقيل هي لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسي فتب علي انك انت التوّاب الرحيم لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسي فارحمني انك انت أرحم الراحمين (وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدّرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك (وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى (وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء (قال ابن عباس بكى آدم وحوّاء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما (وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث اخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) اي فتجاوز عنه وغفر له (واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن المذنب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه (ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل (أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حلت التوبة وسيأتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى(انه هو التوّاب) اي الرجّاع على عباده بقبول التوبة(والتوّاب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) اي بخلقه(وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم

اليهما والوقوف على ذلك الحدّ هو التعبد با وامر الله تعالى ونواهيه مع التوجه اليه طلبا للتنوّر ليستنر ذلك الوجه فتتنوّر به النفس كما انّ الوقوف على الحدّ الآخر هو تلقي المعارف والعلوم والحقائق والحكم والشرائع الآلهية لينتقش بها الصدر فتتزين به النفس فالطغيان هو الانهماك في الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب الى ان يعمى فتتكدر الروح (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اي الظلمة والاحتجاب عن طريق الحق الذي هو الدين او عن الحق فانّ الضلالة تقسم بازاء الهداية بالنور الاستعدادي الاصلي (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) اذ كان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا با بما يجانسه من النور الفيضي الكمالي بالعلوم والاعمال والحكم والمعارف والاخلاق والملكات الفاضلة فيصيرون اغنياء في الحقيقة مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عند الله فاربحوا

(قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة (وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض (وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض (والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوّاء كأنه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذى لا ينقطع (وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى يا ذرية آدم اما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) يعنى فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولاهم يحزنون فى الآخرة (والذين كفروا) اى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) اى بالقرآن (اولئك اصحاب النار) اى يوم القيامة (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى اشكروا نعمتى وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان * ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير * ثم ان النعم ثلاثة . نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه . ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى . ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة (فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها (قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد انعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها (وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (واوفوا بعهدى) اى امتثلوا امرى (اوف بعهدكم) اى بالقبول والثواب * واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى تلزم مراعاته عهدا * وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض * وقيل اراد به ما ذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم * وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة * وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله * وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته فى كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث فى آخر الزمان . وذلك ان العهد الى بنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام انى باعث من بنى اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدّق النور الذى يأتى به

بكسبها * وضاعت الهدية الاصلية التى كانت بضاعتهم ورأس مالهم بازالة استعدادهم وتكدر قلوبهم بالرين الموجب للحجاب والحرمان الابدى فخسروا بالخسران السرمدى اعاذنا الله من ذلك (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ماحوله) اى صفتهم فى النفاق كصفة المستوقد للاضاءة الذى اذا اضاءت ماحوله من الاشياء القريبة منه خمدت ناره وبقى متحيرا لان نور استعدادهم بمنزلة النار الموقدة واضاءتها ماحولهم هى اهتداؤهم الى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنسبة اليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم فى الظاهر وخمودها سريعا انطفاء نورهم الاستعدادى وسرعة زوال ما تمتعوا به من دنياهم ووشك انقضائه (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات) الاستعدادى بامدادهم فى الطغيان * وخلاهم محجوبين عن التوفيق فى ظلمات صفات النفس (لا يبصرون) بصر القلب وجه المخرج ولا

غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياى فارهبون) اى فخافون فى نقضكم العهد (وآمنوا بما انزلت) يعنى بالقرآن (مصدّقا لما معكم) يعنى ان القرآن موافق لما فى التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبى صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولاتكونوا اوّل كافر به) الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولاتكونوا يامعشر اليهود اول من كفر به (فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم (قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس (وقيل معناه ولاتكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولاتشتروا) اى ولاتستبدلوا (بآياتى) اى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لاقيمة له والذى كانوا ياخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلذا قال الله تعالى ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (واياى فاتقون) اى فخافون فى امر محمد صلى الله عليه وسلم * والتقوى قريب من معنى الرهبة . والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب . والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف * قوله عز وجل (ولاتلبسوا الحق بالباطل) اى ولاتكتبوا فى التوراة ماليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم (وقيل معناه ولاتخلطوا الحق الذى انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته (وقيل لاتخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل اى بصفة الدجال * وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى مرسل * وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل احد ان لايلبس الحق بالباطل ولايكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد * وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (واقيموا الصلاة) يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها (وآتوا الزكاة) اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم فى اموالكم (واركعوا مع الراكعين) اى صلوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة

ما ينفعهم من المعارف كمن تطفئ ناره وهو فى تيه بين اشغال واسباب (صمّ بكم عمى) بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذى به تسمع الحق وتنطق به وتراه وفى الظاهر لعدم فوائدها لانسداد الطرق من تلك المشاعر الى القلب لمكان الحجاب فلم يصل اليها نور القلب ليحظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا (فهم لايرجعون اوكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) الى الله لوجود السدّين المضروبين على قلوبهم المذكورين فى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدّا ومن خلفهم سدّا وفائدة التشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس ليتمثل فى نفوس العامة * ثم شبههم ثانيا بقوم اصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فالمطر هو نزول الوحى الآلهى ووصول امداد الرحمة اليهم ببركة صحبة المؤمنين وبتيارات مدادهم مما شيد قلوبهم ادنى لين وحصول الدم الظاهرة لهم بموافقتهم فى الظاهر * والظلمات هى الصفات النفسانية

ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلاة لان الاوّل خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود * وفيه حث على اقامة الصلاة فى الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين فى الجماعة * قوله عزوجل (اتأمرون الناس بالبرّ) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم (والبراسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات (نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق (وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركى العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه (وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولايفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون انفسكم) اى وتعدلون عما فيه نفع * والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم (والمعنى اتتركون انفسكم ولاتتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وانتم تتلون الكتاب) يعنى تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (افلاتعقلون) يعنى انه حق فتتبعونه * والعقل قوّة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوّة عقل ومنه قول علىّ ابن ابى طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

* واصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه اتى بفعل متناقض لايقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون (وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يافلان مالك الم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق اى تخرج (اقتاب بطنه اى امعاء بطنه واحدها قتب (وروى البغوى بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلايعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولايعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه . وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

والشكوك الخيالية والوهمية والوساوس الشيطانية مما تحيرهم وتوحشهم * والرعد هو التهديد الآلهىّ والوعيد القهرىّ الوارد فى القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة مما تخوّفهم فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطاغية وانهزام لنفوسهم الآبية * والبرق هو اللوامع النورية والتنبهات الروحية عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنعماء مما يطمعهم ويرجيهم فيفيدهم أدنى شوق وميل الى الاجابة ومعنى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) يتشاغلون عن الفهم بالملاهى والملاعب عن سماع آيات الوعيد ولكى لاينجع فيهم فيقطعهم عن اللذات الطبيعية بهم الآخرة اذ الانقطاع عن اللذات الحسية هو موتهم والله قادر عليهم قاطع اياهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطبيعىّ قدرة المحيط بالشئ الذى لايفوته منه فلا فائدة لحذرهم (يكاد البرق) أى اللامع النورىّ (يخطف

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

* قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لايقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به (وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبنى اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين (فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال (وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله (وقيل على مايشغلكم من انواع البلاء (وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصى (وقيل بالصبر على اداء الفرائض (وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اى اجمعوا بين الصبر والصلاة (وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى مايجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اى اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو فى سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) اى ثقيلة (الا على الخاشعين) يعنى المؤمنين . وقيل الخائفين . وقيل المطيعين المتواضعين لله (واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة . وقيل الخشوع الضراعة واكثر ماتستعمل فى الجوارح (وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولايخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه واما الخاشع الذى يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه (الذين يظنون) اى يستيقنون وقيل يعلمون (انهم ملاقو ربهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة (وانهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزيهم باعمالهم * قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وانى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) اى واخشوا عذاب يوم (لاتجزى) اى لا تقضى (نفس عن نفس شيأ) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لاتنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولاتردّ عنها شيأ مما اصابها بل يفرّ المرء من اخيه وامه وابيه (ولاتقبل منها شفاعة) اى فى ذلك اليوم والمعنى لاتقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة *وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فردّ الله عليهم ذلك بقوله ولاتقبل منها شفاعة . وقيل

ابصارهم) اى عقولهم المحجوبة بالنعاس عن نور الهداية والكشف اذ العقل بصر القلب (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اى ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى (واذا أظلم عليهم قاموا) أى ثبتوا على حيرتهم فى ظلمتهم (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) لطمس أفهامهم وعقولهم ومحو نور استعدادهم كما للفريق الاوّل فلم يتأثروا بسماع الوحى أصلا (ان الله على كلّ شئ قدير) الشئ الموجود الخارجى الواجب والممكن والموجود الذهنى الممكن والممتنع اذ اللاشئ هو المعدوم الصرف الذى ليس فى الذهن ولا فى الخارج لكن تعلق القدرة به خصصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل هذا آخر الكلام فى الاصناف السبعة على سبيل الاجمال * وفصل بين فريق الاشقياء وأوجز ذكر الفريق الاوّل وأعرض عنهم اذ الكلام فيهم لا يجدى * وبالغ فى ذكر الفريق الثانى وذمهم وتعييرهم

انطاعة المطيع لاتقتضي عن العاصي ما كان واجبا عليه . وقيل معناه ان النفس الكافرة لوجاءت بشفيع لايقبل منها (ولايؤخذ منها عدل) اى فدية وهو مماثلة الشئ بالشئ (ولاهم ينصرون) اى لايمنعون من العذاب * قوله عزوجل (واذ نجيناكم) اى واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتده نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم (من آل فرعون) اى من اتباعه واهل دينه (وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد ابن مصعب ابن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) اى اشد العذاب واسوأه (وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا اصنافا فى اعمال فرعون فذو والقوة يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه (وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب مابعده وهو قوله عزوجل (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى فى منامه كأن ناراً اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل فى طلب موسى اثنى عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببنى اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لايذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبح فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) اى اختبار وامتحان . والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة * قوله عزوجل (واذ فرقنا بكم البحر) اى فصلنا بعضه من بعض وجعلناه فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

* (ذكر سياق القصة) *

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه ان يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلى القبط لتبقى لهم اوليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكل ولد زنا كان فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال

وتقبيح صورة حالهم وتهديدهم وايعادهم وتهجين سيرهم وعاداتهم لامكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض واشتعال نور قرائحهم بمدد التوفيق الآلهى عسى التقريع يكسر اعواد شكائمهم والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم فتزكى بواطنهم وتتنور قلوبهم بنور الارادة فيسلكوا طريق الحق ولعل موادعة المؤمنين وملاطفتهم اياهم ومجالستهم معهم تستميل طباعهم فتهيج فيهم محبة ما وشوقا تلين به قلوبهم الى ذكر الله وتنقاد به الى نفوسهم لامر الله فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) ثم لما فرغ

لاخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فاصاح تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفاً الايعدون ابن عشرين سنة لصغره ولاابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا مابين رجل وامرأة فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لايخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الااخبرنى به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولى فكان يمر الرجل وهو ينادى فلايسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارأيتك ان دللتك على قبره اتعطينى كل ماسألتك فأبى عليها وقال حتى اسأل ربى فأمره ان يعطيها سؤالها فقالت انى عجوز لااستطيع المشى فاحملنى معك واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فأسألك ان لاتنزل غرفة من غرف الجنة الانزلتها معك قال نعم قالت انه فى النيل فى جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببنى اسرائيل هو فى ساقتهم وهرون فى مقدمتهم ثم خرج فرعون فى طلبهم فى الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات (وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون فى الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون فى سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف الف ناشب ومائة الف الف حواب ومائة الف الف معهم الاعمدة وساروا اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذاهم بفرعون فى جنوده فبقوا متحيرين وقالوا ياموسى اين ماوعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ياابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنواسرائيل البحر كل سبط فى طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قدهلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذفرقنابكم البحر (فانجيناكم) يعنى من فرعون (واغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى ادرك عبيدى الذين ابقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا (وقيل قالواله ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى اثرها ولم يملك فرعون من امره شيأ واقتحمت الخيول خلفه فى البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول

من ذكر السعداء والاشقياء دعاهم الى التوحيد وأول مراتب التوحيد توحيد الافعال فلهذا علق العبودية بالربوبية ليستأنسوا برؤية النعمة فيعبدوه كما قال فخلقت الخلق وتحببت اليهم بالنعم فيشكروه بازائها اذ العبادة شكر فلاتكون الا فى مقابلة النعمة * وخصص ربوبيته بهم ليخصوا عبادتهم به وقصد رفع الحجاب الاول من الحجب الثلاثة التى هى حجب الافعال والصفات والذات ببيان تجلى الافعال لان الخلق فى الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقا فنسب انشاءهم وانشاء ماتوقف عليه وجودهم من المبادى والاسباب والشرائط كن قبلهم من الآباء والامهات وجعل الارض فراشالهم لتكون مقرهم ومسكنهم وجعل السماء بناء انتظامهم وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الارض ليكون رزقالهم الى نفسه لعلهم يمحون نسبة الفعل الى غيره فيتنزهون عن الشرك فى الافعال عند مشاهدة جميعها من الله ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدمات بالفاء فقال (فلاتجعلوا لله

الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم فى البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فأمر الله البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وكان بين طرفى البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمر اى من بنى اسرائيل فذلك قوله (وانتم تنظرون) يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرالله تعالى * قوله عزوجل (واذواعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجئ الميقات (موسى) اسم عبرى معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمى موشى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى (اربعين ليلة) اى انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء

* (ذكر القصة فى ذلك) *

قال العلماء لما انجى الله بنى اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعدالله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات ربى لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ماتأتون وماتذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لايصيب شيأ الاحيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرما وقيل كرمان وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال فقال فى نفسه ان لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقى فى روعه انه اذا القى فى شئ حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقى اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنواسرائيل قداستعاروا حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لاتحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى اخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى اى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنواسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت

أندادا وانتم تعلمون) ماذكرنا من المقدمات كأنه قال هو الذى فعل هذه الافعال فلا تحق العبادة الاله ولاتنبغى ان تجعل لغيره فلا تجعلوا له ندا بنسبة الفعل اليه فيستحق ان يعبد عندكم فتعبدوه مع علمكم بهذا فعبادتهم انما هى للصانع وربهم هو المتجلى فى صورة الصنع اذ كل عابد لايعبد الاما يعرفه ولا يعرف الله الابقدر ماوجد من الالوهية فى نفسه وهم ماوجدوا الا الفاعل المختار فعبدوه وغاية هذه العبادة الوصول الى الجنة التى هى كمال عالم الافعال فالله مهدلهم اراضى نفوسهم وبنى عليها سموات ارواحهم وانزل من تلك السموات ماء علم توحيد الافعال فاخرج به من تلك الارض نبات الاستسلام والاعمال والطاعات والاخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الايقان والاحوال والمقامات كالصبر والشكر والتوكل *ولما اثبت التوحيد استدل على اثبات النبوة ليصح بها الاسلام فانه لايصح الابشهادتين لان مجرد التوحيد هو الاحتجاب

الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثنى عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعنى الها (من بعده) اى من بعد موسى (وانتم ظالمون) اى وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم) اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) اى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) ان لكى تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأت النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى انعمت على النعم السوابغ وامرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه ياموسى تعلمت العلم الذى لافوقه علم حسبى من عبدى ان يعلم ان مابه من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لايعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لايراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك الاحسان والافضال * قوله عز وجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق وبين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو واصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) يعنى الها تعبدونه فكانهم قالوا ماتصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) يعنى ليقتل البرئ منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لايعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لاتتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لاتتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لايقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى ان يقتل التائب من الردة اما عاما فى حق الكل او خاصا فى حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لابد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر السيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلا يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لايبصر بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتلى

بالجمع عن التفصيل وهو وهو محض الجبر المؤدى الى الزندقة والاباحة ومجرد اسناد الفعل والقول الى الرسول احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدر المؤدى الى المجوسية والثنوية والاسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا لااله الاالله وبين قولنا محمد رسول الله واعتقاد مظهريته لافعاله تعالى فان افعال الخلق بالنسبة الى افعال الحق كالجسد بالنسبة الى الروح فكما ان مصدر الفعل هو الروح ولايتم الا بالجسد فكذلك مبدأ الفعل هو الحق ولايظهر الا بالخلق ولابد من الرسالة لان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لايمكنهم تلقى المعارف من ربهم فيجب وجود واسطة يجانس بوجه الشاهدة الحق الحضرة الالهية وبنفسه المخالطة للخلق الرتبة البشرية ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية ويلقى الى نفسه القدسية ويقبل منه الخلق برابطة الجنسية فقال وان كنتم فى ريب مما

دعا موسى وهرون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنواسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه امايرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه * فذلك قوله عزوجل (فتاب عليكم) اى فعلتم ماامرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا وذلك ان الله عزوجل امر موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فاخذتكم الصاعقة) قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذلو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين (وانتم تنظرون) اى ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لوشئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) اى لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم ولوانهم كانوا قدماتوا لانقضاء آجالكم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) * قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعنى فى التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وانزلنا عليكم المن والسلوى) اى فى التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شئ انبته الله من غير سعى احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ماؤها بحتا فى العين

(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله) اى فى تنزيلنا على محمد فتشكوا فى حقية نبوته فروزوا قواكم البشرية واحرزوا عقولكم المحتنكة بالقياس المحجوبة عن نور الهداية وافكاركم الدرية بتركيب الكلام ونظم المعانى وانتم ومن حضركم من ابناء جنسكم هل تقدرون على الاتيان بسورة اى طائفة من الكلام مثله (ان كنتم صادقين) فى نسبته الى محمد (فان لم تفعلوا) فاذعنوا واسلموا وآمنوا واتركوا العناد المفضى بكم الى النار لحذف الملزوم الذى هو الايمان اوالاسلام واقام لازمه الذى هو اتقاء النار مقامه ليكون ادل على ان الانكار موجب لدخول النار وحصول العذاب لهم وقوله (ولن تفعلوا فاتقوا النار التى) اعتراض على طريق الاخبار بالغيب للعلم بامتناع عقول المحجوبين عن مثله والمراد بالنار احتراقهم بنورة نفوسهم وشرر طباعهم المصروفة عن الروح القدسى الروحانى

وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا ياموسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى هو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ مايكفيه يوماوليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ مايكفيه اليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) اى حلالات (مارزقناكم) اى ولاتدّخروا لغد فخالفوا وادّخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوّاء لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وماظلمونا) اى ومابخسوا حقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى بأخذهم اكثر مماحدّ لهم فاستحقّوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلامؤنة ولاتعب فى الدنيا ولاحساب فى العقبى * قوله عزوجل (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحاء قرية الجبارين . وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح اريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه . وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية اريحاء قال ادخلوا من اىّ باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) اى حطّ عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لااله الاالله لانها تحطّ الذنوب والحطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) اى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدّل) اى فغيّر (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى قالوا قولا غير ماقيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا (بما كانوا يفسقون) اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى * قوله عزوجل (واذا ستسقى موسى لقومه) اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق . وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قال

(وهب)

والنسيم الذوقىّ الرحانى المحرومة عن لذة برد اليقين وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسية واللذات البدنية الممنوعة بماضريت به والفته مع بقاء حنينها اليه وولهها ورسوخ هيئات التعلق بالامور السفلية ومحبة الاجساد الارضية فيها التى هى سبب استيقاد نيرانها ولهذا قال (وقود ها الناس والحجارة) اى الامور الجاسية السفلية الصامتة التى تعلقوا بها بالمحبة فرسخت صورها فى انفسهم وسجنت نفوسهم بميلهم اليها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء يحشر مع من حب حتى لو احبّ احدكم حجرا حشر معه وكيف لاوقد ركزت صورته فى نفسه بالمحبة بحيث صار صورة قلبه صورته واعلم انّ حرارة النار تابعة لصورتها النوعية التى هى روحانيتها وملكوتها والمساوت سائر الاجسام فى خواصها وتلك الروحانية شرر من نار قهر الله المعنوية بعد تنزلها فى مراتب كثيرة كتنزلها فى مرتبة النفس بثورة الغضب

وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا . وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام . قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه . وقيل كان للحجر اربعة وجوه كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين . وقيل كان من الرخام . وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة . وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سالوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعنى على عدد اسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت . قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد . وقيل انبجست اى عرقت وانفجرت اى سالت (قد علم كل اناس مشربهم) اى موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى قلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العيث اشد الفساد * فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم اعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة (فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد (قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها فى كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) اى فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الاطعمة التى لا توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة (قال) يعنى موسى (اتستبدلون الذى هو ادنى) اى الذى هو اخس وارذأ وهو الذى طلبوه (بالذى هو خير) يعنى بالذى هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعنى ان ابيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار . وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان . وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود (وباؤا) اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) اى الغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله)

اذ ربما تؤثر ثورة الغضب فى احراق الاخلاق ما لا تؤثر النار فى الحطب ومن هذا يعلم ان كل مسخن لا يجب ان يكون حارا واذا كانت النار الجسمانية اثر النار الروحانية فلاجرم ان ايلامها اشد وادوم من ايلام هذه النار كيف وكل قوة جسمانية متناهية دون القوى الروحانية ولهذا المعنى يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها (اعدت للكافرين) المحجوبين عن الدين لانقطاعهم دون مرادهم (وبشر الذين آمنوا) بالصانع (وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار) وعملوا ما يصلحهم للجنة بمقتضى علمهم بتوحيد الافعال ان لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصور واؤثر التنكير الجنات والجنات الجارية من تحتها الانهار ابهى والطيب ما يكون من مقام والذ واحلى ما يكون من مرام لاهل الدنيا فهى لنفوسهم من جنس جنات الدنيا واصفى منها بحسب المعاد الجسمانى فانه بحق كما ستعلم

اى بصـفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التى فى التوراة و يكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبى معناه المخبر من انبأ ينبئ . وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اى بغير جرم (فان قلت قتل الانبياء لايكون الا بغير حق فما فائدة ذكره (قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ماامر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور . يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت الى سوق بقلها فى آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) اى ذلك القتل والكفر بما عصوا امرى (وكانوا يعتدون) اى يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اى ملنا اليك . وقيل هادوا اى تابوا من عبادة العجل . وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله . وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح نزلها (والصابئين) اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب . قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب . وقال ابن عباس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم * وقيل هم قوم يقرؤن بالله و يقرؤن الزبور و يعبدون الملائكة و يصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيأ * والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هى التى تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال فى اول الآية ان الذين آمنوا وقال فى آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا (قلت اختلف العلماء فى حكم الآية فلهم فيه طريقان . احدهما انه اراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابى ذر الغفارى وسلمان الفارسى فمنهم من ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم . وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية . وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان فى اول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك . وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل

(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا فانها مالوفهم (وأتوا) بالرزق (متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) ولقلوبهم هى مقاماتهم كالتوكل مثلا وروضات عالم القدوس التى تنشأ من كل مرتبة منها انهار علوم تنبع السالكين تنقع علة المتعطشين المشتاقين والثمرات هى الحكم والمعارف وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى ان تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرد فاحتجبت عنها بالتوغل فى الامور الطبيعية عند التعلق فنسيتها ثم تذكرت حين تجردت عن ملابسها لقوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن والازواج لنفوسهم الحور العين المطهرة عن الطمث والفواحش ولقلوبهم النفوس القدسية المطهرة عن دنس الطبائع وكدر العناصر ولا جنة لارواحهم لاحتجابهم عن المشاهدة (ان الله لا يستحيى) لايمتنع امتناع المستحيى (ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)

وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) اى فى ايمانه (فلهم اجرهم عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى فى الآخرة * قوله عز وجل (واذ اخذنا ميثاقكم) اى عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعنى الجبل العظيم * قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم . وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا بأحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قد قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) اى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) اى ما اعطيناكم (بقوّة) اى بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) اى ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) اى اعرضتم (من بعد ذلك) اى من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) اى بالامهال (لكنتم من الخاسرين) اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى * قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) اى جاوزوا الحد (فى السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع

* (ذكر الاشارة الى القصة) *

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها . وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذاهم جميع قردة لهم اذناب وهم يتعاوون * وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا

اذ الكافر عنده احقر من بعوضة والدنيا من جناحها كما نطق به الحديث (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) لمناسبة الممثل به للممثل له (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) الذين خرجوا من مقام القلب الى مقام النفس ومن طاعة الرحمن الى طاعة الشيطان وهم الفريق الثانى من الاشقياء الفريق الاول فانهم ضالون فى نفس الامر على اى حال كان لا به ولا بسبب آخر واضلالهم به مسبب عن فسقهم فى الحقيقة اذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية وهى زيادة عنادهم ونكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بور ودالقران فيزيدهم بعدا وظلمة على ظلمة (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون) هو الذى اشار اليه فى قوله واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

قردة خاسئين) امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) اي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم ٠ وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

* (ذكر الاشارة الى القصة في ذلك) *

قال علماء السير والاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لاوارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) اي نحن نسألك امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعني موسى (اعوذ بالله) اي امتنع بالله (ان اكون من الجاهلين) اي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يابني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بإله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان يقتلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا

ذرّيتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقد ورد في الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج ذريته منه كهيئة الذرّ الحديث فيد الله هو العقل الاقدس والروح الاوّل الذي هو روح العالم المسمى يمين الرحمن وآدم هو النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره اياها بنوره بالاتصال الروحانيّ واخراج ذرّيته منه ايجاد النفوس الشخصية الجزئية التي كانت فيها بالقوة واخراجها الى الفعل وعهد الله اليهم بقوله الست بربكم ايداع علم التوحيد في ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز ادلة التوحيد في عقولهم والزام ذلك السلم اياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم بحيث اذا تجرّدوا عن الصفات النفسانية والغواشي الجسمانية تبين لهم ذلك وانكشف عليهم اظهر شيء وابينه وهو اشهادهم على انفسهم لكون ذلك العلم ضروريا حينئذ واجابتهم لذلك بقولهم بلى قبولهم الذاتي له ونقض ذلك

ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا امى فقال له الملك لك ستة دنانير ولاتستأمر امك فقال له الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الابرضا امى ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولاتبعها الابرضاى فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال له استأمرت امك فقال الفتى نعم انها امرتنى ان لاانقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى اعطيتك اثنى عشر ديناراً اولا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكى هذه البقره فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلاتبعها الابملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ماسنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عزوجل (انها بقرة لافارض ولابكر) اى لاكبيرة ولاصغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) اى نصف (بين ذلك) اى بين السنين (فافعلوا ماتؤمرون) اى من ذبح البقرة ولاتكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك (تسر الناظرين) اى يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى سائمة او عاملة (ان البقر تشابه علينا) اى البس واشتبه امرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) اى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لاذلول) اى ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة (ولاتسقى الحرث) اى ليست بسانية والسانية هى التى تستسقى الماء من البئر لسقى الارض (مسلمة) اى بريئة من العيوب (لاشية فيها) اى لالون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) اى بالبيان التام الذى لااشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) اى وماقاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا * قوله عزوجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس اى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج ماكنتم تكتمون) أى مظهر ماكتمتم من امر القتيل لامحالة ولايتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعنى القتيل (ببعضها) اى ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها الايمن والاقرب انهم كانوا مخيرين فى ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باى جزء منها اجزأ وحصل المقصود وانه ليس فى القرآن مايدل على ذلك البعض ماهو وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط

العهد انهما كهم فى اللذات البدنية والغواشى الطبيعية وتعبدهم لهواهم وشهواتهم بحيث احتجبوا بها عن وحدة الله وتعبده وقطعهم ماامر الله بوصله اعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادى العالية والارواح السماوية التى هى الملاء الاعلى وسكان الحضرة الآلهية من اهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم وهم اهل قرابتهم الحقيقية بتوجههم الى العالم السفلى ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة وعشقهم وشغفهم بالامور الخسيسة الفانية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب معالى الامور واشرافها ويبغض سفاسفها اذ كلما كان مطلوب النفس اخس كانت عن العالم الشريف ابعد * ضروب الناس عشاق ضروبا * فاغدرهم اشقهم حبيبا وقدم تفسير الافساد فى الارض والخسران الذى هو تضييع الجوهر النورى الباقى لاجل الظلمانى الفانى (كيف تكفرون بالله) اى على اى حال محجوبون عنه (و) الحال

ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) اى كما احيا الله
عاميل صاحب البقرة (يحيى الموتى) يعنى يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) اى
تمنعون انفسكم عن المعاصى (فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر
ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب (قلت وجهه
ان الله لما ذكر من قصص بنى اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد
فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فى نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية
لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب
الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل (فان قلت ما فائدة ضرب
القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ (قلت الفائدة فيه
ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه السلام انما احياه
بضرب من السحر والحيلة فاذا احيى القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان
ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك (فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة (قلت الكلام فى غير
البقرة لو امروا به كالكلام فى البقرة * ثم فى ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة
جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة
فى تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى اخذه صاحبها من ثمنها

* (فصل فى حكم هذه المسئلة فى شريعة الاسلام اذا وقعت) * وذلك انه اذا وجد قتيل فى
موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق
المدعى بان اجتمع جماعة فى بيت اوصحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم
اووجد قتيل فى محلة اوقرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه
فان ادعى الولى على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة
توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان
ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه فى قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز
الى وجوب القود به قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل
براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف
يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى انه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابى
حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قتيل فى محلة يختار الامام خمسين رجلا
من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها
* والدليل على ان البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن ابى حثمة قال انطلق
عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهى يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله
بن سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة
وحويصة ابنا مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون

انكم (كنتم امواتا) نطفا فى اصلاب آبائكم (فاحياكم) اى لم لا تستدلون بالخلق على الخالق (ثم يميتكم) بالموت الطبيعى (ثم يحييكم) بالبعث اذ الاول معلوم بالمشاهدة والثانى بالاستدلال عليه بالانشاء الاول (ثم اليه ترجعون) للمجازاة اوثم يميتكم عن انفسكم بالموت الارادى الذى هو الفناء فى الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقية التى هى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقانى ثم اليه ترجعون للمشاهدة ان كانت الوحدة وحدة الصفات اوالشهود ان كانت وحدة الذات (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) اى الجهة السفلية التى هى العالم العنصرى جميعا لكونها مبادى خلقكم ومواد وجودكم وبقائكم (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) اى قصد قصدا مستويا الى الجهة العلوية وثم للتفاوت بين الجهتين والايجادين الابداعى والتكوينى لا للتراخى بين الزمانين ليلزم تقدم خلق الارض

قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين
منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية
يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين* ووجه الدليل
من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين
ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اى
يبست وجفت* وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه* وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك)
اى من بعد ظهور الدلالات التى جاء بها موسى وقيل هى اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض
البقرة (فهى) يعنى القلوب فى الغلظ والشدة (كالحجارة) اى كالشئ الصلب الذى لا تخلخل
فيه (او) قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اى و (اشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم
بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب* قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد
لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط* ثم فضل الحجارة على القلب
القاسي فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر
الذى كان يضرب عليه موسى ليسقى الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التى هى دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله)
اى ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد
منها وقلوبكم يامعشر اليهود لا تلين ولا تخشع* فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف
يخشى* قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل
السنة ان الله تعالى اودع فى الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة
وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد
علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وانى لاعرفه
الآن عن على قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن
جابر بن عبد الله قال كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فى قبلته يقوم اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفى رواية صاحت النخلة صياح الصبى فنزل صلى الله عليه وسلم
حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت
تسمع من الذكر* قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما
الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم
وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة * قوله عز وجل (افتطمعون) خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعى الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب

على السماء * فعدلهن سبع
سموات بحسب ماتراه
العامة اذ الثامن والتاسع
هو الكرسى والعرش
الظاهران والحقيقة ان
الجهة السفلية هى العالم
الجسمانى كالبدن واعضائه
لدنو رتبته بالنسبة الى العالم
الروحانى الذى هو الجهة
العلوية المعبر عنها بالسماء
وثم للتفاوت بين الخلق
والامر وسواهن سبع
سموات اشارة الى مراتب
عالم الروحانيات فالاول
هو عالم الملكوت الارضية
والقوى النفسانية والجن
والثانى عالم النفس والثالث
عالم القلب والرابع عالم
العقل والخامس عالم السر
والسادس عالم الروح
والسابع عالم الخفاء الذى
هو السر الروحى غير
السر القلبى والى هذا
اشار امير المؤمنين عليه
السلام بقوله سلونى عن
طرق السماء فانى اعلم
بها من طرق الارض وطرقها
الاحوال والمقامات
كالزهد والتوكل والرضا
وامثالها * واعلم ان العقل
باصطلاح الحكمة هو
الروح باصطلاح اهل
التصوف والذى سميناه
ههنا بالعقل على اصطلاح

للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى اتطمعون افترجون (ان يؤمنوا لكم) اى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه اتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى اتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) اى يغيرون كلام الله ويبدلونه * فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم * ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة (من بعد ما عقلوه) اى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) اى فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون * قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و (قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) اى ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق فى كتابكم لم لا تتبعونه * وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) اى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (افلا تعقلون) اى ان ذلك لا يليق بما انتم عليه (اولا يعلمون) يعنى اليهود (ان الله يعلم ما يسرون) اى ما يخفون (وما يعلنون) اى ما يبدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) اى من اليهود (اميون) اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امى وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا امانى) جمع امنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر

المتصوفة هو القوة العاقلة التى للنفس الناطقة عند الحكماء ولهذا قالت المتصوفة العقل هو موضع صقيل من القلب متنور بنور الروح والقلب هو النفس الناطقة فاحفظه لئلا يتشوش الفهم باختلاف الاصطلاح (واذ قال ربك للملائكة) اذ اشارة الى السرمد الذى هو من الازل الى الابد والقول هو القاء معنى تعلق مشيئة الله تعالى بايجاد آدم فى الذوات القدسية الجبروتية التى هى الملائكة المقربون والارواح المجردة والملكوتية التى هى النفوس السماوية اذ كل ما يحدث فى عالم الكون له صورة قبل التكوين فى عالم الروح الذى هو عالم القضاء السابق ثم فى عالم القلب الذى هو قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم فى عالم النفس اى نفس العالم الذى هو لوح المحو والاثبات المعبر عنه بالسماء الدنيا فى التنزيل كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فذلك قوله تعالى للملائكة (انى جاعل فى الارض خليفة) واشعر بحالك

تمنى كتاب الله اول ليلة ❊ تمنى داود الزبور على رسل

اى تلا كتاب الله* وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) اى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعنى هذه الصفة التى كتبوها فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (ليشتروا به) اى بما كتبوا (ثمنا قليلا) اى المآكل والرشا التى كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) اى اليهود (لن تمسنا) اى لن تصيبنا (النار الا اياما معدودة) اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب * قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم ليعذبنهم اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) اى يا محمد لليهود (اتخذتم عند الله عهدا) اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدّة (فلن يخلف الله عهده) اى وعده (ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس (واحاطت به خطيئته) اى احدقت به من جميع جوانبه* قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه * وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج من اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا* قلت اجاب بعضهم

في نفسك فانّ كلّ ما يظهر على جوارحك التى هى عالم كونك وشهادتك من القول والفعل له وجود فى روحك التى هى ماوراء غيب غيبك ثم فى غيب غيبك ثم فى نفسك التى هى غيبك الادنى وسماؤك الدنيا ثم يظهر على جوارحك والجعل اعم من الابداع والتكوين فلم يقل خالق لانّ الانسان مركب من العالمين خليفة يتخلق باخلاق ويتصف باوصاف وينفذ امرى ويسوس خلق ويدبر امرهم ويضبط نظامهم ويدعوهم الى طاعتى وانكار الملائكة بقولهم (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتعريضهم باولويتهم لذلك بقولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) هو احتجابهم من ظهور معنى الآلهية والاوصاف الربانية فيه التى هى من خواص الهيئة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصر لما فى الكونين وعلمهم بصدور الافعال البهيمية التى هى الافساد فى الارض والسبعية المعبر عنها بسفك الدماء اللتين هما من خواص قوّة الشهوة والغضب الضرورىّ

بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لايفيد الا انه فعل فعلا واحدا من افعال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا اولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى فى التوراة والميثاق العهد الشديد (لاتعبدون الا الله) اى امرالله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لاغيره (وبالوالدين احسانا) اى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لايخالف امرالله تعالى ويوصل اليهما مايحتاجان اليه ولايؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف برالوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب والله على عبده اعظم النعم لانه هو الذى خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا (وذى القربى) اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لايقدر هو ان ينتفع بنفسه ولايقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولاتكتموها قاله ابن عباس والوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر * وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ماوفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) اى اعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبدالله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد (وانتم معرضون) اى كاعراض آبائكم * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لاتسفكون) اى لاتريقون (دماءكم) اى لايسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لاتسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم (ولاتخرجون انفسكم من دياركم) اى لايخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لاتفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم اقررتم) اى بهذا العهد انه حق

(وانتم)

وجودهما فى تعلق الروح بالبدن وبنزاهة ذواتهم وتقدس نفوسهم عن ذلك اذ كل طبقة من الملائكة المقدسة تطلع على ماتحتها ومافى انفسها ولاتطلع على مافوقها فهى تعلم انه لابد فى تعلق الروح العلوى النورانى بالبدن السفلى الظلمانى من واسطة تناسب الروح من وجه وتناسب الجسم من وجه هى النفس وهى مأوى كل شر ومنبع كل فساد ولاتعلم ان الجمعة الانسانية جالبة للنور الالهى الذى هو سر (قال انى اعلم مالاتعلمون) والفرق بين التسبيح والتقديس ان التسبيح هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه عن التعلق بالمحل وقبول الانفعال وشوائب الامكان والتعدد فى ذاته وصفاته وكون شئ من كمالاته بالقوة فالتقديس اخص اذ كل مقدس مسبح وليس كل مسبح مقدسا فالملائكة المقربون الذين هم الارواح المجردة بتجردهم وعدم احتياجهم وقهرهم ماتحتهم بافاضة النور عليهم وتأثيرهم فى غيرهم وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدسون

(وانتم تشهدون) يعنى انتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم انتم هؤلاء) يعنى ياهؤلاء اليهود (تقتلون انفسكم) اى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) اى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم اسارى) جمع اسير (تفدوهم) اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لايقتل بعضهم بعضا ولايخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحيى ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء * قال الله عزوجل (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لا على الفداء لانهم اتوا ببعض ماوجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعنى يامعشر اليهود (الا خزى فى الحياة الدنيا) اى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى اريحاء واذرعات من ارض الشام (ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (اولئك الذين اشتروا) اى استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلايخفف عنهم العذاب) اى فلايهون عليهم (ولاهم ينصرون) اى ولايمنعون من عذاب الله تعالى قوله عزوجل (ولقد آتينا) اى اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة جملة واحدة (وقفينا) اى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفوا اثر الآخر (من بعده بالرسل) يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم فى اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارمياء وخرقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) اى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وايدناه) اى وقويناه (بروح القدس) قيل اراد بالروح الذى

وغيرهم من الملائكة السماوية والارضية محجون ببساطة ذواتهم وخواص افعالهم وكمالاتهم (وعلم آدم الاسماء كلها) اى القى فى قلبه خواص الاشياء التى تعرف بها هى ومنافعها ومضاها (ثم عرضهم) اى عرض مسمياتها (على الملائكة) بشهودهم البنية الانسانية ومرافقتهم لآدم لا التنزيل ومعنى قوله (فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ارادته لانتعاشهم ببعض معلومات الانسان باقتضاء التركيب الانسانى وتأدى محسوساته ومعلوماته المتنوعة منها والحادثة فيه بخاصة التركيب والهيئة الاجتماعية الى ذواتهم بعد مالم تكن اذ علومهم تابعة لعلمه وهو معنى انبائهم وتعلق ارادته بذلك امر آدم بالانباء اذ جميع القوى الانسانية والملائكة التى بحضرته تنتعش بما تنتعش هى فى ضمن ذلك الكل وهو معنى انباء آدم اياهم ومعنى قوله (قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) شهادة وجوداتهم بالدلالة

نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبدالله وامة الله وبيت الله • وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى • وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا • وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط • وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبدالله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فأتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (افكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم) اى تعاظمتم من الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكرياء ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه • قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) اى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم) اى بئس شئ اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم (ان يكفروا بما انزل الله) يعنى القرآن (بغيا) اى حسدا (ان ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) اى فرجعوا (بغضب على غضب) اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم • وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن • وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) اى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله

(قالوا)

والسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الانسانية وتخلفهم عن شأوها وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالاجمال وعلمهم بامتناع ترقيهم الى مراتبهم بكسب العلوم ادكمالاتهم مقارنة لوجوداتهم وبان علمه تعالى فوق علمهم فهو العليم المطلق والحكيم الذى لا يفعل الا ما ينبغى ولهذا (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم) ولم يقل علمهم لان العلم المكتسب الموجود للترقى هو من خاصية الجمعية الانسانية فلا يقبل كل منها الا ما فى طباعه من جنس مدركاته لا غير وكما ان البصر مثلا من كثرة مبصراته لا يزيد عما ورتبة ولا يقبل الا ما هو من جنس المبصرات فقط وان تكثرت عنده فكذلك حال كل قوة باطنة ومعنى (قال الم اقل قال لكم انى اعلم غيب السموات والارض) تقريره فى طباع الملائكة انه تعالى يعلم ما لا يعلمون من غيب السموات والارض الذى هو سر المعرفة والمحبة المودع فى الانسان الذى استأثر الله بعلمه (واعلم ما تبدون) من علمكم بمفاسد

(قالوا نؤمن بما انزل علينا) يعنى التوراة وما انزل على انبيائهم (ويكفرون بما وراءه) اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون انبياء الله من قبل) انما اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها (ان كنتم مؤمنين) اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء * قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وانتم ظالمون) انما كرره لتبكيتهم وتأكيد الحجة عليهم (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى استجيبوا واطيعوا اى فيما امرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) اى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى فى النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) اى بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود (ان كانت لكم الدار الآخرة) يعنى الجنة (خالصة) لكم (من دون الناس فتمنوا الموت) اى فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهودى الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه ابدا) اى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت ايديهم) يعنى من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكانوا اولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود (احرص الناس على حياة) اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب (ومن الذين اشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا * فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر * قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس (يود احدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اى يتمنى احدهم (لو يعمر الف سنة) اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود

الانسان (وما كنتم تكتمون) من ترجيحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدسها (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له وطاعتهم وتسخرهم له (فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر) وابليس هو القوة الوهمية لانها ليست من الملائكة الارضية الصرفة المحجوبة عن ادراك المعانى بادراك الصور فيذعن بالقهر مطاوعة لامر الله ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالمحبة طالبا رضا الله وكان جنيا اى من جملة الملكوت السفلية والقوى الارضية نشأ وتربى بين ظهور الملائكة السماوية لادراكه المعانى الجزئية وترقيه الى الافق العقلى ولهذا كان فى الحيوانات العجم بمنزلة العقل فى الانسان واباؤه عدم انقياده للعقل وامتناعه لقبول حكمه واستكباره تفوقه على الخلقة الطينية والملائكة السماوية والارضية بعدم وقوفه على حده من ادراك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعديه عن طوره بخوضه فى

لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزارسال اى عش الف سنة اوالف نير وزاوالف
مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو
بمزحزحه) اى بمباعده (من العذاب) اى النار (ان يعمر) اى لو عمر طول عمره لاينقذه
من العذاب (والله بصير بما يعملون) اى لايخفى عليه خافية من احوالهم * قوله عز وجل
(قل من كان عدوّا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن صوريا حبر
من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك
عدوّنا ولو كان ميكائيل لآمنابك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا
واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له
بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل
وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله فلما كبر
ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية * وقيل
قالوا ان الله امره ان يجعل النبوّة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب
كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يوما ما فى اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله
ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد
صلى الله عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال
جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان
ميكائيل يجئ بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم
قالوا نعم قال فاخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن
كان عدوّا لهما كان عدوّ الله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه
بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله
لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل
كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله
(فانه نزله) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص
القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) اى بامره (مصدقا) اى موافقا (لما بين يديه)
اى لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) اى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال
الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوابها (من كان عدوّا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال) لما بين فى الآية الاولى ان من كان عدوّا لجبريل لاجل انه نزل
بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوّ الله لان الله تعالى هو الذى نزله
على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوّا لاحد هؤلاء فانه عدوّ لجميعهم وبين ان الله عدوّه
بقوله (فان الله عدوّ للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لاتضره ولاتؤثر وعداوته لهم تؤديهم
الى العذاب الدائم الذى لاضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته

المعانى العقلية والاحكام
الكلية (وكان من الكافرين)
المحجوبين فى الازل عن
الانوار العقلية والزوجية
فضلا عن نور الوحدة
(وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة) زوجته
هى النفس وسميت حوّاء
لملازمتها الجسم الظلمانى
اذ الحوة هى اللون الذى
يغلب عليه السواد كما انّ
القلب سمى آدم لتعلقه
بالجسم دون الملازمة
بالانطباع اذ الادمة هى
السمرة اى اللون الذى
يضرب الى السواد ولولا
تعلقه لما سمى ادم والجنة
المأمور بملازمتهما اياها
هى سماء عالم الروح التى
هى روضة القدس اى
الزما سماء الروح (وكلا
منها رغدا حيث شئتما)
اى توسعا وتفسحا فى تلق
معانيها ومعارفها وحكمها
التى هى الاقوات القلبية
والفواكه الروحية توسعا
بالغا على اىّ مرتبة وحال
ومقام شئتما اذ هى دائمة
غير منقطعة ولا محجورة
(ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين)
الواضعين النور فى محل
الظلمة الذى ليس موضعه
والناقصين من نور استعداد

فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله واهل طاعته * وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم * وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما * وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان * وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبدالله وعبدالله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (ومايكفر بها) اى وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما امروا به (اوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ماعهد الينا فى محمد عهد فانزل الله هذه الآية * اوكلما استفهام انكار. عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه فى كتابنا. وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) اى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل اكثرهم لايؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام * وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) * قيل اراد بالكتاب القرآن * وقيل التوراة * وهو الاقرب لان النبذ لايكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن * انما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولايعملون بها * وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لايعلمون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة * وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر قليلا * قوله عزوجل (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ماتتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر * وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك * وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر فى زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه * فاما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه

كاوحظكما من عالم النور فان الظلم فى العرف هو وضع الشئ فى غير موضعه وفى اللغة نقص الحق والحظ الواجب (فازلهما الشيطان عنها) اى حملهما على الزلة من مقامهما الى مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل الملاذ الجسمانية ودوامها عليهما (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والروح الدائم وقيل بينما هما يتفرجان فى الجنة اذ راعهما طاوس تجلى لهما على سور الجنة فدنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار وقيل توسل بحية تسور الجنة فاخذ بذنبها وصعد الجنة والاول اشارة الى توسله من قبل الشهوة خارج الجنة والثانى الى توسله بالغضب وتسوره جدار الجنة اشارة الى ان الغضب اقرب الى الافق الروحانى والحيز القلبى من الشهوة (وقلنا اهبطوا) اى الزمناهم الهبوط الى الجهة السفلية التى هى العالم الجسمانى (بعضكم لبعض عدو) حال من الهبوط مقيد له اذ الهبوط الى الدنيا التى هى الجهة السفلية يستلزم كون

براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان)
يعني بالسحر ولم يعمل به* وفيه تنزيه سليمان من السحر* وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان
وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر* وقيل ان السحرة من
اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك* وقيل ان بعض احبار اليهود قال
الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان
يعني ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافراه ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق
بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا
*ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر
·وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه
·لا يفعل الا في خفية· وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك
عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما اري الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه
اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة* واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل* ومذهب
اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة
في قلب الاعيان* وروى عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص
على من قتل به* وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار
على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء* وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا
ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت· ويدل على ذلك ان الكلام
تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان
* واما حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها· ويحرم تعلمه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس
التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا
باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات* والسحر على قسمين· احدهما يكفر به صاحبه وهو ان
يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر
الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي* والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي
يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة
ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو
من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روى عن مالك ان حفصة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطأ
* قوله عز وجل (وما انزل على الملكين) اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا
بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلماه وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران

مطالبها جزئية في ضيق
المادة محصورة لا تحتمل
الشركة وكلما حظي بها احد
حرم منها غيره فمنعه فيقع
بينهما العداوة والبغضاء
بخلاف المطالب الكلية
وجمع الخطاب لان خطابهما
خطاب النوع اذ الاصل
يتناول الفرع (ولكم
في الارض) اي في هذه
الجهة (مستقر) استقرار
(ومتاع) تمتع (الى حين)
اي حين تجردهما بالموت
الارادي او انقطاع حظوظهما
بالموت الطبيعي وقيام
احد القيامتين الكبرى
او الصغرى (فتلقى آدم
من ربه كلمات) اي استقبل
من جهة ربه انوارا او اطوارا
اي مراتب من الملكوت
والجبروت وارواحا مجردة
اذ كل مجرد كلمة لانه من عالم
الامر كما سمي عيسى كلمة
او تلقن منه معارف وعلوما
وحقائق (فتاب عليه)
تقبل رجوعه اليه
بالتجرد عن الملابس
الطبيعية والانخراط في
سلك الانوار الملكوتية
والاتصاف بالكمالات
القدسية والتحلي بالعلوم
الحقيقية واصل تاب عليه الق

كانا ببابل * وقيل عجلان * ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام (فان قلت
كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر
(قلت قال ابن جرير الطبرى ان الله تعالى عرّف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم
امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان
للامر والنهى معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بنى آدم عنه فغير منكر ان يكون لله تعالى
علّمه الملكين الذين سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان
لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر ومن التفريق
بين المرء وزوجه فيتمحص المؤمن بتركه التعليم منهما ويخزى الكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما
ويكون الملكان فى تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان من اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك
وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر
اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه
ويأمران باجتنابه فالشقى من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما
وترك تعلم السحر منهما (وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما فى ذلك الزمان فالشقى من تعلم السحر
منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن
بنى اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى (ببابل)
قيل هى بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود * وقيل
انها بابل نهاوند والاول اصح واشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان * وقصة الآية
على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بنى آدم الخبيثة
فى زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض واخترتهم وهم
يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا
قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما
الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت
عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر
فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما
شهر حتى افتتنا * وقيل بل افتتنا فى اول يوم * وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت
من اجمل اهل فارس * وقيل كانت ملكة فلما رأياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل
سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت
فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر
فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها
قدح خمر وفى انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس
فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا
بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة * وقيل انهما سجدا للصنم (وقيل جاءتهما امرأة

الرجوع عليه وجعله راجعا
ولعمرى انها هو التوبة
المقبولة لا الرجوع الناشئ
من قبله (انه هو التوّاب)
الكثير القبول لتوبة عباده
(الرحيم) الذى سبقت
رحمته غضبه فيرحم عبده
فى عين غضبه كما جعل غضبه
على آدم سبب كماله ورجوعه
اليه وبعده ليقرب منه (قلنا
اهبطوا منها جميعا) كرّر
ذلك الامر بالهبوط ليفيد انه
هو الذى اراد ذلك ولولا
ارادته لما قدر ابليس على
اغوائهم ولهذا اسند الاهباط
الى نفسه مجرّدا عن التعليق
بالسبب بعد اسناد
اخراجهما الى الشيطان فهو
قريب مما قال لنبيه وما رميت
اذ رميت ولكنّ الله رمى
فتفطن منه سرّ قضائه
وقدره وبين وجه حكمة
الاهباط بتعقيبه بقوله (فامّا
يأتينكم منى هدى فمن تبع
هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) وايراده
بالفاء اذ لولا الهبوط لما
امكنهم من متابعة الهدى
ولما تميز السعيد والشقىّ
ولا حصل استحقاق الثواب
والعقاب ولبطل دار الجزاء من
الجنة والنار بل ما وجدت
والهدى هو الشرع فمن تبعه

من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لى صنما اعبده ان انتما صليتما معى عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركى حتى تعلمانى اياه فقال احدهما للآخر علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا * فذهب بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وانكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا (قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبى عليه السلام واخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان. قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة. وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد. وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل من الناس فقالا من اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا اوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

* (فصل فى القول بعصمة الملائكة) * اجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق ائمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم * ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة * فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية . وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين. واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فى نقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن على بن ابى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد * واجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله

امن سوء العاقبة فلم يخف مما ياتى من العقاب والفناء ونسلى عن الشهوات واللذات فلم يحزن على ما فاته من حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه الى ما لا يقاس بلذات الدنيا من الاذواق الروحانية والفتوحات السرية والمشاهدات القلبية والعلوم العقلية والمواجيد النفسية (والذين كفروا) اى حجبوا عن الدين لكونه فى مقابلة اتباع الهدى وارداقه بقوله (وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار) اى نار الحرمان (هم فيها خالدون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون) بنو اسرائيل هم اهل اللطف الالهى وارباب نعمة الهداية والنبوة دعاهم بالالطاف وتذكير النعمة السابقة والعهد السالف المأخوذ منهم فى التوراة بتوحيد الافعال بعد العهد الازلى كما هو عادة الاحباب عند الجفاء

المفسرون واهل الاخبار فی ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فی هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وماكفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه الشياطين واتبعتهم فی ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم * وذكروا ايضا فی الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها * الاول ان فی القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونی قالوا سبحانك ماكان ينبغی لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم * الوجه الثانی انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لايخير من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما * الوجه الثالث ان المرأة الفاجرة فكيف يعقل انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها فی قوله فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس * فبان بهذه الوجوه ركاكة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه * والاولى تنزيه الملائكة عن كل مالايليق بمنصبهم * وقوله تعالى (ومايعلمان من احد حتى يقولا) يعنى ومايعلمان احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا (انما نحن فتنة) اى ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) اى لاتتعلم السحر فتعمل به فتكفر * قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فی السماء فذلك الايمان والمعرفة ينزل شئ اسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من الملكين (مايفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى يكون سببا فی التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فی العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر له تأثير فی نفسه بدليل قوله (وماهم) يعنى السحرة (بضارين به) اى بالسحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله) اى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) اى اختار السحر (ماله فی الآخرة من خلاق) يعنى ماله نصيب فی الجنة (ولبئس ماشروا به انفسهم) اى باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا فی قوله ولقد علموا على التوكيد القسمی ثم نفاه عنهم آخرا فی قوله لو كانوا يعلمون (قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله فی الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وماجاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر ومايؤثمهم (لمثوبة من عند الله) اى لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا) سبب نزول

---

* المرء بيننا رحم ووصل *
* وكان بنا المودة والاخاء *
وهذه الدعوة مخصوصة بتوحيد الصفات الذى هو رفع الحجاب الثانی فهی اخص الدعوة الاولى العامة لتذكير النعمة الدينية والعهد والتجلی بصفة المنعم والولی والتهديد على عدم اجابتها بالرهبة التی هی اخص من الخوف فان الخوف انما يكون من العقاب والرهبة من السخط والقهر والاعراض والاحتجاب والخشية اخص منها لكونها مخصوصة باحتجاب الذات قال الله تعالى يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وكذا الهيبة لانها قرنت بعظمة الذات (وآمنوا بما انزلت) من القرآن على حبيبی من توحيد الصفات (مصدقا لما معكم) فی التوراة من توحيد الافعال (ولا تكونوا اول كافر به) اى اول محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم (ولا تشتروا) اى لاتستبدلوا (بآياتی) الدالة على تجليات ذاتی وصفاتی كسورة الاخلاص وآية الكرسی وامثالهما (ثمنا قليلا فاياى

هذه الآية إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراعاة اى ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا
وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت * وقيل من الرعونة
اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعنى احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يامحمد
ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال
لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا اى لكى لايجد اليهود بذلك
سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اى انظر الينا وقيل معناه
انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اى ماتؤمرون به واطيعوا نهى الله تعالى عباده
المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم
بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعانى ادقها
وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولايخاطبوه بمايسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود
(عذاب اليم) اى مؤلم (مايود) اى مايحب (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود
(ولا المشركين) يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين
بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (ان ينزل عليكم من خير
من ربكم) يعنى ماانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحى والنبوة وانما كرهت
اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا
لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ماهذا الذى تدعوننا اليه بخير
مما نحن فيه ولوددنا لوكان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته
من يشاء) يعنى انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان
والهداية على من احب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى ان كل
خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم
لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عز وجل (ماننسخ من آية اوننسها)
الآية * وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا مايقول الا من تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بماينزل قالوا انما انت مفتر فانزل ماننسخ من آية
فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وانه من عنده لامن عند محمد صلى الله عليه وسلم
* واصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب
الى كتاب آخر وذلك لايقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب آخر
فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة
واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس
الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد
من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه * (فصل فى حكم النسخ) * هو فى اصطلاح

فاتقون) اى جنتكم النفسية
لتأذيكم بالالذاذ الحسية وثواب
الاعمال بتوحيد الافعال وان
اتقيتم من الشرك فاتقوا
سطوة قهرى وجلالى
وحجابى بابتغاء رضاى فلا
تثبتوا صفة لغيرى
(ولاتلبسوا الحق بالباطل
وتكتموا الحق) اى ولاتخلطوا
صفاته تعالى الثابتة كعلمه
وقدرته وارادته بالباطل
الذى هو صفات نفوسكم
بظهورها بصفاتها وعدم تمييزكم
بين دواعيها وخواطرها
ودواعى الحق وخواطره
ولاتكتموها بحجاب صفات
النفس وسترها اياها عند
ظهورها (وانتم تعلمون)
من علم توحيد الافعال ان
مصدر الفعل هو الصفة
فكما لم تسندوا الفعل الى
غيره لاتثبتوا صفة لغيره
(واقيموا الصلاة وآتوا
الزكوة) طلبا لمرضاتى
لارجاء لثوابى ومصداقه
قوله (واركعوا مع
الراكعين) اذ الركوع هو
الخضوع والاذعان لما يفعل
به فهو علامة الرضا الذى
هو ميراث تجلى الصفات
وغايته اى ارضوا بقضائى
عند مطالعة صفاتى والتوجه
عند القيام بالفعل

العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لاتصح الامع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما * الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا * الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ماننسخ من آية اوننساها نأت بخير منها اومثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا * (مسئلة) * قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لاينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ننسخ من آية اوننساها نأت بخير منها اومثلها * وذلك يفيد انه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لاتكون خيرا من القرآن ولامثله * واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لاوصية لوارث * اجاب الشافعى رضى الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى اصول الفقه * ثم النسخ فى القرآن على وجوه احدها مارفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الابسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها * اخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما * الوجه الثانى مارفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم وروى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل مانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة اوكان الحبل اوالاعتراف اخرجه مسلم والبخارى بنحوه * الوجه الثالث مارفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت

علامة طلب الثواب والاجر لاستقلال النفس بصورتها والسجود الذى هو غاية الخضوع علامة الفناء فى الوحدة عند تجلى الذات (اتأمرون الناس بالبر) الذى هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وزكاة النفس الزائد منها التنور (وتنسون انفسكم) افلا تفعلون ماترتقون به من مقام تجلى الافعال الى تجلى الصفات (وانتم تتلون الكتاب) كتاب فطرتكم الذى يأمركم باتباع محمد فى دينه السالك بكم سبيل التوحيد (افلا تعقلون) تعبير بالسخ وتهييج لحيتهم (واستعينوا) واطلبوا العون والمدد من له القدرة اذلاقدرة لكم على افعالكم (بالصبر) على ماتكرهون مما نفعل بكم وتكليفكم ونبتليكم به لكى تصلوا الى مقام الرضا (والصلوة) التى هى حضور القلب لتلقى تجليات الصفات (وانها) وان المراقبة اى الحضور القلبى (لكبيرة) لشاقة ثقيلة (الاعلى الخاشعين) المنكسرة البنية قلوبهم لقبول انوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطوات التجليات القهرية

بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن واما معنى الآية فقوله ماننسخ من آية اى نرفعا او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك * وقال ابن عباس نتركها لاننسخها * وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ لاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلاننزلها او نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ماننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننساها اى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلاننزلها (نات بخير منها) اى بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (او مثلها) اى فى المنفعة الثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان عليهم خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام ايام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر اما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث امره الله (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من احكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ماشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من امر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحد والنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اى مما سوى الله (من ولى) اى قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور (ولانصير) اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولانصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم * قوله عز وجل (ام تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اتريدون وقيل بل تريدون ان تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا

الذين يثقنون انهم بحضرة ربهم اى حضرة الصفات لدلالة الرب عليها فى حال لقائه (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) بفناء صفاتهم ومحوها فى صفاته * كرّر الخطاب ليفيد انّ الذى هداهم اوّلا ولطف بهم وفضلهم على عالمى زمانهم المحجوبين بالهداية الى رفع الحجاب الاوّل هو الذى يهديهم ثانيا فكما لم يردبهم شرّا فى الهداية الاولى فكذلك فى الثانية لايريد بهم الاخيرا (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى) اى حال تجلى صفة القهر حين لاتغنى (نفس عن نفس شيا) من الاغناء لعدم القدرة لاحد (ولايقبل منها شفاعة) لعدم الشفاعة والعدد اذ كلهم مسلوبوا الصفات والافعال كقوله * ولاترى الضب بها ينجحر * (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية لعدم الملك لاحد (ولاهم ينصرون) لامتناع القوّة والنصرة غيره تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون) ظاهره

ارنا الله جهرة فني الاية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) اى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اى اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين اعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطأ قصد السبيل * قوله عز وجل (ود كثير من اهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) اى يا معشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عن مستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لما روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد * وقوله (من عند انفسهم) اى من تلقاء انفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم دينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) اى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بامره) بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو امر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما امر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد (ان الله بما تعملون بصير) اى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى * قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (او نصارى) وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى

وتفسيره على ما يفهم من تذكير العدد لتهييج المحبة وباطنه وتأويله واذ نجيناكم من آل فرعون النفس الامارة المحجوبة بانانيتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التى استعبدت هى وقواها التى هى الوهم والخيال والمتخيلة والغضب والشهوة والقوى الروحانية التى هى ابناء صفوة الله يعقوب الروح والقوى الطبيعية البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية (يسومونكم سوء العذاب) يكلفونكم المتاعب الصعبة والكد والاعمال الشاقة فى جمع المال وادخاره بالحرص والامل وترتيب الاقوات والملابس وغيرها مما يكدح فيه الحراص ابناء الدنيا ويستعبدونكم فى التفكر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذاتهم التى هى عذاب لذتها اياكم من لذاتكم (يذبحون ابناءكم) التى هى تلك القوى الروحانية من العاقلة النظرية والعاقلة العملية التين هما عينا القلب النظرية اليمنى والعملية اليسرى والفهم الذى هو سمع القلب والسر الذى هو قلب القلب والفكر والذكر

اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله (تلك امانيهم) اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لايدخلها الامن كان يهوديا اونصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون * ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) اى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من اسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص فى دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله (فله اجره عند ربه) اى ثواب عمله (ولاخوف عليهم) اى فى الآخرة (ولاهم يحزنون) اى على مافاتهم من الدنيا * قوله عزوجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ماأنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق مافى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا مااخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ماقاله (كذلك قال الذين لايعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) اى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من امر الدين * قوله عزوجل (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اى ومن اكفر وابغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اى يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل بختنصر المجوسى من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل

(ويستحيون نساءكم) القوى الطبيعية المذكورة بمنع الطائفة الاولى عن افعالها الخاصة بالقهر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الروح ومدده واقدار الطائفة الثانية عن افعالها وتمكينها (وفى ذلكم) الانجاء نعمة عظيمة (بلاء من ربكم) هى نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله اوفى ذلكم العذيب نقمة عظيمة من ربكم هى نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد اذالبلاء الذى هو الامتحان يحصل بهما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات (واذفرقنا بكم) بوجودكم (البحر) اى البحر الاسود الزعاق الذى هو المادة الجسمانية لانفلاقها بوجودكم انفلاق الارض من النبات (فانجيناكم) بالتجرد منها (واغرقنا آل فرعون) اى القوى النفسانية فيها بملازمتها اياها وهلاكها بفسادها (وانتم تنظرون) تشاهدون ذلك وعلى هذا امكن ان يؤول بنو اسرائيل فى اول الخطاب بتلك القوى الروحانية والنعمة التى انعم بها عليهم هى التهدى الى قبول الانوار الفائضة عليها من عالم الروح

ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم * قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى او نصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار * وقيل ان الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام * وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالموسم لما انزلت سورة براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام * قلت يجوز ان يجئ الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين * فان قلت اى القولين ارجح * قلت رجح الطبرى القول الاول * وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه * وايضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال * قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية * قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقال ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومى وكان ابن عمر يفعله وفى رواية المسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله

وتاق المعارف والحكم وايفاؤهم بالعهد وابرازهم ماركز فيها بحسب الاستعداد الاول من الادلة التوحيدية والمعانى الكلية الكامنة فيها بالتصفية ومزاولة ما يختص بها من الافعال وايفاؤه بعهدهم افاضة النور الكمالى عليها عند قيامها بحق النور الاستعدادى بالتصفية واستعمال ما عندها من المعانى وان كنتم رهبتم شيئا فارهبوا احتجاب انوارى بزوال استعدادكم وآمنوا اى واقبلوا ما افيض عليكم من الاشراقات النورية والسوانح الغيبية مصدقا لما فى استعدادكم من النور الفطرى ولا تكونوا فى اول رتبة المحتجبين عن قبولها بالتوجه الى الجهة السفلية ولا تستبدلوا بها لذات النفس ومقاصدها ولا تخلطوا حق المعارف الروحية والانوار القدسية بباطل المطالب الحسية والصفات النفسية وتكتموا تلك الانوار والمعارف بظهور هذه عليكم واقيموا وادعوا التوجه الى حضرة الروح وامتثال امره وآتوا زكاة معلوماتكم التى هى اموالكم بتعففها وتزكيها لتحرزوا بها ثواب

هذه الآية * وقيل انها نزلت فى تخيير النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحى ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله اى فهنالك قبلة الله التى وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة * وقيل فثم رضا الله اى يريدون بالتوجه اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى اى يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) اى بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء (مسئلة تتعلق بحكم الآية) * وهى ان المسافر اذا كان فى مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد فى طلبها بنوع من الدلائل ويصلى الى الجهة التى ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جزع بحيث لا يمكنه الاستقبال * قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) اى تنزيه الله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة اوولدا (بل له مافى السموات والارض) يعنى عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما * وقيل ان الولد لابد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير * وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعنى ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية * وقيل قانتون اى مذللون مسخرون لما خلقوا له * واختلف العلماء فى حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين * احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار * وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلكوا فى الكفار طريقين * احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه * والثانى ان هذه الطاعة تكون فى يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء الى شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضى ذلك * قوله عز وجل (بديع السموات والارض) اى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء اى يحدثها مما لم يكن (واذا قضى امرا)

التنائج واللوازم وانفقوها على فقرائكم الذين بحضرتكم من القوى البدنية الطبيعية ليعيشوا بها ويكتسبوا بها الاخلاق الفاضلة والملكات الجميلة وعلوها ابناء جنسكم ليكملوا بها واركعوا واخضعوا لقبول الاوامر العقلية والانوار الروحية والاعمال القلبية اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اتسوسون ماتحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والترقى الى مقامكم والتأدب بآدابكم وتنسون انفسكم فى التأدب بين يدى الله بآداب الروحانيين والتمرن فى المراقبة والتنور بانوار الروح فى مقام المشاهدة والترقى الى مقامه عند الفناء فى الوحدة وانتم تتلون كتاب المعقولات النازلة من رب الروح بواسطة ملك العقل الى نبى القلب افلا تعقلون بالعقل المجرد عن شوب الهوى والوهم واستعينوا بالصبر على مايظهر عليكم ورود من سلطنة انوار سلطان الروح واحكامه وقهر تجليات العظموت والحضور مع الحق وان هذه الاستعانة لشاقة الا على الخاشعين

اى قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه واصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) اى اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده * فان قلت المعدوم لايخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ماهو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود * وقيل اللام فى قوله له لام اجل فيكون المعنى اذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لايعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هم مشركو العرب (لولا) اى هلا (يكلمنا الله) اى عيانا بانك رسوله (اوتأتينا آية) اى دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) اى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ماليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ماقال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم واعمالهم * وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) اى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) اى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام * وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق (بشيرا) اى مبشرا لاوليائى واهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لاعدائى واهل معصيتى بالعذاب الاليم (ولاتسأل) قرئ بفتح التاء على النهى * قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى مافعل ابواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ماارسلت به ولاتسأل عن اصحاب الجحيم * وقرئ ولاتسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر * وقيل على النفى والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبليغ ماارسلت به فانما عليك البلاغ (عن اصحاب الجحيم) اى عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية * والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى امر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لايتصور اذ لايجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم (قل) اى يامحمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى)

المرتاضين المذعنين لانقياد امر القلب والروح المتيقنين بانهم بحضرته وفى لقائه وانهم يرجعون اليه فى قبول انواره وتفضيلهم على العالمين هو شرفهم على جميع مافى الانسان من القوى (واذ واعدنا موسى) بعد فراغه عن مقاومة آل فرعون واهلاكهم (اربعين ليلة) يخلص لنا فيها لترفع بها الغشاوات الطبيعية التى حجبت قلبه عن معدن النور فى الاربعين التى خلق فيها بدنه عند تكونه جنينا واحتجابه بالنشأة عن الفطرة كما ورد فى الحديث خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وعن وجه قلبه وتظهر حكمة التوراة من قلبه على لسانه (ثم اتخذتم العجل من بعده) عجل النفس الحيوانية الناقصة الهامن بعد انتزاله وغيبته عنكم (وانتم ظالمون) واضعون العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) الفعل الشنيع والظلم القبيح بتوبتكم عند رجوع موسى اليكم لكى تشكروا النعمة عفوى بتصور تلك النعمة عن المنعم فتستعدوا لقبول تجلى صفة الام وعلى التأويل الثانى

اى يصح ان يسمى هدى (ولئن اتبعت) يامحمد (اهواءهم) يعنى اهواءاليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعدالذى جاءك من العلم) اى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى يلى امرك ويقوم بك (ولانصير) اى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم اؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقدعصمته فلاتتبعوا انتم اهواء الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم بعدالذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولانصير * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت فى اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب * وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة * وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل لايغيرونه ولايحرفونه ولايبدلون مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا فى معانيه وحقائقه واسراره (اولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) اى يصدقون به * فان قلنا ان الآية فى اهل الكتاب فيكون المعنى المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) اى بجحد مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى ايادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من ايدى عدوكم فى نعم كثيرة انعمت بها عليكم (وانى فضلتكم على العالمين) اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم * وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها فى اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ) وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بنى اسرائيل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لاتجزى فيه نفس عن نفس شيأ (ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة) اى لايقبل منها فدية ولايشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن اذن له ومعنى الآية ولاتنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه * وقيل انه رد على اليهود فى قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (ولاهم ينصرون) اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل (واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم اعجمى ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز * وقيل بابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى ارض بابل وهى

واعدنا موسى القلب عند تعلقه بالبدن واحتجابه عن قومه القوى الروحانية الاربعين التى خلقت فيها بنية بدنه ثم تعبدتم عجل النفس الحيوانية الطفل من بعد غيبته واحتجابه فى حال الصبا لعلكم تشكرون) التعبد بالبلوغ الحقيقى وظهور نور القلب بتجردكم لكى تشكروا نعمة توفيقى اياكم لذلك التجرد وتهيئتى لاسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتى (واذآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذقال موسى لقومه ياقوم انكم) القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتميز الفارق بين الحق والباطل لكى تهتدوا بنور هداه وعلى الوجه الاول غنى عن التأويل (ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) نقصتم حقوقها وحظوظها من الثواب والتجليات المذكورة (فتوبوا الى بارئكم) الى خالقكم برفع الحجاب الاول لدلالة ذكر البارئ عليه (فاقتلوا انفسكم ذلكم خيرلكم عند بارئكم فتاب عليكم

ارض نمرود، الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب فى الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده، ومن ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره * والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات * واختلفوا فى تلك الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام * قال ابن عباس هى ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابرهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امر به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة ايضا فى سورة سأل سائل * وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس * وفى رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء * قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة * وقيل الملة * وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وانها من الفطرة * قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهى لنا سنة * واتفقت العلماء على انها من الملة واما معانيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة الاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها

انه هو التواب الرحيم) بسيف الرياضة ومنعها عن حظوظها وافعالها الخاصة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التى هى روحها التى تحيا هى بها وعلى الثانى الهم القلب قواه انكم نقصتم حقوقكم بتعبد النفس فارجعوا الى بارئكم بنور هداه فامنعوا انفسكم بالرياضة عما ضريتم فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الاصلية فتقبل توبتكم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) لاجل هدايتك الايمان الحقيقى حتى تصل الى مقام المشاهدة والعيان (فاخذتكم الصاعقه) صاعقة الموت الذى هو الفناء فى التجلى الذاتى وانتم تنظرون) تراقبون اوتشاهدون (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكى تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك فى الله (وظللنا عليكم الغمام) غمام تجلى الصفات لكونها حجب شمس الذات المحرقة بالكلية (وانزلنا عليكم المن

واماغسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول * واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع * عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطأ * وقيل في الكلمات انها مناسك الحج * وقيل ابتلاه الله بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها * قيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اى اداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا * واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب * وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى (قال اني جاعلك للناس اماما) اى يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتي) اى قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ائمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) اى لا يصيب (عهدي) اى نبوتي وقيل الامامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وآمنا) اى موضعا ذا آمن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله يعضد شوكه اى لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يؤذى منه

(اما)

والسلوى) من الاحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة واسهال رذائل اخلاق النفس كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي تحشرها عليكم رياح الرحمة والنفحات الآلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى تناولوا وتلقوا هذه الطيبات (وما ظلمونا) ما انقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات نفوسهم (ولكن كانوا انفسهم) ناقصين حقوق انفسهم بحرمانها وخسرانها هذا على التأويلين والخطاب وان كان عاما لكنه مخصوص بالسبعين المختارين (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة (وادخلوا الباب) الذي هو الرضا كما ورد في الحديث الرضا بالقضاء باب الله الاعظم (سجدا) منحنين خاضعين لما يرد عليكم من التجليات الوصفية والفعلية والعلية وقوله (وقولوا حطة) اى اطلبوا ان يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم

اماما يؤذى منه كالعوسج فلابأس بقطعه قوله ولاينفر صيده اى لايتعرض له بالاصطياد ولايهاج قوله ولايلتقط لقطته الامن عرفها اى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف والقطة فى جميع الارض لاتحل الالمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى المقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولايختلى خلاه الخلا مقصورا الرطب من النبات الذى يرعى * وقيل هواليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد * وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم * وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هوالحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هوالذى قام ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما امروا بالصلاة عنده لم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاثى قلت يارسول الله لواتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدوقصة المقام على مارواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال اول مااتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاءبها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عندالبيت عند دوحة فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت ياابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولاشئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لايلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذالايضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذاكان عندالثنية حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذانفدمافى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى اوقال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفااقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يامن قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذاهى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أوقال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدماتغرف * قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لوتركت زمزم أوقال لولم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافى الضيعة فان ههنا بيتالله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لايضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أوأهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا

واخلاقكم وافعالكم (نغفر لكم خطاياكم) تلوينا تكم وذنوب احوالكم (وسنزيد المحسنين) اى المشاهدين لقوله عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبدالله كأنك تراه ثواب احسانهم الذى هو كشف الذات اواحسانهم بالسلوك فى الله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى طلبوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية كماروى عنهم حنطا سمقاثا اى نطلب غذاء النفس (فانزلنا على الذين ظلموا) على الظالمين (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا وضنكا وضيقا وظلمة فى حبس النفس واسرا فى وثاق التمنى واحتجابا فى قيد الهوى وحرمانا وذلا بمحبة المادة السفلية وتغيرها وزوالها من جهة قهر سماء الروح ومنع اللطف والروح عنهم بسبب فسقهم اى خروجهم عن طاعة النفس وتركنا التأويل الثانى لقربه منه جدا (واذاستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك

في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء
فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا
تأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم
حتى اذا كانوا بها أهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب
فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته
فلم يجد اسمعيل فسال امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب بصيد لنا ثم سألها عن
عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئي
عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت
نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل
أوصاك بشيء قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي وقد
امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث
ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسال عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسالها
عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عزوجل فقال وما طعامكم قالت
اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة الالم
يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته الاتنزل عندنا
فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم
في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه
السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قال نعم اتانا شيخ حسن
الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء
قالت نعم يقرأ عليك السلام ويامرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني
أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من
زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يااسمعيل ان الله أمرني بامر
قال فاصنع ماأمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة
مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى
اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة
وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ
عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم
وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه
الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق
رأسه الايسر فبقي أثر قدميه عليه * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس

الحجر) طلب نزول امطار
العلوم والحكم والمعاني
من سماء الروح فأمرناه
بضرب عصا النفس التي
يتوكاء عليها في تعلقه بالبدن
وثباته على ارضه بالفكر
على حجر الدماغ الذي هو
منشا العقل (فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا) من
مياه العلوم على عدد المشاعر
الانسانية التي هي الحواس
الخمس الظاهرة والخمس
الباطنة والعاقلة النظرية
والعملية ولهذا قال عليه
الصلاة والسلام من فقد
حسا فقد فقد علما (قد علم كل
اناس مشربهم) اى اهل
كل علم مشربهم من ذلك
العلم كاهل الصناعات
والعلماء العاملين من مشرب
العقل العملي والحكماء
والعارفين من النظري
والصباغين من علم الالوان
المبصرة واهل صناعة
الموسيقى من علم الاصوات
وغير ذلك وعلى التأويل
الثاني امرنا موسى القلب
بضرب عصا النفس على
حجر الدماغ فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا هي المشاعر
المذكورة التي تختص كل
واحدة منها بقوة من القوى
الاثنتي عشرة المذكورة
التي هي اسباط يعقوب

نورهما لاضاء مابين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا فى قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التى هى الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قبله أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لايعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه (وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل) اى امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما * قيل انما سمى اسمعيل لان ابرهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول فى دعائه اسمع ياايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (ان طهرا بيتى) يعنى الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اى ابنياه على الطهارة والتوحيد * وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعنى الدائرين حوله (والعاكفين) يعنى المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون * وقيل الطائفين يعنى الغرباء الوار دين الى مكة والعاكفين يعنى اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل * قوله عزوجل (واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) اى ذا امن يأمن فيه اهله وانما دعا ابراهيم له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شى من النواحى فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين * احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم * القول الثانى انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عزوجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم (وارزق اهله من الثمرات)

الروح قد علم كل منهما مشربه (كلوا واشربوا من رزق الله) اى انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والاحوال والمقامات (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فى الفساد بالجهل (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) اى الغذاء الروحانى من العلم والمعرفة والحكمة (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير) اى اسال لنا ربك يوسع علينا ويرخص لنا فيما تنبته ارض نفوسنا من الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة وكل مافيه حظ النفس وغذاؤها (اهبطوا مصرا) اى مدينة البدن (فان لكم فيها ماسألتم وضربت عليهم الذلة) اللازمة لاتباع الشهوات والحرص فى المقتنيات (والمسكنة) اى دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السفلية (وباؤا) واستحقوا (بغضب) البعد والطرد (من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما

انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة
حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين
من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سال ربه عزوجل
ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك تاديباله
في المسئلة فلاجرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا
يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتعه) اي سارزق الكافر أيضا (قليلا)
اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره الى عذاب النار) أي الجئه
واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لايملك لنفسه الامتناع مما
اضطراليه (وبئس المصير) اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله
تعالى (واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل) وكانت قصة بناء البيت على ماذ كره العلماء
واصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة
بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا
الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب
شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال ياآدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف
حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس
الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت
فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك ياآدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك
الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم لايعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق
فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ماولد له
اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله
على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة
السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم
حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة
على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها
ياابراهيم ابن على قدر ظلها لاتزد ولاتنقص وقيل ان الريح كنست له ماحول الكعبة حتى ظهر له
اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان
ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع
قاعدة وهي اس البيت وقيل جدرة من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل
من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعد من حراء
جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس
علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابوقبيس

عصوا وكانوا يعتدون)
باحتجابهم عن ايات الله
وتجلياته والباقي ظاهر وعلى
الوجه الثاني وبقتلهم انبياء
القلوب بغير امر ثابت لهم
عليهم يتوجه به ذلك بل
بصرف بالظلم ذلك بعصيانهم
اوامر القلوب والعقول
واعتدائهم عن طورهم
(ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين)
الايمان التقليدي والظاهريين
والباطنيين والذين تعبدوا
ملائكة العقول لاحتجابهم
بالمعقولات وكواكب
القوى النفسانية لاحتجابهم
بالوهميات والخياليات (من
امن منهم)الايمان الحقيقي
(بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا فلهم اجرهم عند ربهم)
والمعاد وابتغوا التوحيد
والقيامة وعملوا ما يصلحهم
للقاء الله ونيل السعادة
في المعاد فلهم الثواب الباقي
الروحاني عند ربهم من
عقوبة افعالهم (ولاهم
يحزنون) بفوات تجليات
الصفات والجملة اعتراض
بين خطاب بني اسرائيل
(واذ اخذنا ميثاقكم) اي
عهدكم السابق او اللاحق
المأخوذ منهم في التوراة
او بدلائل العقل بتوحيد
الافعال والصفات (ورفعنا

(ياابراهيم)

يا ابراهيم انك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمد ابراهيم واسمعيل بسبعة املاك يعينونهما فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ماعملناك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك انت السميع) اى لدعائنا (العليم) يعنى بنياتنا * قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد اوالاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان * احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لاينافى حصوله فى الحال * الوجه الثانى يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لاينافى حصوله فى الحال (ومن ذريتنا) اى من اولادنا (امة) اى جماعة (مسلمة) اى خاضعة منقادة (لك) وانما ادخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لاينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلذا خص بعض الذرية بالدعاء * فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم الاترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وارنا) اى علمنا وبصرنا (مناسكنا) اى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) اى تجاوز عنا (انك انت التواب) أى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لاتطلب من الله الابعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لاينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو اوترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى * قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى الامة المسلمة اوالذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره * واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته

فوقكم الطور) طور الدماغ للتمكن من فهم المعانى وقبولها وقلنا (خذوا) اى اقبلوا (ما آتيناكم بقوة) من التوراة اوكتاب العقل الفرقانى بجدّ (واذكروا مافيه لعلكم تتقون) وهوما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع لكى تتقوا الشرك والجهل والفسق (ثم توليتم) اعرضتم (من بعد ذلك) باقبا لكم الى الجهة السفلية (فلولا فضل الله عليكم) بهدايته العقل (ورحمته) بنور البصيرة والشرع (لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اعلم انّ الناس لواهملوا وتركوا وخلى بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا فى اللذات الجسمانية والغواشى الظلمانية لضراوتهم بها واعتياد هم من الطفولية والصباحتى زالت استعداداتهم وانحطوا عن رتبة الانسانية فمسخوا كما قال تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وان حفظوا وروعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية ترقوا وتنوّروا كما قال الشاعر

بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (يتلو عليهم) اى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ماتوحيه اليه وهو القرآن الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم مافى القرآن من دلائل التوحيد والنبوّة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اوّلا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه واسراره (والحكمة) اى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولايسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لايدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما فى القرآن من الاحكام والحكمة وهى مافيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أودعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) اى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية اى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لايوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لاتناله الايدى * وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اى صلبة قوية (الحكيم) اى العالم الذى لايخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عزوجل (ومن يرغب عن ملة ابرهيم الامن سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن سلام دعا ابنى اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجران يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب

هى النفس ان تهمل تلازم خساسة * وان تبتعث نحو الفضائل تبهج * فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها فى الاوقات المعينة لتزول عنهم بها درن الطباع المتراكم فى اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة فى ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات فتتنوروا منهم بنور الحضور وتنتعش قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط فى هاوية النفس والشرور وتستريح بروح الروح وحبّ الوحدة عن وحشة الهوى وتعلق الكثرة كما قال عليه السلام الصلاة كفارة مابينها من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر ومباشرة الشهوة بتطهير الغسل وعند الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالاشغال الدنيوية فى ساعات اليوم والليل بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس الحاصلة فى النفس بسببها كل بما يناسبه فلذلك وضعوا بازاء وحشة تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بدؤب الاشغال والمكاسب والملابس البدنية والملاذ النفسانية اجتماع يوم واحد على العبادة

عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى رغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف اعرف نفسى وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) اى اخترناه (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى الفائزين * وقيل مع الانبياء فى الجنة (اذ قال له ربه اسلم) اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد * قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم (قال اسلمت لرب العالمين) اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القى فى النار * قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران وشيق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة * فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم * قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا اهم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) اى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توامين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر

والتوجه لزوال وحشة التفرقة بانس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والانس وتزول ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه ويحصل لهم التنور فوضوع لليهود اول ايام الاسابيع لكونهم اهل المبدا والظاهر وللنصارى بعده لانهم اهل المعاد والروحانى والباطن المتأخر عن المبدا والظاهر بالنسبة الينا وللمسلمين آخرها الذى هو يوم الجمعة لكونهم فى آخر الزمان اهل النبوة الخاتمة واهل الوحدة الجامعة للكل وان جعل السبت آخر الايام على ما نقل انه السابع فبالنسبة الى الحق تعالى لان عالم الحس الذى اليه دعوة اليهود هو آخر العوالم وعالم العقل الذى اليه دعوة النصارى اولها والجمعة هى يوم الجمع والختم فمن لم يراع هذه الاوضاع والمراقبات اصلا زال نور استعداده فمسخ كما مسخت اصحاب السبت نهوا عن الصيد اى احراز الحظوظ النفسانية واقتنائها فى يوم السبت فاحتالوا فيه فاتخذوا حياضا على ساحل البحر

ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت يأتى الموت على الانسان * وقيل فى معنى وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عزوجل يدل عليه ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه فى الصحيحين * قوله عزوجل (ام كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ماكنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يامعشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فانى ماابتعثت خليل ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ماقال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذقال) يعنى يعقوب (لبنيه) يعنى لاولاده الاثنى عشر (ماتعبدون) اى اى شئ تعبدون (من بعدى) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرنى حتى اسال ولدى واوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلى ماتعبدون من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله فى جملة الآباء وان كان عمالهم لان العرب تسمى العم أبا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنوابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى (الها واحدا ونحن له مسلمون) اى مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (امة قد خلت) اى مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولاتقولوا عليهم ماليس فيهم (لها ماكسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يامعشر اليهود والنصارى (ماكسبتم) اى من العمل (ولاتسئلون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يسئل عن عمله لاعن غيره * قوله عزوجل (وقالوا كونوا هودا اونصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن اخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الاذلك فانزل الله عزوجل (قل) يعنى يامحمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لابد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم * قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر * ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين *

ليعبسوا فيها الحيتان ويصطادوها يوم الاحداى ادخروا فى سائر ايام الاسبوع من مابحر الهيولى الجرمية والجرمانيات المادية فى حياض بيوتهم ليجمعوا بها انواع المطاعم والمشارب والملاذ والملاهى فاجتمع لهم من كل الحظوظ النفسانية فى يوم السبت ما اكتفوا به سائر ايام الاسبوع ليفرغوا فيها الى الاشتغال بالمكاسب والصناعات والمهن كما هو عادة اليهود اليوم وشطار المسلمين فى الجماعات فان اكثر فسقهم فيها فذلك اعتيادهم فى السبت وهو يدل على ان جميع اوقات حضورهم مصروفة فى هموم الدنيا وطلب حظوظ النفس والهوى كما ترى اليوم واحدا من المسلمين قالبه فى المسجد فى الصلاة وقلبه فى السوق فى المعاملة حتى قال احدهم جريدة حسابى هى الصلاة اى اذا فرغت من اشغال الدنيا الى الصلاة اخذ قلبى فى تصفح تجاراتى ومالى على الناس ومالناس على وذلك موجب للانحطاط عن العالم العلوى الانسانى الى الافق السفلى الحيوانى

والعرب تسمى كل من حج اواختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابرهيم * وقيل الحنيفية الختان
واقامة المناسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابرهيم عليه السلام (وما كان من
المشركين) يعنى ابرهيم * وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابرهيم
وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا ايها المؤمنون
لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا اونصارى تهتدوا آمنا بالله اى صدقنا بالله
(وما انزل الينا) يعنى القرآن (وما انزل الى ابراهيم) يعنى وآمنا بما انزل الى ابرهيم وهو عشر
صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم
سبط وكانوا انبياء * وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد * ومنه قيل للحسن والحسين سبطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى اسمعيل
وكان فى الاسباط انبياء (وما اوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وما اوتى
النبيون من ربهم) والمعنى آمنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التى اوتى جميع النبيين
وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من انبيائه
كانوا على هدى وحق (لا نفرق بين احد منهم) اى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما برأت
اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبياء وكما برأت النصارى
من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق
وهدى (ونحن له مسلمون) اى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ)
عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله
وما انزل الينا الآية * قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) اى
بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم
وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة
والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد
استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم *
وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما هم
فى شقاق) اى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال واصله من الشق
كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص
على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى
وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ انجزه وهو اخبار بغيب
ففيه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى
النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم)
بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان
اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله * وقيل سنة الله وقيل

وهو معنى قوله (فقلنا لهم كونوا قردة) اى مشابهين الناس فى الصورة وليسوا بهم (خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) بعيدين طريدين والمسخ بالحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة وردت به الآيات والاحاديث كقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام الممسوخ ثلاثة عشر ثم عددهم وبين اعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم والحاصل ان من غلب عليه وصف من اوصاف الحيوانات ورسخ فيه بحيث ازال استعداده وتمكن فى طباعه وصار صورة ذاتية له كالماء الذى معه معدن الكبريت مثلا صار طباعه طباع ذلك الحيوان ونفسه نفسه فاتصلت روحه عند المفارقة ببدن يناسب صفته فصارت صفته صورته والله اعلم بذلك (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى النفس

اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم * قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه فى ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن احسن من الله صبغة) اى دينا هو قيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر (ونحن له عابدون) اى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم (اتحاجوننا فى الله) اى اتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى امرنا ان ندين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) اى ونحن وانتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان لكل احد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) اى مخلصوا الطاعة والعبادة له * وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة باية السيف * قوله عز وجل (ام تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى) يعنى اتزعمون ان ابرهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (ءانتم اعلم) يعنى بدينهم (ام الله) اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن اظلم ممن كتم) يعنى اخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا احق بنعته وصفته وجدوا ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه * والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه فى الاخرة (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) اى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) اى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اى لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله * وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتاكيده * وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) اى الجهال من الناس والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين * فقيل نزلت هذه الآية فى اليهود وذلك انهم طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل

الحيوانية وذبحها قمع هواها الذى هو حياتها ومنعها عن افعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة (قالوا اتتخذنا هزوا) مهزوا بنا وتستخفنا لنطيعك وتسخر لك كما جاء فى حق فرعون فاستخف قومه فأطاعوه (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) الاستخفاف والاستهزاء وطلب الترؤس هو فعل الجهال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى سل لنا ربك ماهى (قال انه انه يقول انها بقرة لا فارض) اى غير مسنة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد (ولا بكر) اى فتية لقصور استعدادها عما يراد منها وعسر احتمالها للرياضة لغاية الهوى الطبيعية وقوتها فيها (عوان) نصفة (بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) ماذكر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء) لان لون الجسم اسود لعدم النورية فيه اصلا ولون النفس النباتية اخضر لظهور النورية فيها وغلبة السواد عليها لعدم ادراكها ولون القلب ابيض لتجرده عن

نزلت في مشركي مكة * وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم * وقيل نزلت في المنافقين * وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام * وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا او مجالا جالوا (ماولهم) يعني اى شئ صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يامحمد (لله المشرق والمغرب) يعني ان له قطري المشرق والمغرب ومابينهما ملكا فلا يستحق شئ ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابرهيم عليه السلام * قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم امة وسطا) الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه * احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا * الثاني انه معطوف على قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا * الثالث قيل كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا اخيارا وخير الامور اوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ماترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية * وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاوان هذه الامة توفى سبعين امة هي آخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى * وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجاء

الجسم وقوة ادراكه وكمال نوريته فلزم ان يكون لون النفس الحيوانية في الحيوانات اللحم احمر لتركب نورية ادراكها وسواد تعلقها بالجسم اذ الحمرة لون بين البياض والسواد ومركب منهما لكن السواد فيه اكثر في الانسان اصفر لقلة نورية ادراكها بمجاورة القلب اذا الصفرة حمرة غلبها البياض (فاقع لونها) لصفاء استعدادها وتشعشع شعاع نور الناب عليها (تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي) لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على الاستعدادات لوجوب محبتهم للمستعدين المستبصرين ودونهم لحضورهم (ان البقر تشابه علينا) لكثرة البقر الموصوف بهذه الصفة اى كثرة اصناف المستعدين وماكل مستعد طالبا كما قيل ماكل طبع طالبا ولا كل قابل طالبا ولا كل طالب صابرا ولا كل صابر واجدا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى ذبح هذه البقرة وقولهم ان شاء الله دليل على استعدادهم لعلمهم بان الامور متعلقة

بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا * قوله عزوجل (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) اى وما جعلنا صرفك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكرا لصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة * وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت مامعنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت اراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لايتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب * وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية اى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لتعلم رسلى وحزبى واوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره * وقيل انه قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول اى يطيعه فى امر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى ماكان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) اى وقد كانت (لكبيرة) يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة * وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة * وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجه اليه قبل التحويل وهى بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة * وقيل لتانيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وماكان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس * وذلك ان حيى بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقدمات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قدمات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى لايضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة * وقيل الرافة الرحمة * وقيل فى الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لايضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل * قوله عزوجل (قد نرى تقلب وجهك

(فى السماء)

بمشيئة الله ميسرة بتوفيقه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم يستثنوا لما ظفروا بها ابدا الدهر قال انه يقول انها بقرة (لاذلول) غير مذللة منقادة لامر الشرع (تثير الارض) ارض الاستعداد بالاعمال الصالحة والعبادات (ولا تسقى الحرث) حرث المعارف والحكم التى فيها بالقوة باستقاء ماء العلوم الكسبية والافكار الثاقبة لعدم احتياج مثل هذه البقرة الى الذبح (مسلمة) سلمها اهلها لترعى غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب (لاشية فيها) اى لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذبح (قالوا الآن جئت بالحق) الثابت فى بيان المستعد المشتاق الطالب للكمال (فذبحوها وماكادوا يفعلون) لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمقهم فى البحث والتفتيش عن حالها وفضول كلامهم فى بيانها التى تدل على عدم انقيادا لنفس بالسرعة وابائها للرياضة وغلبة الفضول عليها وتعذر مطلوبهم وتأخرهم عنه بسبب ذلك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لواعترضوا ادنى

فى السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود * وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته فى التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولنى الله الى الكعبة فانها قبلة ابى ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عزوجل قد نرى تقلب وجهك فى السماء يعنى تردد وجهك وتصرف نظرك فى السماء اى الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة فى التلاوة فهى متقدمة فى المعنى لانها رأس القصة واول مانسخ من احكام الشرع امر القبلة (فلنولينك) اى فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) اى ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) اى تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى نحوه وتلقاء واراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعنى ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهى قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اول ماقدم المدينة نزل على اجداده اوقال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذاك انه يصلى قبل بيت المقدس وهى قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر مانقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء فى وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان فى يوم الاثنين بعد الزوال لمنتصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا * وقيل كان لستة عشر شهرا * وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قباء فى صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة * وقوله تعالى (وحيث ما كنتم) اى من براوبحر شرق اومغرب (فولوا وجوهكم شطره) اى نحو البيت

بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم اى لولم يكن منهم كثرة فضول البحث والسؤال لما عز عليهم مطلوبهم لقوة قبولهم وارادتهم فكان سلس القياد سهل الانقياد ونهى صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال قال الله تعالى لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وقيل فى قصتها ان شيخا من بنى اسرائيل نتجت له عجلة على هذه الصفة وكان له ابن طفل فجاء بها الى عجوزة وقال انها لهذا الطفل سلميها فى مرعاها عساها تنفعه اذا بلغ فلما وقعت هذه الواقعة وسعى بنو اسرائيل فى طلب البقرة اربعين سنة سمعت العجوز بها فأخبرت ابنها بما فعل ابوه وقد ترعرع فجاء الى المرعى فوجدها فأتى بها فسا وموه فى شرائها ومنعته العجوز عن بيعها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا فالشيخ هو الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذى هو نتيجة الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذى هو نتيجة الروح والشاب

وتلقاءه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة
وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه
ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق الشتوي
جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء
والذي بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة
اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة
قالت اليهود يا محمد ماهو الاشئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى
الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى (وان الذين
اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعني امر القبلة وتحويلها
الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما انا بساه عما يفعل هؤلاء
اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء * قال ابن عباس يريد انكم
يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم افضل
الثواب واجزيكم احسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب) يعني
اليهود والنصارى (بكل آية) اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية
(ما تبعوا قبلتك) يعني الكعبة (وما انت بتابع قبلتهم) يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى
الى المشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع
اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني
وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون
على قبلة واحدة (ولئن اتبعت اهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد
ما جاءك من العلم) اي في امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى
مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من
ظلم نفسه وضرها * قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم
لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة ويكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه * قوله عز
وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمني اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه (يعرفونه) اي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف
المعين الذي يجدونه عندهم (كما يعرفون ابناءهم) اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم ابناؤهم من
ابناء غيرهم * روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال
عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من
معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا
ولا ادري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت * وقيل
الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك

المقتول هو القلب سلم شيخ
الروح عجل النفس الى عجوز
الطبع ليرعى في مرعى اللذات
الطبيعية حتى يكبر عجل طفل
العقل ان ينتفع بها وقت
البلوغ في انتزاع المعقولات
من محسوساتها واستعمال
الفكر الذي هو من قواها في
اكتساب العلوم العقلية
وهو الذي جاء بها من المرعى
وسعي بني اسرائيل اربعين
سنة اشارة الى السير الى الله
بالاعمال والآداب والتخلق
بالاخلاق الى اوان البلوغ
الحقيقي وتجرد القلب كما قال
الله تعالى بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة ومساومتهم اياها
في شرائها اشارة الى طلب
القوى الروحانية المنورة
بنور الهداية الشرعية
والارادة وانتزاعها من
العقل المشوب بالوهم و
استعباد العقل اياها بالمعقولات
القياسية وتسخيرها
بالفكريات وحجبها عن نور
الهداية الشرعية بالقياسات
العقلية وعدم تحاشيها
بالشرعيات وهذا هو
الموجب لتشددهم في السؤال
وتأخرهم وتباطئهم في
الامتثال ومنع العجوز اياه هو
ممانعة الطبع في الانقياد
للشرع وموافقة العقل اياه
في ذلك رعاية العقل جانب

اليهاهى قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون ابناءهم لايشكون فى ذلك (وان فريقا منهم) اى من علماء اهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل امر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية * وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) اى الذى يكتمونه هو الحق (من ربك فلاتكونن من الممترين) اى من الشاكين فى ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاندوا اكتموا الحق فلاتشك فى ذلك * فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يعترولم يشك فامعنى هذا النهى * قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلاتشكوا انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وجهة) اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه * وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى التوجه الى القبلة * وقيل فى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين اى ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها * وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) اى مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها اى مختارها * وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اى مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) اى ادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعى فى ان الصلاة فى اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب (اينما تكونوا) يعنى انتم واهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعنى يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) اى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى من اى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعنى التوجه اليه (للحق من ربك) اى الحق الذى لاشك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) اى ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل فى هذا التكرار فائدة * قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى ان هذه الواقعة اول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء فى قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يحاجونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم

الطبع فى مصالح المعاش وترفيهه اياه وترخيصه والتوسيع عليه اكثر من الشرع وبيعها بملء مسكها ذهبا اشارة الى تحليها بعد الذبح والسلخ بالعلوم النافعة الشرعية والعقلية الخلقية والاحكام الفرعية الدينية واشتمال صورتها عليها التى توافق العقل والطبع وتنفعهما باستعمالهما اياها فى تحصيل مصالح المعاش والمباغى الطبيعية والمطالب العقلية العملية باذن الشرع من الوجه الحلال والتصرف المباح وانواع الرخص فى جميع التمتعات بعد حصول الكمال وتمام السلوك (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اشارة الى بيان سبب الامر بذبح البقرة وهو انه كان شيخ موسر من بنى اسرائيل وله ابن شاب فقتله ابناءه او بنو عمه طمعا فى ميراث ابيه وطرحوه بين اسباط بنى اسرائيل على الطريق فتدافعوا فى قتله فورد الامر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا فيخبر بالقاتل فالشاب هو القلب الذى هو ابن الروح الموسر باموال المعارف والحكم وقتله منعه حياته الحقيقية وازالة العشق الحقيقى الذى

وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) اى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) اى احذروا عقابى ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتى عليكم) اى ولكى اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عز وجل (كما ارسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم * وقيل ان ابراهيم * قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) اى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا [illegible] وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (اذكركم) اى بالثواب [illegible] منكم * قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى [illegible]

[illegible] حياته منه باستيلاء الشوق [illegible] لشهوة والغضب اللذين هما ابناه النفس الحيوانية او بتهيج قواها عليه اذ الروح والنفس اخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من اب هو العقل الفعال المسمى روح القدس على قياس ما ورد فى الحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طين آدم فان النفس النباتية الكاملة التى اذا كانت عمة النفس الانسانية عمتها قتلاه طمعا فى استعمال المعانى العقلية والحكم التى هى ميراث ابيه فى تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذاتهما بانواع الحيل والمكر وصناعة الفكر وطرحاه على طرق القوى الروحانية والطبيعية بين محالها وتدافعهم فى قتله هو احالة كل قوة منها الفساد والاثم الى الاخرى والصلاح والبراءة الى نفسها [illegible] وتجاذبها فى [illegible] لذاتها واحتجاب كل [illegible] بما فيها عما للاخرى ورؤيتها الصلاح [illegible] والفساد فى ضده (والله [illegible] ما كنتم تكتمون) [illegible] القلب وحياته [illegible] عليه (فقلنا اضربوه ببعضها) بذبحها [illegible] على ما ورد فى

[illegible] المناق بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان • [illegible] اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب [illegible] اذكروني بالخضوع اذكركم بالسماء (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا او بالكفاية اذا طلب الكفاية • وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه اذا ذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة • وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والجزاء بما لا يطلع عليه احد وقوله وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء • واجيب عنه بان الذكر قد يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلابد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لي) يعني بالطاعة (ولا تكفرون) اي بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره ¤ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسر به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له • وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس [illegible] التثويب (ان الله مع الصابرين) اي بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات) [illegible] فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين [illegible] المطلب وعمير بن ابي وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري

القصد لحيا فيضربكم بالقاتل وضرب الذنب اشارة الى اماتة النفس وتنقية اضعف قواها وآخرها وجهتها التي تلي النفس النباتية ورابطتها بها كالحس اللمسي مثلا وسائر الحواس الظاهرة فانها ذنبها وضرب اللسان اشارة الى تعديل اخلاقها وقواها وتنقية فكرها الذي هو لسانها وهما طريقان طريق الرياضة واماتة الغضب والشهوة كما هو طريق التصوف وهو بالنفوس القوية الجانية المستولية الطاغية اولى وطريق التحصيل وتعديل الاخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء وهو بالنفوس الضعيفة والصافية المنقادة اللينة اولى فضربوه فقام واوداجه تشخب دما واخبر بقاتليه اي صار حيا قائما بالحياة الحقيقية وعليه اثر القتل لتعلقه بالبدن وتلونه بمطالبه بحسب الضرورة وعرف حال القوى البدنية في منعها اياه عن ادراكه وحجبها له عن نوره (كذلك يحيي الله الموتى) اي مثل ذلك الاحياء العظيم يحيي

اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة
ثم بنى غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن ليث ابن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان
ابن بيضاء من بنى الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد
بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا
الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله
مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا
ان الناس يقتلون انفسهم طلما لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية واخبران من قتل
في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل احياء) وانما احياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب
اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان
والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل
على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون قبورهم
فان قلت نحن نراهم موتى فامعنى قوله بل احياء وماوجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات قلت معناه لاتقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء تصل
ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احياء
من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب آخر وهو انهم احياء
عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لانشاهدهم كذلك قوله تعالى (ولكن
لاتشعرون) اى لاترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخبارى اياكم به فان قلت
اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء
بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم
الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بمادون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل
في سبيل الله قدمات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم في نعيم دائم ❊
قوله عز وجل (ولنبلونكم) اى ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم
والابتلاء لاظهار الطائع من العاصي لاليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل
كونها وحدوثها (بشئ) انما قال بشئ ولم يقل باشياء لئلا يوهم ان اشياء تدل على ضروب من الخوف
وكذا الباقي فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الجوع وقيل معناه بشئ قليل من هذه الاشياء
(من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب
(والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعني بالهلاك والخسران
(والانفس) اى ونقص من الانفس بالموت او القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل
قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكى عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير
هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج
الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا احمدك

الله موتى الجهل بالحياة
الحقيقية العملية (ويريكم
اياته لعلكم تعقلون) دلائله
وآيات صفاته لكى تعقلون
(ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك) اى بعد تطاول الامد
وتراخي مدة الفترة وتتابع
التلوينات وتوالى النزعات
قست قلوبكم بكثرة
مباشرة الامور واللذات
البدنية وملابسة الصفات
النفسانية (فهى كالحجارة)
من عدم تأثرها بالنقش
العلمى (او) شئ (اشد
قسوة) منها كالحديد مثلا ثم
بين ان الحجارة التى منها بان
حالها منحصر في الوجوه
الثلاثة المذكورة فافاد ان
القلوب اربعة قلب تنور
بالنور الالهى منطمسا فيه
واستغرق في البحر العلمى
منغمسا فيه فانفجرت منه
انهار العلم فمن شرب منها
يحيا ابدا كقلوب اهل الله
السابقين وهو المشار اليه
بقوله الى (وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار) وقلب
ارتوى من العلم فحفظ ووعى
ما انتفع به الناس كقلوب العلماء
الراسخين وهو المشار اليه
بقوله (وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء) وقلب

واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتل عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اشد اخلاصا لله منه في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى ليتجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) اى نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) اى عبيدا وملك (وانا اليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (اولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس اى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اى اغفر لهم وارحمهم وا عاجمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما لتأكيد اى عليهم رحمة بعد رحمة (واولئك هم المهتدون) يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

﴿فصل﴾ في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا يهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس

خشع وانقاد واستسلم واطاع كقلوب العباد والزهاد من المسلمين وهو المشار اليه بقوله (وان منها لما يهبط من خشية الله) وادنى احوال حاله هو الهبوط من خشية الله اى الانقياد لما امر الله من الميل الى المركز بالسلاسة ونوع قلب لم يتأثر قط بالعلم ولم يتلين بالخوف آبيا للهدى متكبرا ممتلئا بالهوى متمردا فلا يوجد من الجواهر ما يشبهه له ولا جيها ما امر الله به فكيف بالحديد الذي يلين لما يراد منه قال النبي عليه السلام مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء وانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها طائفة اجاذات امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في الدين فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به فبين عليه السلام القلوب الثلاثة الاخيرة والاول من الاربعة هو القلب المحمدي (وما الله بغافل عما تعملون)

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد شرا امسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مالعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص قال قلت يارسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك (او اعتمر) اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (ان يطوف بهما) اي يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الآية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

* فصل * اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الا انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروى عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه

تهديد القاسية قلوبهم اي الله مطالع فيجيبهم من نوره ويتركهم في ظلماتهم والآيات التي تتلوها ظاهره وتأويل الاولى (افتطمعون ان يؤمنوا لكم) ان يوحدوا بتوحيد الصفات لاجل هدايتكم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) يقبلون صفات الله ثم يحرفونها بنسبتها الى انفسهم (ثم يحرفونه من بعدما عقلوه) اي علموا توحيد الصفات وماوجدوه بالعيان (وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا) ان تلك الصفات لله لكن نفوسهم ينتحلونها بالاشراك حالة ذهول العمل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة ولا بل علما فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم اي ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النفس وهو لا يشعر بها او يشعر فيحتال او لا يحتفل بها فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها ويدعي انه من عند الله ليكتسب به حظا من حظوظ النفس بل عين ذلك القول والفعل ونسبته الى الله حظ تام لها وذنب لا ذنب اقوى منه ويمكن ان تؤول الآيات الثلاث الاول على الوجه الثاني المبني على التطبيق فيقال افتطمعون

جد وروى عنه انه لاشئ في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب اوليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه خصوصية احدهما فاذا لابد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب اوغير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ماروى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجزاة واسمها حبيبة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيأ ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لوكان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيأ آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ماافترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى لعموم (فان الله شاكر) اي مجاز على الطاعة (عليم) اي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج

ايتها القوى الروحانية ان تؤمن هذه القوى النفسانية لاجل هدايتكم مقادة وقد كان فريق منهم كالوهم والخيال يسمعون كلام الله اي يتلقفون المعاني الواردة من عند الله على القلب ثم يحرفونه بالمحاكاة وكثرة الانتقالات وجعلها جزئية واعطائها احكام الجزئيات كما في المنامات والواقعات من بعد ما عقلوه اي ادركوه على حاله وهم يعلمون تحريفها وانتقالاتها الى اللوازم والاشباه والاضداد واذا لقوكم بالتوجه نحوكم وتلقن مدركاتكم عند حضوركم ومشايعتها اياكم وعروجها اذعنوا وصدقوا (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون) في اوقات الغفلات منع بعضهم بعضا عن القاء مافتح الله عليهم من مدركاتهم المحسوسة والمخيلة والموهومة ليرتكبوا منها الحجج ويحاجوهم بها في الحضرة الروحانية عند ربهم (اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون) عنكم من مدركاتهم (ومايعلنون) فيبطلكم عليها وينصركم عليهم (ومنهم اميون) اي القوى

التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من احكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابي هريرة قال لولا آيتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيأ ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين. وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية اوفرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (اولئك) يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) اي يبعدهم من رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) اي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (واصلحوا) يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ما كتموا من العلم (فاولئك اتوب عليهم) اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم (وانا التواب) اي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الى (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم علي * قوله عزوجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه او ملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها ان اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم شأنهم (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

(فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم) قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احدهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى

الطبيعية الغير المدركة والحواس الظاهرة (لا يعلمون الكتاب) كتاب المعاني المعقولة (الا اماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) لذاتهم وشهواتهم وما يتقنون خاتمة عاقبتها ومضرتها في طريق الكمال يظنون نفعها وخيريتها (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون) اعتقدوا ان زمان العقاب يساوي زمان مباشرة الذنب ولم يعلموا ان الذنب اذا كان معتقدا فاسدا ثابتا في النفس وهيئة راسخة فيها وصار ملكة كصورة ذاتية لها كان سببا التخليد العذاب وهو معنى قوله (بلى من كسب سيئة احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) اي استولت عليه واستوعبت كسواد المستوعب للثواب

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب
لغير ابيه وكل هذه في الصحيح * قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار
قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة
الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد
لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا
معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في الوهيته ولا نظير له
في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له
يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه (لا اله الا هو)
تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني انه المولى
لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم
على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله
الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله
الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية
قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فانزل الله تعالى (ان في خلق
السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في آياته والنظر
في عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه
الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك
ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع
* اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس
غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدها
وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار
والنبات * النوع الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) اي تعاقبهما في المجيء والذهاب
وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على
النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح
العباد * النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التي تجري في البحر) اي السفن واحده وجمعه سواء
وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة
بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان
الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى * النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعني
ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من ركب
هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشيء
معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب

ولو لم يكن كذلك لما كانت
الطاعة ايضا سبب خلود
الثواب (واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
و بالوالدين احسانا وذي
القربى واليتامى والمساكين
واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة ثم توليتم الا
قليلا منكم وانتم معرضون)
عاهدناهم بالتوحيد ومقتضى
التوحيد من ملاحظة الحضرة
الربوبية ومشاهدة تجلياتها
في مظاهرها والقيام بحقها
على حسب ظهور اوصافها
* واول من يظهر عليه
صفات الربوبية وآثارها في
الظاهر وعالم الشهادة هما
الابوان لمكان النسبة
والتربية والعطوفية التي
هي آثار الموجد الرب الرحيم
ثم اله فالاحسان اليهما يجب
ان يلي عبادة الله بحسب
ظهوره في مظهريهما ثم ذوي
القربى لظهور المواصلة
والرحمة الالهية فيهم بالنسبة
اليه ثم اليتامى لاختصاص
ولايته وحفظه تعالى بهم
فوق من عداهم اذ هو ولي
من لا ولي له ثم المساكين
لتوليته رعايتهم ورزقهم
بنفسه بلا واسطة غيره ثم
سائر الناس للرحمة العامة
بينهم التي هي ظل الرحمانية

السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه * النوع
الخامس قوله تعالى (وما انزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب سمي سماء لان
كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها
خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحيا به) اي بالماء (الارض بعد
موتها) اي يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيأ ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية
في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله
عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان * النوع
السادس قوله تعالى (وبث) اي فرق (فيها) اي في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس
يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس
الانسان يرجع الى اصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال
والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم
سائر الحيوان * النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا
وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها
في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله
الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة في رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور
هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا
يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيات العظيم وهي مع ذلك
حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الارض * النوع
الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة
سيره كانه يسحب والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية
العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة
عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد
من قوله والهكم اله واحد لا اله وقوله (لآيات) اي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة
على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان
لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) اي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون
ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس)
يعني المشركين (من يتخذ من دون الله اندادا) يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى
هذا الاصنام انداد بعضها البعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله ان يكون له ند او له مثل منازع
وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) اي
يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلته معرضا بان تحبه والمحبة لارادة
(كحب الله) اي كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل
وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال
بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة الله تعالى

فالاحسان المأمور به في
في الآية على درجاته و
وتفاضله في مراتبه هو
تخصيص العبادة بالله مع
مشاهدة صفاته في مظاهرها
ورعاية حقوق تجلياتها
واحكامها (واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)
بهواكم الى مقار النفس و
صفاتها وميلكم الى هواها
وطباعها وتارككم حياتكم
الحقيقية وخواص افعالكم
لاجل تحصيل مآربها و
لذاتها (ولا تخرجون
انفسكم) اي ذواتكم اذ يعبر
بالنفس عن الذات (من
دياركم) اي مقاركم الروحانية
والروضات القدسية (ثم
اقررتم) بقولكم لذلك
(وانتم تشهدون) عليه
باستعداداتكم الاولية و
عقولكم الفطرية (ثم انتم
هؤلاء) الساقطون عن
الفطرة المحجوبون عن نور
الاستعداد الاصلي (تقتلون
انفسكم) بهواكم و
متابعتكم الهوى (وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم)
اوطانهم القديمة الاصلية
بقواهم واضلالهم
وتحريضهم على ارتكاب
المعاصي واتباع الهوى
(تظاهرون عليهم) تعاونون
عليهم (بالاثم) بارتكاب

لكن جعلوا الاصنام شركاءله فى الحب (والذين آمنوا اشد حبا لله) اى اثبت وادوم على محبته
لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذ واصنما ثم راوا آخر احسن منه طرحوا الاول
واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر
عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء
ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الله احبهم
اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله
يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى
اشركوا فى شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم
عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام
لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو راى الذين كانوا يشركون فى الدنيا
عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من
قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود
(وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذ تبرأ) اى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وراوا العذاب) اى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع
فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم
الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى
كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى
الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب فى اللغة الحبل الذى
يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى
يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو ان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم)
اى من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) اى كما اراهم العذاب يريهم الله
(اعمالهم حسرات عليهم) لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه
انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيآت التى عملوها
وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على
تضييعها وقيل يرفع لهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك
حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) * قوله عز
وجل (يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا) نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام
والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد
والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس
تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به
ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان

الفواحش والمعاصى ليروكم
فيتبعوكم فيها (والعدوان)
والاستطالة على الناس
ليتعدى اليهم ظلمكم
والزامكم اياهم رذائل
القوتين البهيمية والسبعية
وتحريضكم لهم عليها
وتزيينكم لهم اياها كما هو
عادة ملاحدة المسلمين من
اهل الاباحة المدعين
للتوحيد (وان يأتوكم
اسارى) فى قيد تبعات
ارتكبوها وشين افعالهم
القبيحة اخذتكم الداعية
وعيرتهم عقولهم وعقول
ابناء جنسهم بما لحقهم من
العار والشنار (تفادوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم)
بكلمات الحكمية والموعظة
الصحيحة الدالة على ان اللذات
المستعلية هى المنافية
والروحية وعاقبة اتباع
الهوى والنفس والشيطان
وخيمة ومشاركة البهائم
والهوام فى افعالها مذمومة
رديئة فيتيقظوا بها ويتخلصوا
من قيد الهوى سويعة كما
نشاهد من حال عاوح
مدعى التوحيد والمعرفة
والحكمة واتباعهم فى زماننا
هذا (افتؤمنون ببعض
الكتاب) اى كتاب العقل
والشرع قولا واقرارا
فتقرون به وتصدقون وهو

قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدو مبين) اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ماهي فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء مايسوء صاحبه ويحزنه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وماقبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء مالاحد فيه والفحشاء مايجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وان تقولوا على الله مالاتعلمون) يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالمعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانما اقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان * قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا او هم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله ياايها الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ماحرموا على انفسهم (قالوا بل نتبع ما الفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (اولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لايعقلون شيأ) يعني لايعلمون شيأ من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر دنيا (ولا يهتدون) اي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يامحمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لاتسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولاتفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لاينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لاتفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارجا عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لاتفقه ولاتعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لاينتفع من نعيقه بشيء غير انه عني من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لايسمع يقال لمن يسمع ولايعقل كأنه اصم بكم اي

ان اتباع الهوى والنفس مذموم موجب للوبال والهلاك والخسران (وتكفرون ببعض) فعلا وعلا فلا تنتهون عما نهاكم عنه وهو اباحتهم واستحلالهم للمحرمات والمنهيات (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى) افتضاح وذلة (في الحيوة الدنيا ويوم القيامة) اى حال المفارقة التي هي القيامة الصغرى (يردون الى اشد العذاب) الذي هو تعذيبهم بالهيئات المظلمة الراسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها او مسخهم عن صورهم بالكلية وتضاعف البلية (وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) عن اعمالكم احصاها وضبطها في انفسكم وكتبها عليكم كما قال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم

عن النطق بالحق عمى اى عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبى لان
العقل الطبيعى كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)
قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد
يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو
الحلال (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب
ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام
فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب
المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا
لله) يعنى على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) اى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها
قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما امرنا الله تعالى فى الآية التى
تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل
ما فارقه روحه من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين
ثم تشويه ويأكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر
لانه المقصود لذاته بالاكل (وما اهل به لغير الله) يعنى وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل
الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك
مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى
اكل الميتة واحوج اليها (غير باغ) اصل البغى الفساد (ولا عاد) اصله من العدوان
وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) اى فاكل فلا اثم عليه اى فلا حرج فى اكلها
(ان الله غفور) اى لما اكله فى حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك
﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (الاولى فى حكم الميتة) اجمعت الامة
على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله
عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى
فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى عن ابن ابى اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبع غزوات اوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه اخرجاه فى الصحيحين
واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه
والحسن بن صالح بن حيى انه مكروه وروى عن على بن ابى طالب انه قال ما طفا من صيد البحر
فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابى بكر الصديق وابى ايوب اباحته
واختلف فى الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لا بأس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا
وروى عن مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا فذكاته مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان
غفل عنه حتى يموت فلا يحل ﴿ المسألة الثانية فى حكم الدم ﴾ اتفق العلماء على ان الدم

الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون
ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدق لما معهم وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على
الكافرين بئسما اشتروا به
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله
بغيا ان ينزل الله من فضله على
على من يشاء من عباده فباؤا
بغضب على غضب وللكافرين
عذاب مهين واذا قيل لهم
آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما
وراءه وهو الحق مصدقا
لما معهم قل فلم تقتلون انبياء
الله من قبل ان كنتم مؤمنين
ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم
اتخذتم العجل من بعده وانتم
ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سمعنا وعصينا واشربوا فى
قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما
يأمركم به ايمانكم ان كنتم
مؤمنين قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ولن يتمنوه
ابدا بما قدمت ايديهم والله
عليم بالظالمين ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة
ومن الذين اشركوا يود
احدهم لو يعمر الف سنة وما

حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي روى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الوقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم ﴿المسئلة الثالثة في الخنزير﴾ اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره ﴿المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله﴾ من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿المسئلة الخامسة في حكم المضطر﴾ المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيأ البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلو ان كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان احدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك ﴿المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد﴾ قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد يعني العاصي بسفره بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره ان يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير طالب

هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ظاهر ومعلوم مما مر والظاهر ان جبرائيل هو العقل الفعال وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بارزاق العباد واسرافيل هو روح الفلك الرابع وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالحيوانات وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالارواح الانسانية كلها يقبضها بنفسه او بالوسايط التي هي اعوانه ويسلمها الى الله تعالى (واتبعوا) اي اتبع اليهود والقوى الروحانية ما تتلو الشياطين) شياطين

الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله من الكتاب (ويشترون به) اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكانهم اكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى كلام رحمة ما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) اى وجيع يصل المه الى قلوبهم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما اصبرهم على النار) اى ما الذى صبرهم واى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار (ذلك بان الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله انزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) يعنى اختلفوا فى معانيه وتأويله فحرفوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفى شقاق) اى خلاف ومنازعة (بعيد) يعنى عن الحق * قوله عزوجل (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس

الانس الذين هم المتمردة العصاة الاشرار الاقويا وشياطين الجن وهم الاوهام والخيالات والمتخيلات المحجوبة عن نور الروح العاصية لامر العقل المتمردة عن طاعة القلب (على) عهد (ملك سليمان) النبى او سليمان الروح من كتب السحر وعلومه يزعمون انه علم سليمان وبه استولى على الملك وسخر ما سخر من الجن والانس والطير وعلم الحيل والشعبذة والموهومات والمتخيلات والسفسطة (وما كفر سليمان) باسناد التأثير الى غير الله اذ السحر كفر واحتجاب عن مؤثرية الله باسناد التأثير الى غيره (ولكن الشياطين كفروا) احتجبوا ولم يعلموا ان لا مؤثر الا الله (يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين) اى العقل النظرى والعملى المائلين الى النفس المكوسين من بئر الطبيعة لتوجههما اليها بانجذاب النفس اياهما اليها (ببابل هاروت وماروت) الصدر المعذبين بضيق المكان بين ابخرة المواد وادخنة نيران الشهوات من العلوم والاعمال من باب الحيل والنيرنجات والطلسمات على التأويلين (وما يعلمان من احد حتى

البر ان تولوا وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر) يعنى ما بينته لكم والبراسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) اى ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) اى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل اراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعنى اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى اى وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى اهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم احق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى (ق) ان ميمونة رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت وليدتى قال اوقد فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا اب له مع الصغر وقيل يقطع على الصغير والبالغ اى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعنى الطالبين المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه ابوداود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك فى الموطا عن ام بجيد قالت قلت يارسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فلم اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدى الاظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده اخرجه ابودود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة مايعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى (واقام الصلاة) يعنى المفروضة فى اوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون

(بعهدهم)

يقولا انما نحن فتنة) امتحان وبلاء من الله لقوة النورية وهيئة الملكوتية فيهما فيبنهان على حالهما بالنور العقلى (فلا تكفر) باستعمال هذا العلم فى المفاسد والمناهى واسناد التأثير اليه (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) القلب والنفس وبين الروح والنفس وتكدير القلب (وماهم بضارين به من احد الاباذن الله) اى اذا اراد الله ان يضره عند ذلك الفعل فيفعل مايريد ويكون زيادة ابتلاء للساحر وامهالا له فى كفره واحتجابه لرؤيته ذلك من تأثير سحره (ويتعلمون مايضرهم) زيادة الاحتجاب وشدة الميل والهوى (ولا ينفعهم) فى رفع الحجاب برؤيتهم ذلك ابتلاء من الله واستعاذتهم بالله ليقيهم من شره (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون) اى نصيب لاقباله على النفس والهوى بالكلية واستعمال ذلك فى اكتساب حطام الدنيا وتمتعاتها (ولو انهم آمنوا) برؤية الافعال من الله (واتقوا) الشرك بنسبة التأثير الى غيره (لمثوبة) دائمة ثابتة (من عند الله) من

بعهدهم) يعنى ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده و العمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغير وقيل العهد الذى كان بينه و بين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا فى اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا (والصابرين فى البأساء) اى فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب باسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو (اولئك الذين صدقوا) اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم (واولئك هم المتقون) * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب و جراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وامره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم اى فرض عليكم القصاص فى القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع مافعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا اوخنقه اوشدخ راسه بحجر فات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية الثانية عن احمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعناه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعى واحمد ويدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابى جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن على نحو هذا من غير رواية ابى جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء

الانوار اولرحية والمواهب الفتوحية والاحوال القلبية والمعارف الالهية (خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية) بابطال حكمها وابقاء لفظها (او ننسها) ونذهب بها من قلبك بازالة لفظها ومعناها او لفظها دون معناها كآية الرجيم (نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى بما هو اصلح فى بابه منها فى نفعها او يساويها فى الخير والصلاح واعلم ان الاحكام المثبتة فى اللوح المحفوظ اما مخصوصة واما عامة والمخصوصة اما ان تختص بحسب الاشخاص واما ان تختص بحسب الازمنة فاذا نزلت بقلب الرسول فالتى تختص بالاشخاص تبقى ببقاء الاشخاص والتى تختص بالازمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الازمنة قصيرة كانت كمنسوخات القرآن اوطويلة كاحكام

الشرائع المتقدمة ولاينافى ذلك ثبوتها فى اللوح اذ كانت فيه كذلك والعامة تبقى ما بقى الدهر كتكلم الانسان واستواء قامته مثلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) اى له ملك سموات عالم الارواح وارض الاجساد وهو المتصرف فيهما بقدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شئ غيره ينصركم ويليكم (ام تريدون ان تسالوا رسولكم) من قبل اللذات الدينية الحسية والشهوات الخسيسة النفسية (كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان) الظلمة بالنور (فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير) الطريق المستقيم (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) اى قالت اليهود لن يدخل الجنة

القاتل الذين يقولون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقام الحدود فى المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذى وذهب اصحاب الراى الى ان المسلم يقتل بالذمى والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراى الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمران غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك فى الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة اوسبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالا اى تعاونوا واجتمعوا عليه * وقوله تعالى (فمن عفى له من اخيه شئ) اى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى بالدية او العفو عنها او قبول الدية فى قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه اولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) اى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ اكثر من حقه ولا يعنفه (واداء اليه باحسان) اى على القاتل اداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل فى تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفى الآية دليل على ان القاتل لايصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثانى انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له من اخيه شئ واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لايليق الا عن المؤمن لا عن الكافر * وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التوراة وكان فى شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو او قبول الدية (فله عذاب اليم) وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة * قوله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه

اذاقتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من همّ بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم تقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (ياأولى الالباب) اى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص ﴿قوله عز وجل (كتب) اى فرض وواجب (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعنى مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذى تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروى ان رجلا قال لعائشة انى اريد ان اوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية) اى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائى وللترمذى نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث وبقى وجوبها فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد ان يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ

المعهودة عندهم جنة الظاهر وعالم الملك التى هى جنة الافعال وجنة النفس الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة المعهودة عندهم اى جنة الباطن وعالم الملكوت التى هى جنة الصفات وجنة القلب الا من كان نصرانيا ولهذا قال عيسى عليه السلام فى دعوتهم الى جنتهم لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وكانت دعوته الى السماء اى السماء الروحانية (تلك امانيهم) اى غاية مطالبهم التى وقفوا على حدها واحتجبوا بها عما فوقها (قل هاتوا برهانكم) اى دليلكم الدال على نفى دخول غيركم جنتكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم بل الدليل دل على نقيض مدعاكم فان من (بلى اسلم وجهه) اى ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها (لله) بالتوحيد الذاتى عند المحو الكلى والفناء فى ذات الله (وهو محسن) اى مستقيم فى احواله بالبقاء بعد الفناء مشاهد ربه فى اعماله راجع من الشهود الذاتى الى مقام الاحسان الصفاتى الذى هو المشاهدة بالوجود الحقانى لمكان الاستقامة والعبادة

الحق يشمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لايدرى متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) اى بالعدل الذى لاوكس فيه ولاشطط فلايزيد على الثلث ولايوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتدبى فقلت يارسول الله انى قدبلغ بى من الوجع ماترى واناذو مال ولايرثنى الا ابنة لى افاتصدق بثلثى مالى قال لاقلت فالشطر يارسول الله قال لاقلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير اوقال والثلث كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال فى الوصية لوان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على بن ابى طالب لان اوصى بالخمس احب الى من اوصى بالربع ولان اوصى بالربع احب الى من ان اوصى بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس اوبالخمس اوالربع (حقا) اى ثابتا ثبوت ندب لاثبوت فرض ووجوب (على المتقين) اى على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) اى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما فى الكتابة اوفى قسمة الحقوق اوالشهود بان يكتموا الشهادة اويغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت اوما اوصى به (بعدما سمعه) اى من الموصى وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) اى انه اثم ذلك التبديل لايعود الا على المبدل والموصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما اوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل المبدل (فمن خاف) اى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (اواثما) اى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطا فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذاحضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصية اما بتقصير اواسراف اووضع الوصية فى غير موضعها فلاحرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا اخطا الميت فى وصيته اوخاف متعمدا فلاحرج على وليه اووصيه اوولى امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) اى فلاحرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) اى لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابوهريرة من بعد وصية يوصى بها اودين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية ان لا تمضى اوينقص بعضها اويوصى لغير اهلها اويحيف فى الوصية ونحو ذلك ❁ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب

لابالوجود النفسانى (فله اجره عند ربه) اى ماذكرتم من الجنة واصفى والاذ لاختصاصها بمقام العندية اى المشاهدة التى احتجبتم عنها (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) اى وزيادة على ماالكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنة الافعال والصفات والتلذذ بها والاستراحة فيها والاستدامة اليها من شهود جمال الذات فانهم وان تركوها بالشوق الى تجلى الذات فانها حاصلة لهم وادنى مقامهم تحت جنة الذات (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) لاحتجابهم بدينهم عن دينهم وكذا قالت النصارى لاحتجابهم بالباطن عن الظاهر كما احتجب اليهود بالظاهر عن الباطن على ماهو حال اهل المذاهب اليوم فى الاسلام (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم) وفيه مايرشدهم الى رفع الحجاب ورؤية حق كل دين ومذهب وليس اهل ذلك الدين

والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعني من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اى في الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة ايام اتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (اياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انها اكثر من ذلك لكنها غير محصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا او على سفر) اى فافطر (ف) عليه (عدة من ايام اخر) يعني غير ايام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) اى يطيقونه الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن

والمذهب حقهم باطل لتقيدهم بمعتقدهم فما الفرق بينهم وبين الذين لا علم لهم ولا كتاب كالمشركين فانهم يقولون مثل قولهم بل هم اعذر اذ ليس عليهم الا حجة العقل وهم بحجة العقل والشرع (فالله يحكم بينهم) بالحق في اختلافاتهم (يوم) قيام (القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الكبرى وظهور الوحدة عند خروج المهدى عليه السلام وفي الحديث ما معناه ان الله يتجلى لعباده في صورة معتقداتهم فيعرفونه ثم يتحول عن صورته الى صورة اخرى فينكرونه وحينئذ يكونون كلهم ضالين محجوبين الا ما شاء الله وهو الموحد الذي لم يتقيد بصورة معتقده (ومن اظلم) اى انقص حقا واخس حظا (ممن منع مساجد الله) اى مواضع سجود الله التي هي القلوب التي يعرف فيها فيسجد بالفناء الذاتي (ان يذكر فيها اسمه) الخاص الذي هو الاسم الاعظم اذ لا يتجلى بهذا الاسم الا في القلب وهو التجلي بالذات مع جميع الصفات او اسمه المخصوص بكل واحد منها اى الكمال اللائق باستعداده المقتضي له (وسعى في خرابها) بتكديرها

يشق عليه رخص له ان يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفتدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعني زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وان تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى (ان كنتم تعلمون) يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا فطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا اظهره شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة الحارة في الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي انزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله

بالعصبات الباردة وغلبة واستيلاء التجليات عليها ومنع اهلها المسعدين عنها بالهرج والمرج وتهييج الفتن اللازمة لتجاذب قوى النفس ودواعي الشيطان والوهم (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) ويصلوا اليها أي منكسرين لظهور تجلي الحق فيها (لهم في الدنيا خزي) اى افتضاح وذلة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم وفضحه بدين الحق وانقهارهم وتحسرهم ومغلوبيتهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو الاحتجاب عن الحق بدينهم (ولله المشرق) اى عالم النور والظهور الذي هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه (والمغرب) اى عالم الظلمة والاختفاء الذي هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره (فاينما تولوا) اى اى جهة تتوجهوا من الظاهر والباطن (فثم وجه الله) اى ذات الله المتجلية بجميع صفاته اوولله الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلي لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتكم واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فاي

فلااقسم بمواقع النجوم وروى ابوداود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم فى ثلاث ليال مضين من رمضان وفى رواية فى اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى فى ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى فى ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود فى ثمان عشر ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض روى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل (هدى للناس) يعنى من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال مامعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لايكون كذلك فكانه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى فى نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عزوجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) اى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه فى الصحيحين ولاخلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه منهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله ابوثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى الشهادة فلايقبل فى آخره اقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى امر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

﴿فصل فى حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿الاولى﴾ اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اى مرض كان وهو مايطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس اوزيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض مايؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا اجهده الصوم افطر والافهو كالصحيح ﴿المسئلة الثانية﴾ الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لايجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام

جنة توجهوا حينئذ فثم وجهه لم يكن شئ الا اياه وحده (ان الله واسع) جميع الوجود شامل لجميع الجهات والوجودات (عليم) بكل العلوم والمعلومات (وقالوا اتخذ الله ولدا) اى اوجد موجودا مستقلا بذاته مخصوصا دونه (سبحانه) نزهه عن ان يكون غيره شئ فضلا عما يجانسه (بل له ما فى السموات والارض) اى له عالم الارواح والاجساد وهى باطنه وظاهره كما تقول له الذات والوجه والصفات وامثال ذلك (كل له قانتون) موجودون بوجوده فاعلون بفعله معدومون بذواتهم وهو غاية الطاعة والقيام بحقه اذ هو الوجود المطلق فلا يوجد بدونه شئ والوجودات المعينة صفاته واسماؤه لامتيازها بتعيناتها التى هى امور امكانية عدمية ليست عينه بالاعتبار العقلى الذى يقسمها الى الوجود والماهية التى هى بدون الوجود ليست شيئا فى الخارج لكن فى العقل والعقليات باطنه فهى فى الحقيقة ليست غيره فلا يكون غيره موجودا حتى يكون ولدا اى معلولا او

في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك
ماروى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قدظلل عليه
فقال ماهذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور
على جواز الصوم والفطر في السفر ماروى عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه في الصحيحين ﴿ المسئلة الثالثة ﴾
اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري اى سفر كان ولو كان فرسخا وقال
الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر
فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اذا استهل
الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جازله ان يفطر حالة السفر ويجوزله ان يصوم في بعض
السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون
بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم
موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة ﴿ المسئلة الخامسة ﴾ اختلفوا في الافضل
فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد
الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿ المسئلة السادسة ﴾ يبيح الفطر كل سفر مباح
ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام
اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع
اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل
عليه ايضا ماروى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضي الا في
شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر)
اى التسهيل في هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) اى قد نفى
عنكم الحرج في امر الدين قيل ماخير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله
تعالى (ولتكملوا العدة) اى عدد الايام التي افطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها
وقيل اراد عدد ايام الشهر (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع
وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي
رواية فاكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس
حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير في العيدين
وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى
حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملوا
عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم الى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله
ولتكبروا الله اى ولتعظموا الله شكرا على ماانعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة
(على ماهداكم) اى ارشدكم الى طاعته والى مايرضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

مخلوقا او ما شئت فسمه
(بديع السموات والارض)
اى مبدع سمواته وارضه
غير مسبوقة بمادة ومدة
بل هي ظلال ذاته ومنشأ
عالميته منورة باسمه النوراني
موجودة بوجوده الخارجي
ولو لم يكن جهات الامكان
واعتبارات العقل بحسب
اليقينيات لما اعتبرت
وجوداتها اصلا اذ هي بلا
هو غير شئ فلا تكون معه
موجودة بالمقارنة بل
بالتحقيق بوجوده ولا تكون
غيره بالمفارقة بل بالاعتبار
العقلي فهي باعتبار تعيناتها
خلق وباعتبار حقيقتها حق
(واذا قضى امرا) اى حكم به
(فانما يقول له كن فيكون)
اى فلا يكون الا تعلق ارادته
به فيوجد بلا تخلل زمان
ولا توسط شئ بل معا وذلك
التعلق هو قوله والا لم يكن
ثم قول ولا صوت (وقال
الذين لا يعلمون) علم التوحيد
من المشركين (لولا يكلمنا
الله او تأتينا آية كذلك قال
الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم) في الجهل
بعلم التوحيد وبكلام الله
وآياته اذ العلم بها فرع علم
التوحيد (قد بينا الآيات
لقوم يوقنون انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا) دلائل

(فصل)

﴿فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه﴾ ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اى شدت بالاغلال (ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه احد او قاتله فليقل انى صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما تولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اى حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلا يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائي * قوله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السؤال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا واما السؤال عن افعاله تعالى فهو ان يكون السائل

التوحيد وكيفية المكالمة (لقوم يوقنون) لاهل الايقان (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) اى ولا تؤاخذ باحتجابهم وما عليك ان تنقذهم من ظلمات حجبهم انما عليك ان تدعوهم بالبشارة والانذار (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى) اى طريق الوحدة المخصوصة بالحق هو الطريق لا غير كما قال على عليه السلام اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هى الجادة (ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم) اى من علم التوحيد والمعرفة (مالك من الله من ولى ولا نصير) لامتناع وجود غيره (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم انى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات) اى بمراتب الروحانيات كالقلب والسر

سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله
تعالى فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لايخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه
وانجاح حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبرا وقال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لااله الا الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لاتدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون
سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه
قريب يسمع دعاءكم * وقوله تعالى (اجيب دعوة الداع اذا دعان) اى اسمع دعاء عبدى الداعى
اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد ياالله لااله الا انت
فقولك ياالله فيه دعاء وقولك لااله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا
الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه
اذا دعاه لايخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع
اجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب
دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة
وقد وردت آية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء والمطلق
يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة
وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه اجيب دعوة الداعى اذا وافق
القضاء او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسأل اثما او محالا ورابعها ان معناها عام
اى اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الاية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة
عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء آدابا وشرائط وهى
اسباب الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطأها كان من اهل الاعتداء فى
الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم * وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) يعنى اذا دعوتهم الى
الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد
الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) اى لكى يهتدوا الى مصالح
دينهم ودنياهم

* فصل فى فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من
يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران
للعلماء احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على
مايليق به ويكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله
مع اعتقاد ان تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر
المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على مايليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل
رحمته وامره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف
وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم

والروح والخفاء والوحدة والاحوال والمقامات التى يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها (فأتمهن) بالسلوك الى الله وفى الله حتى الفناء (قال انى جاعلك للناس اماما) بالبقاء بعد الفناء والرجوع الخلق من الحق تؤمهم وتهديهم سلوك سبيلى ويقتدون بك فيهتدون (قال ومن ذريتى) اى واجعل بعض ذريتى ايضا اماما (قال) قد يكون منهم ظالمون و (لاينال عهدى الظالمين) اياهم اى لايكونون خلفائى ولا اعهد الى الظالمين بالامامة (واذ جعلنا البيت) بيت القلب (مثابة) اى مرجعا ومبوأ (للناس وامنا) ومحل امن اوسبب امن وسلامة لهم يأمنون بالوصول اليه والسكون فيه شر غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوى الطبيعية وافسادها وتخييل شياطين الوهم والخيال واغوائهم ومكائدهم (واتخذوا من مقام ابرهيم) الذى هو مقام الروح ومقام الخلة (مصلى) موطنا للصلاة الحقيقة التى هى المشاهدة والمواصلة الالهية والخلة الشوقية (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى

حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بإثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذى قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيأ احب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر اى يستنكف عن السؤال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له وارادا بخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة اى لا تكن فى دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد فى المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له اولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح * قوله عز وجل (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان فى ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلى العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر ابن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة انى رجعت الى اهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت اهلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت فى عمر واصحابه احل لكم اى ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكنى فاذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) اى سكن لكم (وانتم لباس لهن) اى سكن لهن قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر وسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما

امرنا هنا بتطهير بيت القلب من قاذورات احاديث النفس ونجاسات وساوس الشيطان وارجاس دواعى الهوى وادناس صفات القوى (للطائفين) اى للسالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب فى سيرهم (والعاكفين) الواصلين الى مقام القلب بالتوكل الذى هو توحيد الافعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وازعاجها منه (والركع السجود) اى الخاضعين الذين بلغوا الى مقام تجلى الصفات وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين فى الوحدة (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) الصدر الذى هو حرم القلب (بلدا آمنا) من استيلاء صفات النفس واغتيال العدو اللعين وتخطف جن القوى البدنية اهله (وارزق اهله من الثمرات) من ثمرات معارف الروح او حكمه وانواره (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من وحد الله منهم وعلم المعاد (قال ومن كفر) اى ومن احتجب ايضا من الذين سكنوا الصدر ولا يجاوزون حده بالترقى الى مقام العين لاحتجابهم بالعلم

عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا
لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه (علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى
يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شئ فلا يؤدي
فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) اي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز
عنكم (وعفا عنكم) اي محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النساء رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر
(فالآن باشروهن) اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة
لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) اي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ
يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح
المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل
يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة
ان تطعمه شيأ سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته
فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي
عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس مالك امسيت طليحا فذكر له حاله
فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا اي مهزولا مجهودا
(خ) عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار
فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما
حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل
فغلبته عينه فجاءته امراته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا
شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى
الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض
النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط
احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل
بعده (من الفجر) فعلموا انه انما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في
الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل

الذي وعاؤه الصدر (فأمتعه)
تمتيعا (قليلا) من المعاني
العقلية والمعلومات الكلية
النازلة اليهم من عالم الروح
على قدر ما تعيشوا به (ثم
اضطره الى عذاب النار)
نار الحرمان والحجاب
(وبئس المصير) مصيرهم
لتعذبهم بنقصانهم وتألمهم
بحرمانهم (واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت) قيل
ان الكعبة انزلت من السماء
في زمان آدم ولها بابان الى
المشرق والمغرب فحج آدم
عليه السلام من ارض الهند
واستقبلة الملائكة اربعين
فرسخا فطاف بالبيت ودخله
ثم رفعت في زمان طوفان
نوح عليه السلام ثم انزلت
مرة اخرى في زمان ابراهيم
صلوات الله عليه فزارها
ورفع قواعدها وجعل
بابها بابا واحدا وقيل ثم
تمخض ابوقبيس فانشق عن
الحجر الاسود وكان ياقوتة
بيضاء من يواقيت الجنة
نزله بها جبرائيل فخبئت
فيه في زمان الطوفان الى
زمن ابراهيم عليه السلام
فوضعه ابراهيم مكانه ثم
اسود بملامسة النساء الحيض
فنزلها في زمان ادم اشارة
الى ظهور القلب في زمانه
بوجوده عليه وسكونه

وباشر النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادى حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذى يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر فى الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذى يبدو من البياض وهو اول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو فى الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا فى الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعنى معترضا وفى رواية الترمذى لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير فى الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثانى وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثانى لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل اولم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية فى ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى (ثم اتموا الصيام الى الليل) امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعى عنه بأن هذا انما ورد فى بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فانى اذا صائم ثم اتانا يوما آخر فقلت يارسول الله اهدى لنا حيس قال ارنيه فلقد اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق اوفتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف * قوله عز وجل (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

﴿فصل فى حكم الاعتكاف﴾ الاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فقال عن على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى ومالك واحمد

ذا بابين شرق وغربى اشارة الى ظهور علم المبدأ والمعاد ومعرفة عالم النور وعالم الظلمة فى زمانه دون علم التوحيد وقصده زيارتها من ارض الهند اشارة الى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطبيعة الجسمانية المظلمة الى مقام القلب واستقبال الملائكة اشارة الى تعلق القوى الحيوانية والنباتية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب فى الاربعين التى تكونت فيها بنيته وتخمرت طينته اوتوجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلمانى الى مقام القلب واستقبال الملائكة تلقى القوى النفسانية والبدنية اياه بقبول الاذعان والاخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتمرن فيها والتنقل فى المقامات قبل وصوله الى مقام القلب وطوافه بالبيت اشارة الى وصوله الى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين ودخوله اشارة الى تمكنه واستقامته فيه ورفعه فى زمان الطوفان الى السماء اشارة الى احتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل فى زمان نوح عليه

يجوز فى سائر المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون فى المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج
الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده (ق) عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿فروع﴾ الاول
يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولا يصح
الا به وحجة الشافعى ماروى عن عمر قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية ان اعتكف ليلة
فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك اخرجاه فى الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم فى الليل
﴿الفرع الثانى﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف
ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى واحب
ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابى حنيفة
يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿الفرع الثالث﴾
الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسد به واما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند
اكثر العلماء وهو اظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه
وان لم ينزل فلا وهو قول ابى حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى
عن عائشة انها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى
فى حجرتها يناولها رأسه زاد فى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان
لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة
حوائج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل مايضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد موضع
معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف
من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد فى اللغة المنع
والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط بمعناه
المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) اى فلا
تأتوها ولا تغشوها فان قلت فى الآية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى
ماتقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجميع فلا تقربوها الاشكال
الثانى هو انه تعالى قال فى هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى آية اخرى تلك حدود الله
فلا تعتدوها وقال فى آية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات
قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل
وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد
وذلك يوجب تحريم الجماع فى حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم
الاكل والشرب فى النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها
والجواب عن الاشكال الثانى ان من كان فى طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف فى حيز الحق
فنهى ان يتعداه فيقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق
والباطل لئلا يدانى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعى يرعى حول الحمى يوشك

السلام عن مقام القلب
وبقاؤه فى السماء الرابعة
اى البيت المعمور الذى
هو قلب العالم ونزوله
مرة اخرى فى زمان
ابراهيم عليه السلام اشارة
الى اهتداء الناس فى زمانه
الى مقام القلب بهدايته
ورفع ابراهيم قواعده
وجعله ذا باب واحد اشارة
الى تلقى القلب بسلوكه
عليه السلام من مقامه الى
مقام الروح الذى هو السر
وارتفاع مراتبه ووصوله
الى مقام التوحيد اذ هو
اول من ظهر عليه التوحيد
الذاتى كما قال عليه السلام
وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين والحجر
الاسود اشارة الى الروح
وتمخض ابى قبيس وانشقاقه
عنه اشارة الى ظهوره
بالرياضة وتحرك آلات
البدن باستعمالها بالتفكر
والتجرد فى طلب ظهوره
ولهذا قيل خبئت فيه
يعنى احتجبت بالبدن
واسوداده بملامسة النساء
الحيض اشارة الى اختفائه
وتكدره بغلبة القوى
النفسانية على القلب
واستيلائها عليه وتسويدها
الوجه النورانى الذى

فيه وقيل المراد بحدود الله هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد ويقوى هذا من التحريم فهى حدود لا تقرب (كذلك) اى كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) اى معالم دينه واحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافى الوافى (لعلهم يتقون) اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب * قوله عز وجل (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) نزلت فى امرئ القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشئ الذاهب

﴿فصل﴾ اما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التعدى والنهب والغصب الثانى ان يأكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث ان يأكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان يأكل اموال الناس يعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) اى وتلقوا امور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكنى لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه يأتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او يذرها قوله سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اى اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) اى طائفة وقطعة (من اموال الناس بالاثم) يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وانتم تعلمون) يعنى انكم على الباطل * قوله عز وجل (يسألونك) اى يا محمد (عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم عن وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول واحال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انما فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم واجارتهم وعدد النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) اى وللحج وانما افرد الحج

يلى الروح منه وكذا اسمعيل ايضا كان من الموحدين لعطفه عليه فى رفع قواعد البيت (واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) اى لا تكلنا الى انفسنا فنسلم بانفسنا بل بك وبجعلك (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) هو محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال عليه السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى وقد رأت فى المنام ان نورا اخرج منها فاضاءت لها قصور الشام (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) اى ملة التوحيد (الا من سفه نفسه) الا من احتجب عن نور العقل بالكلية وبقى فى مقام ظلمة نفسه اى نفسا على التمييز او فى نفسه على انتزاع الخافض (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى من كان من المحبوبين المرادين بالسابقة الازلية

بالذكر وان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد
وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرض
الحج بالاهلة وانه لايجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسىء
(وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار
اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه
عير بذلك فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من
ابوابها وفى رواية كانوا اذا احرموا فى الجاهلية اتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الآية وقيل
كان الناس فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من
بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان كان من
اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت
الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم فى دينهم والحماسة
الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لايبالون بذلك ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من
الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال
رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت
احمسيا فانا احمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس
من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدوله
الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه
وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على اثره فقال
النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احمسى فقال
الانصارى وانا احمسى يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن
البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها) يعنى فى حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون)
* قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابى موسى الاشعرى
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اى ذلك
فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله
(الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال
المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت
فى القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله
اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا
القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ
والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس

(ولا تقتلوا)

فاخترناه حالة الفناء فى
التوحيد (وانه فى الآخرة)
فى حالة البقاء بعد الفناء من اهل
الاستقامة (لمن الصالحين)
لتدبير النظام وتكميل
النوع (اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب
العالمين) اى وحد واسلم
ذاتك الى الله يعنى جعله
فى الازل من اهل الصف
الاول مسلما موحدا مذعنا
لرب العالمين فانيا فيه
(ووصى بها) اى بكلمة
التوحيد (ابراهيم بنيه
ويعقوب) بنيه تأسيا
(يا بنى ان الله اصطفى لكم
الدين) اى دينه الذى
يدين به الموحد لا دين له
غيره ولا ذات فدينه
من الله وذاته ذات الله
(فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك
واله آبائك ابرهيم واسمعيل
واسحق الها واحدا ونحن
له مسلمون) الا على هذا
الدين اى لا تموتن بالموت
الطبيعى موت الجهل بل
كونوا ميتين بانفسكم احياء
بالله ابدا فيدرككم موت
البدن على هذه الحالة
(تلك امة قدخلت لها ما

ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش اوسرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه
من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا
ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله
ولا تغدروا اى ولا تنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لا تعتدوا اى لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا
القول تكون الآية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لا تفى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره
المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق
لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك
وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) * قوله عزوجل (واقتلوهم
حيث ثقفتموهم) اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله
تعالى امر بالجهاد فى الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفى هذه الآية امرهم بالجهاد
معهم سواء قاتلوا اولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (واخرجوهم من حيث
اخرجوكم) اى واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم (والفتنة اشد من القتل)
يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة
لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق
صاحبه الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل
كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)
اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل
فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) اى فقاتلوهم وثبت فى
الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى
وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم
إلا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
(فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم)
اى وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل
من الوثنى الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب
منزلة فيها شرائع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة
تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها
فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة
الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم

كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا
يعملون) اى لا تكونوا
مقلدين ولا تكتفوا
بالتقليد الصرف فى الدين
اذ لا اعتماد على النقل
فليس لاحد الا ما كسب
من العلم والعمل والاعتقاد
والسيرة لا يجازى احد
بمعتقد غيره ولا بعمله فكونوا
على بصائركم واطلبوا
اليقين واعملوا عليه (وقالوا
كونوا هودا او نصارى
تهتدوا) كل محجوب بدينه
يزعم ان الحق دينه لا غير
(قل بل ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين)
فان الهدى المطلق هو
التوحيد الذى يشمل كل
دين ويرفع كل حجاب كما
ذكر بعده فى قوله (قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى
وما اوتى النبيون من ربهم
(لا نفرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون بنفى دين
البعض وابطال ملته واثبات
الآخر وحقيته بل نقول
باجتماعهم على الحق واتفاقهم
على التوحيد وقبل جميع
اديانهم بالتوحيد الشامل
لكلها (فان آمنوا بمثل

وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل (ويكون الدين لله) اى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) اى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة باية السيف وعلى القول الآخر الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها ٭ قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) اى بالقتال (فاعتدوا عليه) اى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) ٭ قوله عز وجل (وانفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق امر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (ت) عن ابى عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى

(الجماعة)

ما آمنتم به) من التوحيد الجامع من كل دين ومذهب (فقد اهتدوا) الاهتداء المطلق اى كل الاهتداء (وان تولوا فانما هم فى شقاق) فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فى طرف من الدين وشق من الهداية يشاقونكم فيه (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) اى آمنا بالله وصبغنا الله صبغة فان كل ذى اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه فالمتعبدون بالملل المتفرقة مصبوغون بصبغ نبيهم والمتمذهبون بصبغ امامهم وقائدهم والحكماء بصبغ عقلهم واهل الاهواء والبدع المتفرقة بصبغ

الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال ايها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقال حديث غريب صحيح مات ابو ايوب فى آخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن فى اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال انفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة (واحسنوا) اى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل احسنوا فى الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه واحسنوا فى اداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) اى يثيبهم على احسانهم * قوله عز وجل (واتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان تتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

﴿فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا﴾ م عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى اصحهما انها واجبة وهو قول على وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثانى انها سنة وروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روى فى حديث الضبى بن سعيد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على وانى اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائى بالطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه فى وجوبهما عليه لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها كقرينتها فى كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وصح ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة

اهواءهم ونفوسهم والموحدون بصبغة الله خاصة التى لا اصبغ احسن منها ولا اصبغ بعدها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطا ضل فذلك النور هو صبغته (سيقول السفهاء من الناس) سماهم سفهاء خفاف العقول لعدم وفاء عقولهم بادراك حقيقة دين الاسلام وقضائها على ما عرفت بحق مذهبها وتوقفها به ولذلك كانت محاجتهم فى الله مع اتفاقهم فى التوحيد واختصاص المسلمين بالاخلاص اذ لو ادركوا الحق لادركوا اخلاصهم فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وادركت فى كل دين ومذهب حقه وفرقت بين ذلك الدين الحق الذى هو كالروح لذلك وبين باطل اهله الذى اختلط به ولبسه خاصة دين الاسلام فانه كله حق بل هو حق الحقوق ولذلك جعلوا امة وسطا اى عدولا بين الامم فضلاء شهداء عليهم (ما ولاهم عن قبلتهم

وعمرتو اجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي
والترمذي وزاد ومامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه
الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام
فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بأنها سنة ماروى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بأن هذا الحديث
يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ماتفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به
واجمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد
ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع
انه يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي بأعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك
السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج
وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة
في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك
والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ماروى عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله
عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال
افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك
في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ماروى عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع
افضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
فأول من نهى عنهما معاوية اخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان
من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان
منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت
والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب
ثلاثة الطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم
فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل مافعل رسول الله صلى الله

التي كانوا عليها) لانهم كانوا
مقيدين بالجهة فلم يقبلوا
الا مقيدا ولم يعرفوا
التوحيد الوافي بالجهات
كلها (قل لله المشرق
والمغرب) على ما مر من
التأويلين (يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم) اي
طريق الوحدة التي تتساوى
الجهات بالنسبة اليها لكون
الحق المتوجه اليه لا في
جهة وكون الجهات كلها
فيه وبه وله كما قال اينما تولوا
فثم وجه الله * ومعنى
شهادتهم على الناس وشهادة
الرسول عليهم اطلاعهم
بنور التوحيد على حقوق
الاديان ومعرفتهم بحق
اهل كل دين وحق كل ذي
دين من دينه وبالباطل الذي
ليس حقهم الذي هو
مخترعات نفوسهم وتمنياتها
واكاذيب اخبارهم
وملفقاتهم ووقوفهم على
حذقهم وابطالهم لما عداه
من الاديان واحتجابهم
وتقيدهم بظاهره دون
التحقق الى باطنه واصله
والاعرفوا حقية دين
الاسلام لان طريق الحق
واحد فلا يستضعفون بحق
سائر الاديان وخاصة دين
الاسلام الذي هو الحق
الاعظم الاظهر والرسول

عليه وسلم من اهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم
هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهى ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة
نوعا وادعت ان حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم
فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها
على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن
روى التمتع اراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة
وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو
الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه
فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به
كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكما روى ان النبى صلى الله عليه
وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك من
رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو
احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله
عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف
مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح
الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان
الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الراس
او التقصير فى اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق او التقصير
وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة * قوله تعالى (فان احصرتم) اصل الحصر فى اللغة الحبس
والتضييق ثم اختلف اهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر
واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها
وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف او المرض
احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه
وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس فى دار او سجن قيل حصر
فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك ههنا ومن احصرك
وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس اقوى من احصر وقيل
الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا فى المنع الباطن
واما قوله فان احصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة فى معناها اختلف
الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من
احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال

مطلع على رتبة كل متدين
بدينه فى دينه وحقيقته
التى هو عليها من دينه وحجابه
الذى هو به محجوب عن
كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم
وحدود ايمانهم واعمالهم
وحسناتهم وسيآتهم
واخلاصهم ونفاقهم وغير
ذلك بنور الحق وامته
يعرفون ذلك من سائر
الامم بنوره (وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وما
جعلنا القبلة التى كنت
عليها الا لنعلم) بالعلم التفصيلى
التابع لوقوع المعلوم لا
العلم السابق فى عين جميع
اول الوجود فانه معلوم
له بذلك العلم قبل وجوده
لان العلم كله لا علم لاحد
غيره فعلو منا التى نعلم بها
الاشياء تظهر على مظاهرنا
من قبله وذلك علمه
التفصيلى اى علمه فى تفاصيل
الموجودات فهو يعلم بذلك
العلم التفصيلى الظاهر فى
مظاهرنا الاشياء بعد وجودها
كما يعلمها بالعلم الاول
الذى هو فى عين الجمع
قبل وجودها (من يتبع
الرسول) فى توحيده (ممن
ينقلب على عقبيه) لاحتجابه
بالتقييد بالدين (وان كانت

حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابوداود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الآية وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدي) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري * قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل او الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى

الكبيرة) اي انه كانت التحويلة لكبيرة لشاقة ثقيلة (الا على الذين هدى الله) هداهم الله الى التوحيد ونجاهم عن الاحتجاب بالتقييد (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم الى بيت المقدس لكونها لله واذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها ولعمري انها انما شقت على طائفتين المحجوبين بالحق عن الخلق والمحجوبين بالخلق عن الحق فان الاولى عرفت ان التحويلة الاولى التي كانت من الكعبة الى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام القلب والسر اي المكاشفة والمكالمة الى مقام الروح والخفاء اي المشاهدة والمعاينة فحسبوا التحويلة الثانية التي كانت صورة الرجوع الى مقام القلب حالة الاستقامة والتمكين للدعوة والنبوة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل والتفصيل في عين الجمع بحيث لا احتجاب عن الخلق بالحق ولا عن الحق بالخلق هو النزول بعد العروج والبعد بعد القرب وظنوه ضياع السعي الى المقام الاشرف وحصول الهجر بعد الوصول والسقوط عن الرتبة فشق

اوما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام)
اى صوم ثلاثة ايام (او صدقة) يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
(او نسك) واحدها نسيكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على
التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر
فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء * قوله تعالى (فاذا امنتم) يعنى
من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير
معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك
بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل
وقيل معناه فاذا امنتم وقد احللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى
السنة القابلة فى اشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من
الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة
حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج
ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال
الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها
يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند
ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على
الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم
بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان يكون من
حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم
التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز ان يأكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان يأكل منه وقوله
(فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة ايام فى الحج) اى فعليه صيام ثلاثة ايام فى وقت اشتغاله بالحج قيل
يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم فى ايام الحج بحيث
يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو
احد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الآخر للشافعى
(وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال
الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال
الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل
الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها
مقام الهدى لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله ان العشرة بكمالها
هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة
فى علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلم جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام

عليهم ذلك واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعلمهم وما عرفوا حكمة التحويلة فظنوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها وبطلانها الذى توهموه فهدينا الى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية (ان الله بالناس لرؤف) يرؤف بهم بشرح الصدر ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للاولى وبقبول ما عملت الثانية بصدقهم وان لم يعلموا ما يفعلون (رحيم) يرحمهم بالوجود الحقانى للاولى وثواب الاعمال والهداية الى الحقيقة للثانية وتوفيقهم للترقى من حالهم ومقامهم الى مقام اليقين (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) فى جهة سماء الروح فى مقام الجمع عند الاستغراق فى الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدى وزر النبوة ومقام الدعوة لعدم التمالك الى الكثرة ويعسر عليك الرجوع الى الحق فى اول حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك الى الحق (فلنولينك قبلة ترضاها) فلنجعلن وجهك يلى قبلة القلب بانشراح الصدر كما قال الم نشرح لك صدرك

ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لايعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اى اكملوها ولاتنقصوها (ذلك) اى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق لمن كان من اهل هذه المواضع فادونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على المتمتع وهو الآفاقى فاما المكى اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لايجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لايوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الامن قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لايحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقدتم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فان الله انزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس من غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال ابو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم اجده الاعند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يروعنه فى صحيحه وعندى ان البخارى انما اخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه ۞ قوله عزوجل (الحج اشهر معلومات) يعنى اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى وابى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لاتفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لايجوز فدل على انه ومابعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج

(الأكبر)

ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فانها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك فى صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق الى الحق مع بقاء شهود الوحدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام) جانب الصدر المشروح المحرم من وصول صفات النفس ودواعى الهوى والشيطان (وحيث ما كنتم) ايها المؤمنون والمحققون سواء كنتم فى جهة مشرق الروح ومغرب النفس (فولوا وجوهكم شطره) جانبه ليتيسر عليكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاولى اى الجهة الشرقية وا ترقى عن حالكم ومقامكم والتوقى عن احتجابكم بدواعى الهوى والشيطان فى الثانية (وان الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة والانجيل وكتاب العقل الفرقانى اى العقل المستفاد (ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) لاهتدائهم بما فى الكتاب من توحيد الافعال والصفات والدالة على التوحيد الصمدى

الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال و ذوالقعدة وذوالحجة بكماله وهورواية عن ابن عمروبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وجهة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهوان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابى حنيفة وعشرة ايام فاوجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال وذوالقعدة وذوالحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعنى فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض مابه يصير حاجا وهو فعل بفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية فى انعقاد الحج وقال ابوحنيفة لايصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية اوسوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلابد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية فى الصلاة وفى الآية دليل على ان الاحرام بالحج لاينعقد الا فى اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعى واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثورى وابوحنيفة ينعقد احرامه بالحج فى جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هى مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلارفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفى رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به فى غيبة النساء لايكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت اترفث وانت محرم فقال ان الرفث ماقيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلارفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطى الجماع وان يكون نهيا عن الحديث فى ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولافسوق) اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هى المعاصى كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظى وقال ابن عمر هو مانهى عنه المحرم فى حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل

الذاتى اليه اونور العقل المور بالنور الشرعى لا المحجوب بالقياس الفكرى (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية) دالة على صحة نبوتك وحقيقة قبلتك ولو من كتابهم اوما كانت عقلية قطعية (ما تبعوا قبلتك) لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به (وما انت بتابع قبلتهم) لعلوك عن رتبة دينهم وترقيك عن مقامهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لاحتجاب كل بدينه وتضاد وجههم الناشئ من التضاد المركوز فى طباعهم (ولئن اتبعت اهواءهم) المتفرقة (من بعدما جاءك من العلم) علم التوحيد الجامع اياك (انك اذا لمن الظالمين) الناقصين حقك وحق مقامك (الذين آتيناهم الكتاب) ابناء فهم ودراية (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) اى كالمحسوس المشاهد القريب الدائم الاحساس لقربهم منه بالحقيقة وتوسمهم اياه بالدلائل الواضحة (ولكل وجهة هو موليها) اى ولكل احدمنكم غاية وكمال

هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في اناس من اهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(واتقون) اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا اولي الالباب) ياذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) اي حرج (ان تبتغوا فضلا من ربكم) يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من

(ربكم)

بحسب استعداده الاول الله موجه وجهه اليها اوهو نفسه موجه نفسه اليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده باذن الله (فاستبقوا الخيرات) الامور المقربة اياكم من كمالكم وغاياتكم التي خلقتم لاجلها وندبتم اليها (اينما تكونوا) من مقام وحال دونها اوتخالفها لكونها في مقابلها (يأت بكم الله جميعا) الى تلك الغاية قريبا او بعيدا بحسب اقتضاء القربات واستباقها (ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت) من طرق حواسك وميلك الى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين (فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اي فكن حاضرا للحق في قلبك مواجها صدرك تشاهده مشاهد فيه مراعيا جانبه تكون في الاشياء بالله لا بالنفس (وحيثما كنتم) ايها المؤمنون (فولوا وجوهكم) جانب الصدر تشاهدون مشاهدكم فيه مراعين له غير معرضين

ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية ان تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرق هى بأسفل مكة على بريد منها وذوالمجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذى القعدة وثمانية ايام من اول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن ابى امامة التيمى قال كنت رجلا اكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا اباعبدالرحمن انى رجل اكرى فى هذا الوجه وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابوداود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فى اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة افضل واكمل * وقوله تعالى (فاذاافضتم) اى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما اذن فى الناس بالحج واجابوه بالتلبية وابى من ابى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لايطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجاز فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما اصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى ام من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء اى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلايكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولايتم الحج الابه ومن فاته الوقوف فى وقته فقدفاته

عنه فى حال (لئلا يكون للناس عليكم حجة) ساطعة بوقوعهم فى اعراضكم واعتباركم اياهم عند غيبتكم عن الحق وترفعهم عليكم اوغلبة بالقول اوالفعل فى مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحق فيها حينئذ بل يخضعون وينقادون لكم فان حزب الله هم الغالبون (الا الذين ظلموا منهم) اى الكفار المردودين الذين احتجبوا عن الحق مطلقا فانهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون ولا ينقادون لعدم اشتغالهم عن الحق مطلقا وسمى شبهتهم التى يسوقونها مساق الحجة واعتراضهم على المسلمين قولا وفعلا وترفعهم عليهم فى انفسهم حجة مجازا وقرئ الاللتنبيه واستؤنف الذين ظلموا (فلاتخشوهم) لانهم لايغلبونكم ولا يضرونكم (واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) كونوا على هيبة من تجلى عظمتى لئلايقعوا فى قلوبكم واعينكم ولايملوا صدوركم فتميلوا الى موافقتهم اجلالا لهم وتعظيما لكونكم فى الغيبة وبالنفس كما قال امير المؤمنين عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق

الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة لمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل اونهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر وقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يارسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو مابين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذى عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير سند ولم اجده فى الاصول قال طاوس كانوا فى الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى مابعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة ماقبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل فى الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اى ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع فى عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) اى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) اى لا تعرفون كيف

فى عينك * ولا تمامى نعمة الكمال عليكم ولا رادتى اهتداء كم امرتكم بدوام الحضور والمراقبة (كما ارسلنا) اى كما ذكرتم بارسال رسول (فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) من جنسكم ليمكنكم التلقى والتعلم وقبول الهداية منه لجنسية النفس ورابطة البشرية (فاذكرونى) بالاجابة والطاعة والارادة (اذكركم) بالمزيد والتوالى بالسلوك وافاضة نور اليقين (واشكروالى) على نعمة الارسال والهداية بسلوك صراطى على قدم المحبة ازدكم عرفانى ومحبتى (ولا تكفرون) بالفترة والاحتجاب بنعمة الدين عن المنعم فانه كفران بل كفر (ياايها الذين آمنوا) الايمان العيانى (استعينوا بالصبر) معى عند سطوات تجليات عظمتى وكبريائى (والصلوة) اى الشهود الحقيقى بى (ان الله مع الصابرين) المطيقين لتجليات انواره (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) اى يجعل فانيا مقتولة نفسه فى سلوك

تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل
ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى
واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين *
قوله عزوجل (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن
دان بدينها وهو الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم
ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا
افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس
ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة
رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت
سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتى عرفات
فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا يسمون
الحمس هو جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم
فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثانى انه خطاب لسائر
المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس
وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسى
بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم
وماسواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر
قبل طلوع الشمس للرمى والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم
من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله
فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدله على ان هذه الافاضة
من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول
الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا
افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فكأنه قال فاذا افضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز
(قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم فى قوله
ثم افيضوا بمعنى الواو اى وافيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام
بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين
ضرب من السير السريع وهو اشد من المشى والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض والنص
السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله

سبيل التوحيد ميتا عن هواه
كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم موتوا قبل ان
تموتوا هم (اموات) اى عجزة
مساكين (بل) هم (احياء)
عند ربهم بالحياة الحقيقية
وحياة الله الدائمة السرمدية
شهداء الله بالحضور الذاتى
قادرون به (ولكن لا
تشعرون) لعمى بصيرتكم
وحرمانكم عن النور
الذى تبصر به القلوب
اعيان عالم القدوس
وحقائق الارواح
(ولنبلونكم بشئ من
الخوف) اى خوف الموجب
لانكسار النفس وانهزامها
(والجوع) الموجب لنهك
البدن وضعف قواه ورفع
حجاب الهوى وسد طريق
الشيطان الى القلب (ونقص
من الاموال) التى هى مواد
الشهوات المقوية للنفس
الزائدة فى طغيانها (والانفس)
المستولية على القلب
بصفاتها والمستغنية بذاتها
ليزيد بنقصها القلب ويقوى
او انفس الاقرباء والاصدقاء
الذين تأوون اليهم
وتستظهرون بهم لتنقطعوا
الى وتبتلوا (والثمرات)
اى الملاذ والمتمتعات النفسانية
لتلتذوا بالمكاشفات
والمعارف القلبية

عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه
اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله
تعالى (واستغفروا الله) اى من مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعنى
ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة فى الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه
تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه
تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه
وكرمه * قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) اى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم
اى ذبائحكم وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعنى بالتحميد والتمجيد و
التهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال اهل التفسير كانت العرب فى الجاهلية اذا فرغوا من
حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم
ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابى كبير الجفنة رحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا
يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار فى ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح
وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم
ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم
قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبى اول ما يفصح بالكلام
يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (او اشد ذكرا)
اى بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اى واشد ذكرا اى واكثر ذكرا لآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى
الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم
ولا يذكر فيه اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصى اشد من غضبك لوالديك
اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) يعنى ان المشركين كانوا يسألون الله فى حجهم الدنيا
ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم
ان ابى كان عظيم الفئة كبير الجفنة كثير المال فاعطنى مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا
لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد
الدرهم وعبد الخميصة ان اعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس
عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من التعس والخميصة ثوب من خز او صوف
معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على راسه او فى امره فقد خاب وخسر قوله
واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت فى جسمه والانتقاش اخراج
الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم
كانوا ينكرون البعث (وماله فى الآخرة من خلاق) اى وما له فى الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم
من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعنى المؤمنين واعلم ان الله
تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون
البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة
وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله

والمشاهدات الروحية عند
صفاء بواطنكم بالانقطاع
منها وخلوص بصائر
قلوبكم بنار الرياضة
والبلاء والعزلة من غش
صفات نفوسكم (وبشر
الصابرين) يعنى الصابرين
عن مألوفاتهم بلذة محبتى
وقوة ارادتى (الذين اذا
اصابتهم مصيبة) من
تصرفاتى فيهم دائما شاهدوا
آثار قدرتى بل انوار تجليات
صفتى و (قالوا انا لله) اى
سلموا وايقنوا انهم ملكى
اتصرف فيه (وانا اليه
راجعون) اى تفانوا فى
وشاهدوا تهلكهم فى بى
(اولئك عليهم صلوات من
ربهم) بالوجود الموهوب
لهم بعد الفناء الموصوف
بصفاتى المنور بانوارى
(ورحمة) ونور وهداية
يهدون بها الخلق الى (واولئك
هم المهتدون) بهداى كما
ورد فى الدعاء واجعلنا
هادين ومهديين غير ضالين
ولا مضلين (ان الصفا
والمروة) اى ان صفاء
وجود القلب ومروة
وجود النفس (من شعائر
الله) من اعلام دينه
ومناسكه القلبية كاليقين
والرضا والاخلاص
والتوكل والقالبية

من شر حلو آلامهالانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل من الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا فى الدعاء من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل ان الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنة فى الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتى فى الدنيا حسنة فى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رجلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابوداود (اولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا اى لكل فريق من هؤلاء (نصيب) اى حظ (مما كسبوا) يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير مالهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى اقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة او ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب اى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل فى معنى الآية ان اتيان القيامه قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى ادبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان

كالصلاة والصيام وسائر العبادات البدنية (فمن حج البيت) اى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهيه بالفناء الذاتى الكلى (او اعتمر) زار الحضرة بتوحيد الصفات والفناء فى انوار تجليات الجمال والجلال (فلا جناح عليه) حينئذ فى (ان يطوف بهما) اى يرجع الى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما التكوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الحرج فان فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول (ومن تطوع خيرا) اى ومن تبرع خيرا من باب التعاليم وشفقة الخلق والنصيحة ومحبة اهل الخير والصلاح بوجود القلب ومن باب الاخلاق وطرق البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل الرفق لهم ولعياله بوجود النفس بعد كمال السلوك والبقاء بعد الفناء (فان الله شاكر) يشكر عمله بثواب المزيد (عليم) بانه من باب التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التكوين والابتلاء والفترة (ان الذين يكتمون ما انزلنا

النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى ايام معدودات) يعنى ايام التشريق وهى ايام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن ابى طالب وروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى ادبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل تبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى اصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن ابى طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله فحسن وروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق ❊ وقوله تعالى (فمن تعجل فى يومين) اى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من ايام التشريق (فلا اثم عليه) اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق

من البينات والهدى) اى يكتمون ما افضنا عليهم من بينات انوار المعارف وعلوم تجليات الافعال والصفات وهدى الاحوال والمقامات او الهداية الى التوحيد الذاتى بطريق علم اليقين فان العيانى لا يكتم بالتلوينات النفسية او القلبية الحاجبة للمكاشفات القلبية والمسامرات السرية والمشاهدات الروحية (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) فى كتاب عقولهم المنورة بنور المتابعة المدركة لآثار انوار القلوب والارواح ببركة الصحبة (اولئك يلعنهم الله) يردهم ويطردهم (ويلعنهم اللاعنون) من الملا الاعلى بعد لانهم وترك امدادهم من عالم الايد والنور ومن المستعدين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوة صدقهم واستراحوا الى صحبتهم وملازمتهم يتبركون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان احوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والبعد والاعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدر صفاتهم (الا الذين

وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها والرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر مالم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاة الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه فى الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى فتعجلوا او تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله (واتقوا الله) اى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه ابى وانما سمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال انى ساخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا (ويشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو الد الخصام) اى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) اى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) اى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى

تابوا) اى رجعوا عن ذنوب احوالهم وعلموا ان ذلك كان ابتلاء من الله (واصلحوا) احوالهم بالانابة والرياضة (وبينوا) اى كشفوا واظهروا بصدق المعاملة مع الله والا خلاص ما احتجب عنهم (فأولئك اتقبل توبتهم والقى التوبة عليهم (وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا) حجبوا عن الدين او الحق (وماتوا وهم كفار) اى بقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفا نور فطرتهم بدين الحجاب وانقطعوا عن الاسباب التى يمكن بها رفع حجاب الموت (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى استحقوا البعد والحرمان والطراد الكلى من الحق ومن عالم الملكوت وعن الفطرة الانسانية المعبر عنه بالطمس (خالدين فيها) للبوس استعدادهم وانطفاء نور فطرتهم (لا يخفف عنهم العذاب) لرسوخ هيئاتهم المعذبة فى جواهر نفوسهم (ولاهم ينظرون) للزوم تلك الهيئات المظلمة اياهم (والهكم اله واحد لا اله الا هو) ومعبودكم الذى خصصتموه بالعبادة ايها

الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشئوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) اى خف الله فى سرك وعلانيتك (اخذته العزة بالاثم) اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) اى كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم اعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) اى الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يحصل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد احد (خ) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فأبى ان يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ان تروا ان ما بى جزع من الموت

الموحدون معبود واحد بالذات واحد مطلق لا شئ فى الوجود غيره ولا موجود سواه فيعبد فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم البحت فلا شرك الا للجهل به (الرحمن) الشامل الرحمة لكل موجود (الرحيم) الذى يخص رحمة هدايته بالمؤمنين الموحدين وهى اول اية نزلت فى التوحيد بحسب الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس تنزل الى مقام توحيد الافعال (ان فى خلق السموات والارض) اى ان فى ايجاد سموات الارواح والقلوب والعقول وارض النفوس (واختلاف الليل والنهار) النور والظلمة بينها (والفلك التى تجرى فى البحر) وفلك البدن التى تجرى فى بحر الجسم المطلق (بما ينفع الناس) فى كسب كمالاتهم (وما انزل الله من السماء من ماء) اى الروح من ماء العلم (فاحيا به الارض بعد موتها) ارض النفس بعد موتها بالجهل (وبث فيها

لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالى حين اقتل مسلما ٭ على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا ٭ يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ زاد فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع وقوله فالجؤه اى ما رسوه واراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير و قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب ابن عدى الانصارى ومرثد بن ابى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى افلح الانصارى وذكر نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى احد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم يعنى سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بأبيه امية بن خلف فبعثه مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس فى اهلى فقال ابو سفيان ما رأيت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يتغير منه شئ بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام وامى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهى بهذين من اصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته

من كل دابة) القوى الحيوانية الحية بحياة القلب وتصريف الرياح) عصوف زيادة الافضال الحقانية وسحاب تجلى الصفات الربانية (والسحاب المسخر بين السماء والارض) المسخر المهيا بين سماء الروح وارض النفس (والسحاب المسخر بين السماء والارض) (لايات لدلائل لقوم يعقلون) بالعقل المنور بنور الشرع المجرد عن شوب الوهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) او من يعبد من دون الله اشياء اما اناسى من جنسهم كالازواج والاولاد والآباء والاجداد والاخوان والاحباب والرؤساء والملوك وغيرهم واماغير اناسى كالحيوانات والجمادات وسائر اموالهم بالاقبال عليهم والتوجه نحوهم ومراعاتهم وحفظهم والاهتمام بهم وبحالهم والتفكر فى بابهم يحبونهم كحبهم الله اى كما يجب ان تحب الله فتكون تلك الاشياء عندهم مساوية فى المحبة مع الله فتكون اندادا او شركاء لله بالنسبة اليهم او تكون هى محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير فهى آلهتهم كان الله اله الخلق

وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لاتصلوا الى او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي مابقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن اتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما ارى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال وانا اشرى نفسي لله فقاتله وكان علي كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) اي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشترى ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يارسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الآية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة اي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود وتعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم انتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ماوسعه الا اتباعي قوله انتهوكون اي متحيرون انتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية اي

فهم جعلوا لانفسهم آلهة اندادا لا اله سائر الخلق اله العالمين (والذين آمنوا اشد حبا لله) من غيره لانهم لايحبون الا الله لايختلط حبهم له بحب غيره ولا يتغير ويحبون الاشياء بمحبة الله ولله وبقدر مايجدون فيها من الجهة الالهية كما قال بعضهم الحق حبيبنا واذا اختلفنا فالحق احب الينا اي اذا لم تبق جهة الالهية فيهم بمخالفتهم اياه لم تبق محبتنا لهم اواشد حبا من محبتهم لآلهتهم لانهم يحبون الاشياء بانفسهم لانفسهم فلاجرم تتغير محبتهم بتغير اعراض النفوس انفسهم عند خوف الهلاك ومضرة النفس عليهم والمؤمنون يحبون الله بأرواحهم وقلوبهم بل بالله لله لاتتغير محبتهم لكونها لالغرض ويبذلون ارواحهم وانفسهم لوجهه ورضاه ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون افعاله وان كانت بخلاف هواهم كما قال احدهم

* اريد وصاله ويريد هجري *
* فاترك ما اريد لما يريد *

(ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب) اي اشركوا بجهة الانذار في وقت

لاتحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى ياايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا فى السلم اى الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اى باجمعكم ولاتتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى احكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية للاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما معنى الوسوسة فعلوم انه يزين المعاصى والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لانراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ماهى فكأنه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) اى ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم (من بعد ماجاءتكم البينات) اى الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) اى فى نقمته ممن خالفه غالب لايعجزه شئ (حكيم) يعنى انه لاينتقم الابحق والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الآية وعيد وتهديد لمن فى قلبه شك ونفاق اوعنده شبهة فى الدين * قوله عزوجل (هل ينظرون) اى ينتظرون التاركون الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الالبنى اسرائيل فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) اى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله عزوجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء فى آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى آيات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لايفسر وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وامثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولاتشبيه ولاتأويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم فى المعنى

رؤيتهم عذاب الاحتجاب بآلهتهم (ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب) اى القدرة كلها لله ليس لآلهتهم شئ منها وشدة عذاب الله بقرنهم بآلهتهم فى نار الحرمان بالسلاسل النارية المستفاد من محبتهم اياها لكان مايدخل تحت الوصف ولهذا المعنى حذف جواب لو (اذتبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذيرون العذاب اى وقت رؤيتهم العذاب هو وقت تبرئ المتبوعين من التابعين مع لزوم كل منهما الآخر بمقتضى الصبة التى كانت بينهم اعذب كل منهما بالآخر وتقيده واحتجابه به عن كمالاته ولذاته وانقطاع الاسباب والوصل الموجبة للفوائد والتمتعات التى كانت بينهم فى الدنيا من القرابة والرحم والالفة والمودة وسائر الموصلات الدنيوية الجالبة للنفع واللذة فانها تقطع كلها بانقطاع لوازمها وموجباتها دون المواصلات الخيرية والصحبات الالهية المبنية على المناسبة الروحية والتعارف الازلى فانها تبقى ببقاء الروح ابدا وتزيد فى الآخرة بعد رفع الحجب

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولاذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجئ والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلابد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجئ الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره في آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما اوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتي به كان اسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ * وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة واهوالها (وقضي الامر) اى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) اى الى الله تصير امور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا اضافوا افعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا * قوله عز وجل (سل بني اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي انعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) اى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة والميل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعني لمن بدل نعمة الله * قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)

البدنية لاقتضائها محبة الله المفيدة في الآخرة كما قال تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والواو في (ورأوا العذاب) وتقطعت بهم الاسباب) واو الحال اى تبرؤاعنهم في حال رؤيتهم العذاب وتقطع الوصل بينهم يعني حال ظهور شر المقارنة وتبعتها ونفاد خيرها وفائدتها كحال سفاح الكلاب مثلا (وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة) اى ليت لنا كرة (فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) اى ينقلب محباتهم وما يبتني عليهم من الاعمال حسرات عليهم وكذا يكون حال القوى الروحانية المصادقة للقوى النفسانية التابعة لها المسخرة اياها في تحصيل لذاتها (ياايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اى تناولوا من اللذات والتمتعات التي في الجهة السفلية من عالم النفس والبدن على وجه يحل ويطيب اى على قانون العدالة باذن الشرع واستصواب العقل بقدر

نزلت فى مشركى العرب ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبدالله بن ابى واصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك انه لايمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار الابتلاء والامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لاعلى سبيل الالجاء والقسر الذى لايمكن تركه بل على سبيل التحبب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الآخرة وقيل اوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لابد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعنى ان الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين زعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) اى فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء فى عليين والكفار والمنافقين فى اسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظرى مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد فى الخصومة الذى لاينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال فى مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس فيه اوعنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل مايدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه فى الدنيا ولا يحاسبه فى الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لايحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لايخاف نفاد مافى خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر مايعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق لمن يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لايحتاج اليه ولا معارض له فى حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولالم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لاشريك له فى ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه

الاحتياج والضرورة ولاتخطوا حد الاعتدال الذى به تطيب وتنفع الى حدود الاسراف فانها خطوات الشيطان ولهذا قال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فانه عدو لكم بين العداوة يريدان يهلككم ويبغضكم الى ربكم بارتكاب الاسرافات المذمومة فانه لايحب المسرفين واعلم ان العداوة فى عالم النفس هى ظل الالفة فى عالم القلب واعتدال ظلها فى عالم البدن والالفة ظل المحبة فى عالم الروح وهى ظل الوحدة الحقيقية فالاعتدال هو الظل الرابع للوحدة والشيطان ينفر من ظل الحق ولا يطيقه فيخطو ابدا فى مجال تلك الظلال الى جوانب الاسرافات وحيث يعجز فالى جوانب التفريطات كما فى المحبة والالفة ولهذا قال امير المؤمنين على عليه السلام لاترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا فان الجاهل مصرة الشيطان (انما يأمركم بالسوء) الاضرار والاذى الذى هو افراط القوة الغضبية (والفحشاء) اى القبائح التى هى افراط

مايعطى الله المتقين فى الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على مامن به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لانفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطى اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عزوجل (كان الناس امة واحدة) اى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحى وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعنى اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب فى ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها مايدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم فى القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعنى بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى مجرى ازالة المرض ولاشك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم (وانزل معهم الكتاب) اى الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) اى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اوتوه) اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ماجاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين

(آمنوا)

القوة الشهوانية (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) الذى هو افراط القوة النطيقة لشوب العقل بالوهم الذى هو الشيطان المسخر له (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) من مراعاة حد الاعتدال والعدالة فى كل شئ على الوجه المأمور به فى الشرع (قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا) من الاسرافات المذمومة فى الجاهلية تقليدا لهم (أ) تتبعونهم (ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا) من الدين والعلم (ولايهتدون) الى الصواب فى العمل لجهلهم (ومثل الذين كفروا) اى مثل داعى الكفار المردودين (كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون) الناعق بالبهائم فانها لاتسمع الا صوتا ولاتفهم ما معناه فكذا حالهم (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ان كنتم موحدين تخصون العبادة بالله فلا تتناولوا الا من طيبات ما رزقناكم اى ماينبغى فى العدالة ان يستعمل من المرزوقات (واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) باستعمالها فيما يجب ان تستعمل

آمنوا لما اختلفوا فيه) اى الى مااختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة مااختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق للذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وامره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) * قوله عزوجل (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم مااصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة فى اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فانزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل مااصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) اى اصابهم الفقر او الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) اى وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لايستقر بل لايزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية

لوجه الذى ينبغى ان تستعمل على بالقدر الذى ينبغى فان التوحيد يقتضى مراعاة الاعتدال والعدالة فى كل شئ اقتضاء الذات ظلها ولازمها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انى والجن والانس فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) لجمود الدم فيها وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج (والدم) لاختلاطه بالفضلات النجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنورية وعدم صلاحيته لذلك بعد لقصور النضج (ولحم الخنزير) لغلبة السبعة والشره ومباشرة القاذورات والدياثة على طبعه فيولد فى آكله مثل ذلك (وما اهل به لغير الله) اى رفع الصوت بذبحه لغير الله يعنى ماقصد بذبحه واكله الشرك لمنافاته التوحيد سفيرا عن الشرك ويفهم منه مايقوى اكله به على الكلام ورفع الصوت لغير الله اى كل ما يؤكل لاعلى التوحيد فهو محرم على آكله (فمن اضطر) اى من الجاعة (غير باغ) على مضطر آخر باستئثاره (ولا عاد) سد الرمق (فلا

القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تنتصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون * قوله عزوجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما انفقتم من خير) اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل او كثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لايقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لايقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم (والمساكين) وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول ﴿بقى فى الآية سؤال﴾ وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ماينفق فأجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ماينفقونه هو المال ثم ضم الى جواب السؤال مايكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لاتعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لاتعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

* قوله عزوجل (كتب عليكم القتال) اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله

اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) اى ملء بطونهم الا ما هو وقودنا رالحرمان وسبب اشتعال نيران الطبعية الحاجبة عن نور الحق المعذبة بهيآت السوء المظلمة الموقعة صاحبها فى جحيم الهيولى الجسمانية (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) عبارة عن شدة غضبه عليهم وبعدهم عنه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) مشرق عالم الارواح ومغرب عالم الاجساد فانه تقيد واحتجاب (ولكن البر) بر الموحدين الذين آمنوا بالله والمعاد فى مقام الجمع اذ التوحيد فى مقام الجمع يلزمه البقاء الابدى الذى هو المعاد الحقيقى وشاهدوا الجمع فى تفاصيل الكثرة ولم يحتجبوا بالجمع عن التفصيل

عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان اوفاجرا اخرجه ابوداود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا اولم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة * وقوله تعالى (وهو كره لكم) اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع على القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى تكرهون من القتال هو خير لكم) من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لاتدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل (وعسى ان تحبوا شيأ) يعنى القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى ما فى الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وانتم لاتعلمون) يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال * قوله عز وجل (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولاتنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولاتستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر

الذى هو باطن عالم الملائكة وظاهر عالم النبيين (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال) الذى جمع بين الظاهر بالاحكام والمعارف وافاد علم الاستقامة ثم استقاموا بعد تمام التوحيد جمعا وتفصيلا بالاعمال المذكورة فان الاستقامة عبارة عن وقوف جميع القوى على حدودها بالامر الالهى لتنورها بنور الروح عند تحقق صاحبها بالله فى مقام البقاء بعد الفناء وذلك مقام العدالة وكون هى فى ظل الحق منخرطة فى سلك الوحدة بكليتها (على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة) اى فى حال الاحتياج اليه والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا قال الله تعالى يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعلى حب الله لئلا يشغل قلبه عنه ولانه تعالى يرضى بايثاره اوعلى حب الايتاء يعنى بطيب النفس فان

على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لعلك تأتينا
منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد
الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف
عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابى
وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبدالله ببقية اصحابه حتى
نزل فى بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما
وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن
المغيرة ونوفل بن عبدالله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد
نزلوا قريبا منهم فقال عبدالله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم
وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا امنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما رأوه
امنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه
من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله
فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء واخذ الحرائب يعنى المال
وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم
فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبدالله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال
فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون اصحاب
السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم مالم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم
قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا هلال
رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام واول غنيمة
قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم
سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فمات
بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه
فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية واما تفسير الآية فقوله تعالى يسألونك يعنى يا محمد عن
الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولان احدهما انهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطؤا ام اصابوا وقيل
ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال فى الحرام وفى الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان

الكريم هو الفرح وطيب
النفس بالاعطاء ومن قوله
وآتى المال الى قوله (وآتى
الزكوة) من باب العفة التى
هى كمال القوة الشهوانية
ووقوفها على حدها فيما
يتعلق بها وقوله (والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا) من
باب العدالة المستلزمة
للحكمة التى هى كمال القوة
النطقية فانها مالم تعلم تبعة
الغدر والخيانة وفائدة
الفضيلة المقابلة لهما لم تف
بالعهد وقوله (والصابرين
فى البأساء) اى الشدة والفقر
(والضراء) اى المرض
والزمانة (وحين البأس)
اى الحرب من باب الشجاعة
التى هى كمال القوة الغضبية
(اولئك) الموصوفون بهذه
الفضائل كلها الثابتون فى
مقام الاستقامة (الذين
صدقوا) الله فى موطن
التجريد بافعالهم التى هى
البركة (واولئك هم
المتقون) من محبة غير الله
حتى النفس المجردون عن
غواشى النشأة والطبيعة
ويمكن ان يؤول المال بالعلم
الذى هو مال القلب لانه
يتقوى به ويستغنى اى اعطى
العلم مع كونه محبوبا ذوى
قربى القوى الروحانية
لقربها منه ويتامى القوى

السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) اى قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزو فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) اى وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج اهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (اكبر عند الله) اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) اى الشرك الذى انتم عليه (اكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يقاتلونكم) يعنى يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعنى الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب (فاولئك حبطت اعمالهم) اى بطلت اعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله وتحبط اجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم (واولئك اصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ابدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل تؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى امصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (اولئك يرجون رحمت الله) اى يطمعون فى نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى اصل الثواب وانما دخل الظن فى كميته

النفسانية لانقطاعها عن نور الروح الذى هو الاب الحقيقى ومساكين القوى الطبيعية لكونها دائمة السكون لتراب البدن وعلمها علم الاخلاق والسياسات الفاضلة ثم اذا ارتوى من العلم علم المعارف والاخلاق والآداب والمعايش جملة وتفصيلا وفرغ من نفسه افاض على ابناء السبيل اى السالكين والسائلين اى طلبة العلم وفى فك رقاب عبدة الدنيا والشهوات من اسرهم بالوعظ والخطابة واقام صلاة الحضور اى اداءها بالمشاهدة وآتى ما زكى نفسه عن النظر الى الغير والتفاتات الخواطر بالبقى ومحو الصفات والموفون بعهد الازل بملازمة التوحيد وافناء الذات والآنية والصابرين فى بأساء الافتقار الى الله دائما وضراء كسر النفس وقمع الهوى وحين بأس محاربة الشيطان اولئك الذين صدقوا الله فى الوفاء بعهده وعزيمة السلوك وعقده واولئك هم المتقون عن الشرك المتنزهون عن البقية (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر

ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) اى لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبدالله بن جحش واصحابه مالم يعلموا به * قوله عزوجل (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله تعالى هذه الآية واصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله عزوجل انزل فى الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى اول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبدالرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلى بهم فقرا قل ياايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر فى اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا وروى ان حمزة بن عبدالمطلب شرب الخمر يوما وخرج فاتى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرجى ملسا فى المعاشر

فاحياؤنا من خير احياء من مضى * واموا تنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حمزة فعزم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شئ اشد من الخمر (ق) عن انس قال ما كان

بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم فى القصاص) * القصاص قانون من قوانين العدالة فرض لازالة عدوان القوة السبعية وهو ظل من ظلال عدله تعالى فانه اذا تصرف فى عبده بافنائه فيه عوضه عن حر روحه روحا وهو ما خيرا منه وعن عبد قلبه قلبا وهو با وعن انثى نفسه نفسا موهوبة كاملة * قاصة الله اياكم بما ذكر (حياة) عظيمة اى حياة لا يوصف كنهها (يا اولى الالباب) اى العقول الخالصة عن قشر الاوهام وغواشى العينيات والاجرام فكذا فى هذا القصاص (لعلكم تتقون) كى تتقوا تركه وتحافظوا عليه (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية والدين والاقربين بالمعروف) * الوصية والمعاملة عليها قانون آخر فرض لازالة نقصان القوة الملكية اى القوة النطقية وقصورها [illegible] يقتضى الحكمة من التصرف فى الاموال والمسالمة على القوتين

لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

﴿ فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها ﴾ اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها اخرجه الترمذي

﴿ فصل في احكام تتعلق بالخمر ﴾ وفيه مسائل ﴿ الاولى في ماهيتها ﴾ قال الشافعي الخمرة عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام لما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة اشياء بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد

الاخرين بنور الحق وحكم الشرع ومنها عن عدوانها ايضا بتبديل الوصية الذي هو نوع من الجرعة والخيانة وتحريضها على التحقيق والتدقيق في باب الحكمة التي هي كالها بالاصلاح بين الموصى لهم على مقتضى الحكمة اذا توقع وعلم من الموصي اضرارا بالسهو او العمد (حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) * الصيام قانون آخرتها فرض لازالة عدوان القوة البهيمية وتسلطها * (واعلم) * ان قصاص اهل الحقيقة ما ذكر ووصيتهم هي بالمحافظة على عهد الازل بترك ما سوى الحق كما قال تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ووصاياهم هو الامساك عن كل قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحق للحق (كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان) اى احتراق النفس بنور الحق (الذى انزل فيه) فى ذلك الوقت (القران هدى الناس) اى العلم الجامع الاجمالى المسمى بالعقل القرآنى الموصل الى مقام الجمع * هداية للناس الى الوحدة باعتبار الجمع (وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر) ودلائل متصلة من الجمع والفرق اى العلم التفصيل المسمى بالعقل الفرقانى * فمن حضر منكم فى ذلك الوقت اى بلغ مقام شهود الذات (فليصمه) اى فليمسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحق فيه (ومن كان مريضا) اى مبتلى بامراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود (اوعلى سفر فعدة من ايام آخر) اى فى سلوك بعد ولم يصل الى الشهود الذاتى فعليه مراتب اخر يقطعها حتى يصل الى ذلك المقام (يريد الله بكم اليسر) بالوصول الى مقام التوحيد والامتداد بقدرة الله (ولا يريد بكم العسر) اى تكلف الافعال

ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابوداود وزاد فى رواية والذرة وانى انهاكم عن كل مسكر والترمذى نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية اى لم يكن فى زمانه اوسبق قوله فيها وفى غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام * عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابوداود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعى على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذى وابو داود * عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فمل الكف منه حرام اخرجه ابو داود والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا بالبغدادى واجيب عن حديث عمر فى الطلاء بأنه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك فى الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب واما حديث ابى الاحوص ففيه وهمان احدهما فى سنده حيث قال عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابى بريدة عن ابيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى * المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه

والرجس فى اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تأكيدا لمزجرعنها ﴿ المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها ﴾ اجتمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه فى الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اى فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما فى التحريم سواء * عن ابى طلحة قال يانبى الله انى اشتريت خمر الايتام فى حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان اباطلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وماكانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

﴿ فصل ﴾ واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من اقداح لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه الحيل والمفيض فيجيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر مايخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لاانصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لايأخذ ولايغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لايخرج شيأ بين الاصحاب لبخله واما حكم الآية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فمحرم

بالنفس الضعيفة العاجزة (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم) ولتتموا تلك المراتب والاحوال والمقامات الموصلة * ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته اياكم الى مقام الجمع (ولعلكم تشكرون) بالاستقامة امركم بذلك (واذا سئلك عبادى عنى) السالكون الطالبون المتوجهون الى عن معرفتى (فانى قريب) ظاهر (اجيب دعوة الداع اذا دعان) من يدعونى بلسان الحال والاستعداد باعطائه مااقتضى حاله واستعداده (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) بتصفية الاستعداد بالزهد والعبادة فانى ادعوهم الى نفسى واعلمهم كيفية السلوك الى وليشاهدونى عند التصفية فانى اتجلى عليهم فى مرائى قلوبهم * لكى يرشدوا بالاستقامة اى لكى يستقيموا ويصلحوا (احل لكم) اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى فى وقت الغفلة الذى يتخلل ذلك الامساك المذكور فى زمان حضوركم (الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن) التنزل الى مقارفة نفوسكم

اللعب به سواء كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ماروى عن بريدة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير خرجه مسلم وعن ابى
موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد اونرد شير فقد عصى الله ورسوله
اخرجه ابوداود وعن على بن ابى طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج
فذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن اوبغير رهن ومذهب الشافعى
انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان
وروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر
مايوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعنى فى الخمر
والميسر (اثم كبير) اى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان
ارتكب كل قبيح ففى ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل مالا يحل
فعله واما الاثم الكبير فى الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل ومايجرى بينهما من الشتم
والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعنى انهم كانوا يربحون
فى بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد
منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى
المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما اكبر من نفعهما) يعنى اثمهما
بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر * قوله تعالى (ويسئلونك ماذا
ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق
فقال الله تعالى (قل العفو) يعنى الفضل والعفو مافضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة
يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية
الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو
الوسط فى الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو فى صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا
الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك
يبين الله لكم الآيات) اى يبين لكم الامور التى سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه
(لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) يعنى فتأخذون مايصلحكم فى الدنيا وتنفقون الباقى
فيما ينفعكم فى الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفى اقبال الآخرة
وبقائها فترغبوا فيها * قوله عزوجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم
وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد
ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل
اصلاح لهم خير) اى اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولاعوض خير لكم اى

محفوظها اذلامصابرة
لكم عنها لكونها تلابسكم
وكونكم تلابسونها بالتعلق
الضرورى (علم الله انكم
كنتم تختانون أنفسكم)
باسترقاق الحظوظ فى
ازمنة تلك السلوك
والرياضة والحضور (فتاب
عليكم وعفا عنكم فالآن)
اى فى وقت الاستقامة
والتمكين حال البقاء بعد
الفناء (باشروهن) فى
اوقات الغفلات (وابتغوا
ماكتب الله لكم) من
التقوى والتمكن بتلك
الحظوظ على توفير حقوق
الاستقامة والقيام بما
امر الله به من العبودية
والدعوة اليه (وكلوا
واشربوا) اى كونوا مع
رفقها (حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ثم اتموا
الصيام الى الليل ولاتباشروهن
وانتم عاكفون فى
المساجد تلك حدود الله
فلاتقربوها كذلك يبين الله
آياته للناس لعلهم يتقون)
حتى تظهر عليكم بوادى
الحضور ولوامعه وتغلب
آثاره وانواره على سواد
الغفلة وظلمتها ثم كونوا
على الامساك المذكور
بالحضور مع الحق حتى

اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اى شاركوهم فى اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا منى اموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم اوتكافؤهم على ماتصيبون من اموالهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) اى لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ مايشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) اى غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لايكلف عباده الا ماتتسع فيه طاقتهم * قوله عزوجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى ابى مرثد بن ابى مرثد الغنوى واسم ابى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ياعناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق ومالقى بسببها وقال يارسول الله ايحل لى ان اتزوجها فانزل الله تعالى هذه الآية واصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اى اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وماامروا الاليعبدوا الها واحدا لااله الاهو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو

يأتى زمان الغفلة لولا ذلك لما امكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته * ولاتقاربوهن فى حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين فى مساجد قلوبكم والا تشوش وقتكم بظهورها (ولاتأكلوا اموالكم) معارفكم ومعلوماتكم (بينكم بالباطل) باطل شهوات النفس ولذاتها بتحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها (وتدلوابها الى الحكم) وترسلوا الى حكام النفوس الامارة بالسوء (لتأكلوا فريقا من اموال الناس) القوى الروحانية (بالاثم) اى بالظلم لصرفكم اياها فى ملاذ القوى النفسانية (وانتم تعلمون) ان ذلك اثم ووضع للشئ فى غير موضعه (يسئلونك عن الاهلة) اى عن الطوالع القلبية عند اشراق نور الروح عليها (قل هى مواقيت للناس والحج) اى اوقات وجوب المعاملة فى سبيل الله وعزيمة السلوك وطواف بيت القلب والوقوف فى مقام المعرفة (وليس البر بأن تأتوا البيوت) بيوت قلوبكم

بشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ماأتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لايتناول الاعبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من ادلة فعله قول من قال ان اسم الشرك لايتناول الاالوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعني انفع واصلح وافضل (من مشركة) يعني حرة (ولو اعجبتكم) يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال ياخنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبدالله بن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وماهي ياعبدالله قال هي تشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبدالله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية (ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة اى لاتزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اى اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لايجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو اعجبكم) بحسنه وماله وجاله (اولئك يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعلموا بما امركم به وانتهوا عمانهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) اى بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) اى يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه (لعلهم يتذكرون) اى فيتعظون * قوله عزوجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الاالنكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيأ الاخالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا استقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه (قل هو اذى) اى هو شئ قذر والاذى في اللغة مايكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء في المحيض) اى فاجتنبوا مجامعتهن (ولاتقربوهن) يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من

(من ظهورها) من طرق حواسكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنية فان ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن (ولكن البر) بر (من اتقى) شواغل الحواس وهواجس الخيال ووساوس النفس (واتوا البيوت من ابوابها) الباطنة التي تلي الروح والحق فان باب القلب هو الطريق الذي انفتح منه الى الحق (واتقوا الله) في الاشتغال بما يشغلكم عنه (لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) من الشيطان وقوى النفس الامارة (ولاتعتدوا) في قتالها بأن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور (ان الله لايحب المعتدين) لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة الذي هو العدالة (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم ازيلوا حياتهم وامنعوهم عن افعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا (واخرجوهم) من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل)

الحيض والمعنى ولاتقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) اى اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث امركم الله) قال ابن عباس طؤهن فى الفرج ولاتعتدوا الى غيره فانه هو الذى امر الله به ولاتأتوهن فى غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذى امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لايكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (المسئلة الاولى) اجمع المسلمون على تحريم الجماع فى زمن الحيض ومستحله كافر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اتى حائضا او امرأة فى دبرها اوكاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعى وبه قال احمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار وفى رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار فى فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وانا حائض اخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ اوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو ومعناها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت انا حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير منسوج من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى احد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لماروى عن معاذة العدوية قالت سالت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكنى اسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم مالم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام

من مكة الصدر عند استيلائها عليها كما اخرجوكم عنها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم عن مقر القلب * وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام اذاتها اشد من قمع هواها واماتتها الكلية او محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم من القتل الذى هو طمس غرائزكم بالكلية لزيادة الالم هناك (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الذى هو مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وافقوكم فى توجهكم فانها اعوانكم على السلوك حينئذ (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم) وبازعوكم فى مطالبهم ويجروكم عن جناب القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) من تارهم ودواعيهم وتعبدهم (ويكون الدين لله) بتوجه جميعها الى جناب القدس ومتابعتها للسرف التوجه الى الحق ليس

عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لايجوز للزوج غشيانها مالم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطأ الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولاتقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لايحل قبل الغسل * وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لايعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من اتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن اهل الكتاب ان لايأتوا النساء الا على حرف وذلك استر ماتكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابوداود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اى ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم في صمام واحد وروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبزر والولد كالنبات الخارج (فاتوا حرثكم انى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها اخرجه ابوداود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا

للشيطان والهوى فيه نصيب (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) عليهم الا العادين المجاوزين عن حدودهم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرامات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) اى وقت منعها اياكم عن مقصدكم ودينكم هو بعينه وقت منعكم اياها عن حقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة (وانفقوا في سبيل الله) مامعكم من العلوم بالعمل بها ولاتدخروها لوقت آخر عسى لاتدركونه فلاشئ اضر من التسويف (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وانفاقه في مصالح النفس فانه وجب للحرمان (واحسنوا) اى وكونوا في عملكم مشاهدين (ان الله يحب المحسنين) المشاهدين في اعمالهم ربهم مخلصين له فيها (واتموا الحج والعمرة لله)

(وان)

وان شئتم لاتعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت
فارو وروى عنه انه قال تستأمر الحرة فى العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة
العزل وقالوا هو الوأد الخفى وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية
نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت فى رجل اتى امرأته
فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقى سالم بن عبد الله بن
عمر فقال له ياعم ماحديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء فى ادبارهن
فقال كذب العبد واخطأ انما قال عبد الله يؤتون فى فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة
ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن وقالوا لان الله
حرم الفرج فى حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة
اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه
الى غيره * وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع
(ق) عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان يأتى اهله قال
بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره
الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لايموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحلة القسم قوله الا
تحلة القسم يعنى قدر مايبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها
جاوزها فقد ابر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية
(واتقوا الله) اى احذروا ان تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا انكم ملاقوه) اى
صائرون اليه فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (وبشر المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى *
قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت فى عبد الله ابن رواحة كان بينه
وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبد الله لايدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين
خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لى الا ان تبر يمينى فانزل الله
هذه الآية وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث
الافك والعرضة ما يجعل معرضة للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل مايعترض فيمنع عن الشئ
فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى
بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه فى ترك البر والاصلاح (ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لاتحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس
(م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا
منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لاتكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين مصلحين فان
كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) اى لحلفكم (عليم) يعنى بنياتكم
* قوله عز وجل (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما
لايعتد به وهو الذى يورد لاعن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لاعقد معه كقول
القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى ويعضده ماروى

حج توحيد الذات وعمرة
توحيد الصفات باتمام جميع
المقامات والاحوال بالسلوك
الى الله وفى الله (فان
احصرتم) بمنع كفار
النفس الامارة اياكم عنهما
(فما استيسر من الهدى)
فجاهدوا فى الله بسوق
هدى النفس وذبحها بفناء
كعبة القلب او عرصة
ماتمنى منها القلب من المقام وما
استيسر اشارة الى ان النفوس
مختلفة فى استعدادتها
وصفاتها فبعضها
موصوف بصفات حيوان
ضعيف وبعضها بصفات
حيوان قوى ولكل ماتيسر
وبعضها بصفات حيوان
ذلول سهل الانقياد
وبعضها بصفات حيوان
صعب عسر الانقياد وربما
كان لبعضها صفة لم يتيسر
قمعها وان يتيسر قمع سائر
صفاتها ومثل هذا الحاج
محصر ابدا (ولا تحلقوا
رؤسكم) ولا تزيلوا آثار
الطبيعة وتختاروا طيب
القلب وفراغ الخاطر من
الهموم والتعلقات كلها
والعادات والعبادات
وتقتصروا على صفاء
الوقت كما هو مذهب
القلندرية (حتى يبلغ الهدى)

عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله اخرجه البخارى موقوفا ورفعه ابوداود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابوحنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطأ احسن ما سمعت فى ذلك اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به احدا ويعتذر لمخلوق او يقطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة و انما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذى بين الشافعى وابى حنيفة فى لغو اليمين ان الشافعى لا يوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن و ابوحنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعى هو قول عائشة والشعبى وعكرمة ومذهب ابى حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة و مكحول وقيل فى معنى اللغو انه اليمين فى الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لايؤاخذكم اى لايعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لايؤاخذكم اى لايلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية.

﴿ فصل فى بيان حكم الآية ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ لاتنعقد اليمين الا بالله وبأسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى اعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ لايجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وابى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لاتنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اذا حلف على امر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما او جاهلا وذهب ابوحنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين (والله غفور) يعنى لعباده فيما لغوا من ايمانهم التى اخبر انه لايؤاخذهم عليها ولو شاء اخذهم والزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل (حليم) يعنى فى ترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لايحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع

هدى النفس (محله) اى مكانه وهو مذبحه او منحره الذى يقتضى ان تكون افعالها التى كانت محرمة عند حياتها بهواها تصير حلا عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها والانتشوش وتحكم وتكدر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال اكثر القلندرية اليوم (فمن كان منكم مريضا) اى ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة فى جبلتها او مكتسبة من العادات (او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) او ممنوعا مبتلى بهموم وتعلقات ورذائل وهيآت ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ما ينبغى واراد ان يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا ينتكس ويحط عن درجته وان لم يترق فعليه فدية من امساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية * او فعل بر او رياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة لحفظ وقته وليراع صفاءه بزهد ما او عبادة او مخالفة نفس (فاذا امنتم) من العدو

(يقبه)

ويبقيه وهو منهمك كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لايذكر فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذى يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لايستفزه غضب ولايستخفه جهل جاهل ولاعصيان عاص ولايستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنى الذى لايعجل بالعقوبة * قوله عزوجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون اى يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الالايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لاجامعك اولا أباضعك اولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيا فابت ان تعطيه حلف لايقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لاايما ولاذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لايريد امرأته ولايحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لايقربها ابدا فيتركها لاايما ولاذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى به يعلم ماعند الرجل فى المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) اى انتظار (اربعة اشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) اى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين ﴿ فروع ﴾ تتعلق بحكم الآية

﴿ الفرع الاول ﴾ اذا حلف انه لايقرب زوجته ابدا اومدة هى اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفئ وهو الرجوع اوالطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه اوبالقول مع العجز عنه فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وابوحنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية ﴿ الفرع الثانى ﴾ لوحلف ان لايطأها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿ الفرع الثالث ﴾ لوحلف ان لايطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفئ اوالطلاق وقد مضت المدة وعند ابى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿ الفرع الرابع ﴾ مدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿ الفرع الخامس ﴾ اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا

المحصر (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) بذوق تجلى الصفات متوسلا به الى حج تجلى الذات (فما استيسر من الهدى) بحسب حاله (فمن لم يجد) لضعف نفسه وجودها وانقهارها (فصيام ثلاثة ايام) فعليه الامساك عن افعال القوى التى هى الاصول القوية فى وقت التجلى والاستغراق فى الجمع والفناء فى الوحدة فانها لابد من ان تحجب وتجر الى حضيض النفس والصدر وهى العقل والوهم والمتخيلة (وسبعة اذا رجعتم) الى مقام التفصيل والكثرة وهى الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة فى الاشياء بالله (تلك عشرة كاملة) مذاكة اى تلك الامساكات المذكورة عن افعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لافاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال كما قال كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخر الحديث (ذلك) الحكم (لمن لم يكن اهله حاضرى

فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة * قوله (وان عزموا الطلاق) اى تحققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعني لاقوالهم (عليم) يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق مالم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عز وجل (والمطلقات) اى المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هى التى اوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) اى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم الحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اى جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هي الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابى موسى وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هي الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فذلك العدة التى امر الله ان يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

فى كل عام انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضى الله عنها اذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعى والنساء بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابى حنيفة لا تنقضى عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع فى حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن

المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب) من المحبوبين الكاملين الحاضرى مقام القلب فى الوحدة فانه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة فى وصوله وسلوكه الى الله بل هو للمحبين (الحج اشهر معلومات) اى وقت الحج ازمنة معلومة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين كما قال فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك (فمن فرض فيهن الحج) على نفسه بالعزيمة والتزم (فلا رفث) اى فاحشة ظهور القوة الشهوانية (ولا فسوق) اى لاسباب يعنى خروج القوة الغضبية عن طاعة القلب (ولا جدال) اى تعدى القوة النطقية بالشيطنة (فى الحج) اى فى قصد بيت القلب (وما تفعلوا من خير) من فضيلة من افعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها (يعلمه الله) ويثبكم عليه (وتزودوا) من فضائلها التى يلزمها الاجتناب عن رذائلها فان خيرا لزاد التقوى) منها(واتقون) فى اعمالكم ونياتكم(ياأولى الالباب)

الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

﴿ فصل فى احكام العدة ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء فى ذلك الحرة والامة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء فى ذلك الحائض والامة والآيسة ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهى ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهى ثلاثة اقراء الضرب الثانى الآيسات من الحيض اما الكبرا وتكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيماله نصف وفى الاقراء قرآن لانه لا ينتصف قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين * وقوله تعالى (ولا يحل لهن ان يكتمن ماخلق الله فى ارحامهن) قال ابن عباس يعنى الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ماخلق الله فى رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك ادحق ان كنت مؤمنا يعنى ان اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلم والمعنى ينبغى ان يمنعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل مايستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثانى انه لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة (وبعولتهن احق بردهن فى ذلك) يعنى ازواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم فى ذلك اى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان ارادوا اصلاحا) يعنى ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعنى وللنساء على الازواج (مثل الذى عليهن) يعنى للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيماله عليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس فى معنى الآية انى احب ان اتزين لامرأتى كما احب ان تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله فى النساء فيه الحث

فان قضية الالباب اى العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادة اتقائى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) اى لا حرج عليكم عند الرجوع الى الكثرة فى ان تطلبوا رفقا لانفسكم وتمتعوها بحظوظها على مقتضى الشرع باذن الحق فان حظها حينئذ يقويها على موافقة القلب فى مقاصده ولانها غير طاغية لتنورها بنور الحق (فاذا افضتم) اى دفعتم انفسكم من مقام المعرفة التامة الذى هو نهاية مناسك الحج وامها كما قال النبى عليه السلام الحج عرفة (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) اى شاهدوا جمال الله عند السر الروحى المسمى بالخفى فان الذكر فى هذا المقام هو المشاهدة والمشعر هو محل الشعور بالجمال المحرم من ان يصل اليه الغير (واذكروه كما هداكم) الى ذكره فى المراتب فانه تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال الذى تصدر نعماء الله وآلاؤه منه ثم ذكر

على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لايوطئن فرشكم احدا تكرهونه معناه ولاياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولايعدونه ريبة ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلامعنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع * وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) اى منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها (والله عزيز) اى غالب لايمتنع عليه شئ (حكيم) اى في جميع افعاله واحكامه روى البغوى بسنده عن ابى ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها * قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الى ولاتحلين ابدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق اولم يطلق اخرجه الترمذى وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لااطلقك فتبيني منى ولا آويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضى راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستانف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعى مرتان ولارجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعى وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعى يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان اباحنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذى يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته

السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم ذكر الروح وهو مشاهدة انوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع البقية (وان كنتم من قبله) اى من قبل الوصول الى عرفات المعرفة والوقوف بها (لمن الضالين) عن هذه الاذكار (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) الى ظواهر العبادات والطاعات وسائر وظائف الشرعيات والمعاملات من حيث اى من مقام افاضة سائر الناس فيها وكونوا كاحدهم قيل لجنيد رحمة الله عليه ما النهاية قال الرجوع الى البداية (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) من ظهور النفس وتبرمها بالحال وطغيانها قال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقال اللهم ثبتني على دينك فقيل له في ذلك فقال اومايؤمنني ان مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت ولماتورمت قدماه

والعددالذى تبين به زوجته منه والمعنى ان عددالطلاق الذى لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لارجعةله بعدالتطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعنى بعدالرجعة وذلك انه اذا راجعها بعدالتطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ماعرف فى الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (او تسريح باحسان) يعنى انه يتركها بعدالطلاق حتى تنقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولايذكرها بعدالمفارقة بسوء ولاينفر الناس عنها ﴿فروع﴾ تتعلق بالاحكام الطلاق ﴿الفرع الاول﴾ صريح اللفظ الذى يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابى حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿الفرع الثانى﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة اوطلقتين بعدالدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت فى العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها اوطلقها قبل الدخول بها اوخالعها فلاتحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها ﴿الفرع الثالث﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان احدالزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج فى عددالطلاق وبه قال الشافعى ومالك واحمد وذهب ابوحنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن) يعنى اعطيتموهن (شيئا) يعنى من مهر اوغيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا ان يخافا ان لايقيما حدود الله) نزلت فى جميلة بنت عبدالله بن ابى ويقال حبيبة بنت سهل الانصارى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكوا اليه زوجها وقالت انه يسبنى ويضربنى فقال ارجعى الى زوجك فانى اكره للمرأة ان لاتزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رأت اباها لايشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته آثارا بها من ضربه وقالت يارسول الله لاانا ولاهو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى وجه الارض احب الى منها غيرك فقال لها ماتقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يارسول الله ولكنى خشيت ان يهلكنى فاخرجه منه وقالت يارسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكنى ابغضه فلاانا ولاهو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها على واخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ياثابت خذمنها مااعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ثابت بن قيس مااعتب عليه فى خلق ولامال ولكنى اكره الكفر فى الاسلام قال ابوعبدالله يعنى تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قال نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها مااعتب عليه يعنى مااجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اى يعلما الزوجات من انفسهما ان لايقيما حدود

فقالت له عائشة رضى الله عنها اماغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال امير المؤمنين عليه السلام اعوذ بالله من الضلال بعد الهدى (فاذا قضيتم مناسككم) وفرغتم من الحج (فاذكروا الله كذكركم اباءكم اواشد ذكرا) اى فلاتكونوا كاهل العادة مشغولين بذكر الانساب والمفاخرات وسائر احوال الدنيا فان ذلك يكدر وقتكم ويقسى قلوبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمذاكرة مع الاخوان مثل ماكنتم تذكرون احوال الانساب وسائر احوال الدنيا قبل السلوك اوكما يذكر الناس هذه الاحوال بالعادة او ابلغ واقوى واكثر ذكرا منها ليبقى صفاؤكم ويهتدى بكم الناس (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) اى لايطلب الاالمتاع الدنيا ولايشتغل الابذكرها ولا يعبدالله الالاجلها (وماله فى الآخرة من خلاق) فان توجهه الى الاخس منعه عن قبول الاشرف لعدم نهوض همته اليه واكتساب الظلمة

الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله فى امور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدى عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيأ مما اعطاها الا ان يكون النشور من قبلها وذلك ان تقول لا ابرّ لك قسما ولا اطيع لك امرا ولا اطألك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعنى يعلم القاضى والوالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (ان لا يقيما حدود الله) يعنى ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى لا جناح على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها او اعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المرأة طائعة راضية

﴿ فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل ﴾ ﴿ الاولى ﴾ قال الزهرى والنخعى وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لا يجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لها شئ فاذا بذلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة امر نفسها اولى واجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع ﴿ المسئلة الثانية ﴾ الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول على وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمرأة لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلف العلماء فى الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة

المنافية للنور (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) اى يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والتعذب بنيران الطبيعة والحرمان عن انوار الرحمة (اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) من حظوظ الآخرة وانوار دار القرار واللذات الباقية بالاعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها او العفو (واذكروا الله فى ايام معدودات) مراتب معدودة بعد الفراغ من الحج وهو مرتبة الروح والقلب والنفس لان الواصل اذا رجع رجع الى هذه المراتب وعليه فى المراتب الثلاث ان يكون بالله فذلك ذكره (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) اى فمن تعجل الى حظوظه فى مرتبة الروح والقلب فلا اثم عليه اذ الروح والقلب وحظوظهما لا يحجبان ولا يضران ومعنى التعجل هو ان الحركة اذا كانت بالله كانت اسرع ولا يكون معها لبث ولا وقوف ربما يظهر القلب او الروح

فى البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث * قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) اى فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) اى يجاوزها فاولئك هم الظالمون * قوله عز وجل (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) اى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته قولها فبت طلاقى اى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حمله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء مشددة وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابى بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك * قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعنى على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) اى علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل * فرعان * اولا مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثانى اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذى وقال

وبصير جاها نوريا كما يكون لاصحاب التلوين (ومن تأخر) الى الثالث الذى هو مرتبة النفس (فلا اثم عليه لمن اتقى) اى ذلك الحكم لمن اتقى ان يكون مع حظوظ النفس بالنفس فان النفس الزم لحظها من صاحبيها وحظها اغلظ وابعد من النور من حظوظهما وسريعا ما تظهر للزوم الطيش والحركة اياها بخلاف صاحبيها وحظها ايضا كثيرا ما يحجب واذا حجب كان حجابه غليظا ظلمانيا فالاحتراز هناك والاحتياط واجب واولى من الباقيين لانهما ان ظهر ارق حجابهما وسهل زواله اوذلك التخيير لمن اتقى فى المراتب الثلاث (واتقوا الله) فى المواطن الثلاثة من ظهور الانانية والآنية حتى تكونوا فى الحظوظ به لا بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى انكم محشورون معه تحشرون من اسم الى اسم حاضرون بحضرته فانتم على خطر عظيم بخلاف سائر الناس كما ورد فى الحديث المخلصون على خطر عظيم

حديث حسن صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان فى عزمهما ذلك وبه قال الشافعى وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثة فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما امرهم بها ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت فى ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن اجلهن) اى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها لم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هاهنا مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فأمسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (او سرحوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا ايضاروهن لتفتدى المرأة منه بمالها (لتعتدوا) اى لتظلموهن بمجاوزتكم فى امورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعنى بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فان من وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذى * وقوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعنى بالايمان الذى انعم به الله عليكم فهذا كله وسائر نعمه التى انعم بها عليكم (وما انزل عليكم) اى واذكروا نعمته فيما انزله عليكم (من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) اى الكتاب الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل اخته جميلة وكانت تحت ابى القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لى اخت تخطب الى وامنعها من الناس فاتانى ابن عم لى فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس

وعن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بشر المذنبين بانى غفور وانذر الصديقين بانى غيور (ومن الناس من يعجبك) اى يدعى المحبة وهو الد الخصام لكونه فى مقام النفس زنديقا ولهذا قال تعالى (قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام) اذ ليس له قول فى الآخرة بالقلب (واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) لاباحته وتزندقه كما ترى عليه اكثر مدعى المحبة والتوحيد (والله لا يحب الفساد) اى هو مفسد ويدعى محبة الله وكيف تتأتى له والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه والله لا يحب ما يفعله فلا يكون صادقا فى دعواه كما قال الشاعر

تعصى الاله وانت تظهر حبه
هذا قبيح بالفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

(واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) اى حملته الحمية النفسانية حمية الجاهلية على الاثم لجاجا واشر الظهور

وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها لك ابدا ففي هذا نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى * وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) اي ذلك الذي ذكر من النهي (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم ازكى لكم واطهر) يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله (والله يعلم) يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير (وانتم لا تعلمون) يعني ذلك * قوله عز وجل (والوالدات) يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن اولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير ابن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى له من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن اراد ان يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة

نفسه حينئذ وزعمه انه اعلم بما يفعل من ناصحه (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) اي غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمها فان جهنم معناه مهوى بعيد العمق مثله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) ببذل نفسه في سلوك سبيل الله طايا ضاء (كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اي في الاستسلام وتسليم الوجوه لله ادمعاداة القوى بعضها بعضا وعلى موافقتها في التسليم لامر الله دليل تتبع الشيطان وهو يريد ان تستحقوا قهر الله بارتكاب الاسرافات المذمومة لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه ناري الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نورانيين فهو عدو في الحقيقة في صورة الحب (فان زللتم) عن مقام التسليم لامر الله (من بعد ما جاءتكم البينات) دلائل تجليات الافعال والصفات (فاعلموا ان الله عزيز) غالب بقهركم

فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس فى رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعه ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعه لتسعة اشهرا رضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هو حد لكل مولود اى فى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا بالاتفاق من الابوين فانهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل ومايعيش به (وعلى المولود له) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللآباء الابناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) اى طعامهن (وكسوتهن) اى لباسهن (بالمعروف) اى على قدر الميسرة (لاتكلف نفس الا وسعها) يعنى طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف فى الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ماتتسع به مقدرته ولايبلغ اسراف القدرة (لاتضار والدة بولدها) يعنى لاينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولايدفع الى غيرها وقيل معناه لاتكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبى لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعنى لاتلق المراة الولد الى ابيه وقد الفها بضاره بذلك وقيل معناه لايلزم الاب ان يعطى ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لايضار كل واحد منها صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لايضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولاينفق عليه الاب اوينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لاتضار والدة ولدها ولااب ولدا (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث ابى الولد اذا مات مثل ماكان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه فى القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبى الذى لومات الصبى ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابى الصبى فى حال حياته واختلف فى اى وارث هو فقيل هم عصبة الصبى كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون على نفقة الصبى كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبى نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبى فى ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبى غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان ارادا) يعنى الوالدين (فصالا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) اى على اتفاق من الوالدين فى ذلك (وتشاور) اى يشاورون اهل العلم فى ذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لايضر بالولد والمشاورة استخراج

(حكيم) لايقهر الا على مقتضى الحكمة والحكمة تقتضى قهر المخالف المنازع ليعتبر المطيع الموافق ويزيد فى الطاعة (هل ينظرون) اى هل ينتظرون (الا ان يأتيهم) بتجلى (الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر) صفات الهوية من جملة تجليات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاكهم (والى الله ترجع الامور سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيقابل كل امرئ بجزائه اوتزهق اليه بالفناء (كان الناس امة واحدة) اى على الفطرة ودين الحق كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهو فى عهد الفطرة الاولى على الحقيقة اوفى زمن الطفولة اوفى عهد آدم عليه السلام كان الناس امة واحدة) ثم اختلفوا فى

الرأي بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) اى فلا حرج ولا اثم على الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك او اردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعنى الى المراضع (ما آتيتم) يعنى لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن (بالمعروف) اى بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها * قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعنى يموتون (منكم) واصل التوفى اخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض واخذ (ويذرون) اى ويتركون (ازواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) اى ينتظرن (بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا ابهمت فى العدد من الليالى والايام غلبوا الليالى حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن امه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الزائدة

﴿ فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد * وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر او عدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على هذا ما روى عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالى اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزويج ان بدالى اخرجاه فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان

النشأة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم وتفرق اهوائهم فان تضاد اصول بنيتهم ومراكز ابدانهم باختلاف البقاع والاهوية اقتضى ذلك وكذا ما فى طباعهم من جذب النفع الخاص ودفع الضرر الخاص لاحتجاب كل بمادة بدنه واقتضاء الحكمة الالهية ذلك لمصلحة النشو والنماء يقتضى التعادى والتخالف (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ليدعوهم من الخلاف الى الوفاق ومن الكثرة الى الوحدة ومن العداوة الى المحبة فتفرقوا وتحزبوا عليهم وتميزوا فاما السفليون الذين رسخت فى طباعهم محبة الباطل وغلب على قلوبهم الرين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم فازدادوا خلافا وعنادا فكانهم ما

كانت فى دمها غير انه لايقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام فى كل من توفى عنها زوجها
بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴿ المسئلة الثانية ﴾ يجب على من توفى عنها زوجها
الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى
كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعى تكتحل به بالليل وتمسحه
بالنهار عن ام سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابو سلمة وقد جعلت
على صبرا فقال ماهذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب
الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باى
شئ امتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك اخرجه ابو داود والنسائى نحوه قوله فانه يشب
الوجه اى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به رأسك اى تلطخين به
رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا لطخته بشئ فأكثرت منه ولايجوز
لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ماصبغ لغير
الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن
زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها
ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست
منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل
لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
(م) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد
على ميت فوق ثلاث الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا (ق) عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد
على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا
مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها فى نبذة من
كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل
النسج قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر
به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من
الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة
الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبدالله اشتكت عينها
وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك فى الموطأ
﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلفوا فى هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم مالم تعلم بوفاة
زوجها لاتعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك
لايحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة

اختلفوا الا عند بعثهم واتيانهم
بالكتاب الذى هو سبب
ظهور الحق والوفاق حسدا
بينهم ناشئا من عند انفسهم
وغلبة هواهم واحتجابهم
واما العلويون الذين بقوا
على الصفاء الاصلى
والاستعداد الاول فهداهم
الله الى الحق الذى اختلفوا
فيه بزوال خلافهم وسلكوا
الصراط المستقيم (ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة) جنة تجلى
الجمال (ولما يأتكم) حال
(الذين) مضوا (من قبلكم
مستهم البأساء والضراء)
بأساء الترك والتجريد والفقر
والافتقار وضراء المجاهدة
والرياضة وكسر النفس
بالعبادة (وزلزلوا) بدواعى
الشوق والمحبة عن مقار
نفوسهم ليظهروا مافى
استعدادهم بالقوة (حتى
يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله) اى حتى
تضجروا من طول مدة
الحجاب وكثرة الجهاد من
الفراق وعيل صبرهم عن
مشاهدة الجمال وذوق
الوصال وطلبوا نصر الله
بالتجلى على قمع صفات
النفوس مع قوة مصابرتهم
وحسن تحملهم لما يفعل
المحبوب ويريد بهم من

او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لا علم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ﴿المسئلة الرابعة﴾ اجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم * وقوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال التطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن فى انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عز وجل (ولا جناح) اى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) اى لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر و باطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له اول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك الراغب وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول انى اريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسر لى امرأة صالحة اخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبنى فى العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليهما فما كانت تلك خطبة (او اكننتم) يعنى اضمرتم (فى انفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض لمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله انكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق اسقط عنه الحرج (ولكن

ابتلائهم بالهجران واذاقتهم طعم الفرقة لاشتداد قوة المحبة فكيف بغيرهم فاجيبوا اذ بلغ جهدهم ونفدت طاقتهم وقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اى رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال (يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم) قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم امر من طعم العلقم واشد من ضغم الضيغم (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم) لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية التى تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذة السرمدية وكذا عكسه (والله يعلم) ما فى الامور من الخير والشر (وانتم لا تعلمون) ذلك لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل وبالظاهر عن الباطن (يسئلونك عن

لاتواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لاتتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبى لاتصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الازعمت بسباسة القوم اننى * كبرت وان لايحسن السر امثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن لفظ الجماع بالصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية اولاتواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى اذن فى اول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الاان تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ماذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المراة انه راغب فى نكاحها (ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله) اى لاتحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم فاحذروه) اى فخافوه (واعلموا ان الله غفور حليم) لايعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه * قوله عزوجل (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اوتفرضوا لهن فريضة) اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فاوجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء فى الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى اى وقت شئتم حائضا كانت المراة اوطاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) اى اعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ به من الزاد (على الموسع) اى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) اى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولاحيف (حقا) اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان اوقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن * فصل فى بيان حكم الآية * وفيه فروع * الفرع الاول * اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولامتعة لها عليه (الفرع الثانى) المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لامتعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر

الشهر الحرام قتال فيه) يسألونك عن جهاد النفس واعوانها والشيطان وجنوده فى وقت التوجه والسلوك الى الحق وجهة الباطن الحرام فيه حركة السر (قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم) الجهاد فى ذلك الوقت امر عظيم شاق وجوهكم عن سبيل الله ومقام السر ومحل الحضور احتجاب عن الحق واخراج اهل القلب الذين هم القوى الروحانية عن مقارهم اعظم واكبر عند الله وفتنة الشرك والكفر وبلاؤهما عليكم اشد من قتلكم اياهم بسيف الرياضة ولايزال تلك القوى النفسانية والاهواء الشيطانية يقاتلونكم بذكركم عن دينكم ومقصدكم ودعوتكم الى دين الهوى والشيطان (حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه) باتباعهم (فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم)

لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿الفرع الثالث في قدر المتعة﴾ قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية اومقنعة اوشئ من الورق وهومذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وقال ابوحنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لايجاوز وقال احمد في احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك ﴿الفرع الرابع﴾ ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر مثلها صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض ولها عليها مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عزوجل ﴿ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ﴾ يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولاعدة عليها وهو قوله تعالى ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ اى سميتم لهن مهرا ﴿ فنصف مافرضتم ﴾ اى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لاتوجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابوحنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلوبها وليس هناك مانع حسي ولاشرعي فالحسي نحو الرتق والقرن اويكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا اونفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولاسترا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا دخلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر ﴿فرع﴾ لومات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * وقوله تعالى ﴿ الا ان يعفون ﴾ يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج ﴿اويعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ فيه قولان احدهما انه الولي وهوقول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهوقول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهوقول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة اوغير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا اوجدا لان غيرهما لايزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الآية اويعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف

التي عملوها في الاستسلام والانقياد ﴿ في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار ﴾ نار الحجاب والتعذيب ﴿هم فيها خالدون ان الذين آمنوا ﴾ يقينا ﴿وهاجروا﴾ اوطان النفس ومألوفات الهوى ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ وجنود الشيطان والنفس الامارة ﴿اولئك يرجون رحمة الله﴾ تجليات الصفات وانوار المشاهدة ﴿والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر ﴾ خمر الهوى وحب الدنيا وميسر احتيال النفس في جذب الحظ ﴿ قل فيهما اثم كبير﴾ الحجاب والبعد ﴿ ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولوشاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو

اعجبتكم ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا
ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم اولئك
يدعون الى النار والله
يدعوا الى الجنة والمغفرة
باذنه ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون ويسئلونك
عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا
تقربوهن حتى يطهرن فاذا
تطهرن فأتوهن من حيث
امركم الله ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين
نساؤكم حرث لكم فأتوا
حرثكم انى شئتم وقدموا
لانفسكم واتقوا الله واعلموا
انكم ملاقوه وبشر المؤمنين
ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس والله
سميع عليم لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والله غفور حليم للذين
يؤلون من نسائهم تربص
اربعة اشهر فان فاؤا فان الله
غفور رحيم وان عزموا
الطلاق فان الله سميع عليم
والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله فى
ارحامهن ان كن يؤمن بالله

الساقط عنه فحسن للمرأة ان تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيه فى لها المهر كاملا وروى ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اى لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (حافظوا) اى داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها فى اوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تانيث الاوسط ووسط كل شئ خيره واعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا

﴿ فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى ﴾ قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد وربيع بن انس وبه قال مالك والشافعى ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن ابى طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك فى الموطاء واخرجه الترمذى عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا النهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتى فى وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابى سعيد الخدرى ورواية عن عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن ابى حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعائشة قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك فى الموطأ عن زيد والترمذى عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتى وسط النهار وفى شدة الحر ولانها تأتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن مسعود وابى ايوب وابى هريرة

وابن عمر وابن عباس وابى سعيد الخدرى وعائشة وهو قول ابى عبيدة السلمانى والحسن البصرى وابراهيم النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال ابوحنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذى هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردى من اصحابنا هذا مذهب الشافعى لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة فى العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ماروى عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفى رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفى رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد فى اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذى وله عن ابن مسعود مثله قال فى كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن ابى يونس مولى عائشة قال امرتنى عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتى وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تأتى بين صلاتى نهار وهما الفجر والظهر وصلاتى ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ماروى عن ابى المليح قال كنا مع بريدة فى غزوة فقال فى يوم ذى غيم بكروا بصلاة العصر فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخارى قوله بكروا بصلاة العصر أى قدموها فى اول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر اهله نقص وسلب اهله وماله فبقى فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتى بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما فى الصبح واقل من اربع ولا تقصر فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر اولى الصلاة كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لاتقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هى احدى الصلوات الخمس لابعينها لان الله تعالى امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال فى كل واحدة من الصلوات الخمس انها هى الوسطى فابهمها الله على عباده مع ماخصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام

واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف اوتسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلاجناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اوسرحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولاتتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم واذا

ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر فى شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم فى جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم * وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) اى طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى اركانها وسننها وقيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله فى صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه فى الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشئ او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا * قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) اى رجالة (اوركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم اوركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبليها وهذا فى حال المقاتلة والمسايفة فى وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون فى حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم فى غير حال القتال وهو المذكور فى سورة النساء فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى موضعه فاذا التحم القتال ولم يكن تركه لاحد فمذهب الشافعى انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يؤمنون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبى صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به فى ذلك واحتج الشافعى لمذهبه بهذه الآية واجيب عن تأخير النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا فى القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله

طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر و عشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن

ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل
فان قلت قوله تعالى فرجالا اوركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو
كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك
ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهره جماعة من السلف
منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه
قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة
الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان
في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث
ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث
الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لابد منه
للجمع بين الاحاديث * وقوله تعالى (فاذا امنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) اي
فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) فيه اشارة
الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شيء فله
الحمد على ذلك * قوله عزوجل (والذين يتوفون منكم) يعني يامعشر الرجال (ويذرون
ازواجا) يعني زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية
وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله
لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) اي غير مخرجات
من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة
ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان
ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت
زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها
وسكناها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة
فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول
وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الآية على مجموع
امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان
الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع او
الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت
الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله
تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء * وقوله تعالى
(فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني يامعشر اولياء الميت (فيما فعلن في انفسهن من معروف)
يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لاجناح عليكم في قطع النفقة

لا تواعدوهن سرا الا ان
تقولوا قولا معروفا ولا
تعزموا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب اجله واعلموا
ان الله يعلم مافي انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله
غفور حليم لاجناح عليكم
ان طلقتم النساء مالم تمسوهن
او تفرضوا لهن فريضة
ومتعوهن على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره متاعا
بالمعروف حقا على المحسنين
وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف مافرضتم الا
ان يعفون او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح وان تعفوا
اقرب للتقوى ولا تنسوا
الفضل بينكم ان الله بما
تعملون بصير حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين فان خفتم
فرجالا اوركبانا فاذا امنتم
فاذكروا الله كما علمكم مالم
تكونوا تعلمون والذين
يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم
متاعا الى الحول غير اخراج
فان خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن من
معروف والله عزيز حكيم
وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين كذلك يبين

منهن اذاخرجن قبل انقضاءالحول والوجه الثانى لاجناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لان مقامها فى بيت زوجها حولا غير واجب عليهاخيرهاالله تعالى بين ان تقيم فى بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولانفقة لها ولاسكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشرا (والله عزيز) اى غالب قوى فى انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عزوجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنالزيادة معنى وهو ان فى تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفى هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف بجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة * وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى يبين لكم مايلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وكما عرفتكم احكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات كذلك ابين لكم سائر احكامى فى آياتى التى انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) اى لكى تعقلوا مابينت لكم من الفرائض والاحكام ومافيه صلاحكم وصلاح دينكم اه * قوله عزوجل (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزمنا رأيا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لاوباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر انه خرج الى الشأم فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قدوقع بها فاخبره عبدالرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلاتقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلاتخرجوا منها فرارا منه فحمدالله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التى تأتيها بها وباء فلانخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية فى انفسهم حتى يعلموا انهم لايستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما اتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر اى الم تعلم يامحمد باعلامى اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعانى هو تعجب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل مافى القرآن من قوله الم تر ولم يعاينه النبى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله تعالى (وهم الوف) قيل هو من العدد واختلفوا فى مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون

الله لكم آياته لعلكم تعقلون) فى باب المعاش وتحصيل اللذة النفسانية والفرح بالذهول عن الهيآت الردية المشوشة والهموم المكدرة (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف) اى اوطانهم المألوفة ومقار نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا اليها بدواعى الهوى وهم قوم كثير (حذر الموت) الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوع فى المهاوى الطبيعية (فقال لهم الله موتوا) اى امرهم بالموت الارادى اواماتهم عن ذواتهم بالتجلى الذاتى حتى فنوا فى الوحدة (ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون) بالحياة الحقيقية العلمية او به بالوجود الموهوب الحقانى والبقاء بعد الفناء ولايبعد ان يريد به ماأراد من قصة عزير اى خرجوا هاربين من الموت الطبيعى فأماتهم الله ثم احياهم بتعلق ارواحهم بابدان من جنس ابدانهم ليحصلوا بها كمالهم (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل ابن بوذى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمى به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك آية قال نعم يارب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لاقوم لى فاوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لااله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لايلبسون ثوبا الاعاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح فى ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فان قلت كيف اميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد قال الله تعالى لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبى ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء اى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكرى البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره انه اماتهم ثم احياهم فى الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة ❊ وقوله تعالى (حذر الموت) اى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم احياهم) يعنى بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ان الله تعالى تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق فى الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لايشكرون) يعنى ان اكثر من انعم الله عليه لايشكره اما الكافر فانه لم يشكره اصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ❊ قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه

من ذا الذى يقرض الله) النفس والشيطان على الاول والثانى وعلى الثالث لاتخافوا من الموت فى مقاتلة الاعداء فان الهرب منه لاينفع كما لم ينفع اولئك والله يحييكم كما احياهم (قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) هو بذل النفس بالجهاد او بذل المال بالايثار (والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) اى هو مع معاملتكم فى القبض والبسط فانكم بأوصافكم تستنزلون اوصافه ان بخلوا بما فى ايديكم يضيق عليكم ويقتر وان تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد فى الحديث تنزل المعونة على قدر المؤنة (الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم

لاتهربوا من الموت كهرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك فيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا ان الله سميع) يعني لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم) بما يضمره * قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيء قال امية بن ابي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * او سيئا او مدينا كالذي دانا

واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله اي ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما انفق (اضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعد القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي

والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) كان رجلا فقيرا لا نسب له ولا مال فاقبلوه للملك لان استحقاق الملك والرياسة عند العامة انما هو بالسعادة الخارجية التي هي المال والنسب فنبه نبيهم على ان الاستحقاق انما يكون بالسعادتين الاخريين الروحانية التي هي العلم والبدنية التي هي زيادة القوى وشدة البنية والبسطة بقوله (قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) والله اعلم بمن يستحق الملك فيؤتيه (والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع) كثير العطاء يؤتي المال كما يؤتي الملك (عليم) بمن له الاستحقاق وما يحتاج اليه من المال الذي يعتضد به فيعطيه ثم بين ان استحقاق الملك له علامة اخرى وهي اذعان الخلق له ووقوع هيبته ووقاره في القلوب وسكون قلوبهم اليه ومحبتهم له وقبولهم امره على الطاعة والانقياد

(يجب)

يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزيكم باعمالكم * قوله عز وجل (الم تر الى الملأ من بني اسرائيل) الملأ اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) اي من بعد موت موسى او من بعد زمنه (اذ قالوا) يعني اولئك الملأ (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

كان سبب مسئلة اولئك الملأ لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا مانسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم وبقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام سلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يابني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام قال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

وهو الذي كان يسميه الاعاجم من قدماء الفرس خوره ومايختص بالملوك كيان خوره ثم من بعدهم سموه فر فقالوا كان فر الملك افريدون وذهب عن كيكاؤوس فر الملك فطلبوا من له الفر فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسماه التابوت اي ما يرجع اليه من الامور لان التابوت فعلوت من التوب اي يأتيكم من جهته ما يرجع في ثبوت ملكه من الاذعان والطاعة والانقياد والمحبة له بالقاء الله له ذلك في قلوبكم كما قال النبي عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر اوما يرجع اليه من الحالة النفسانية والهيئة الشاهدة له على صحة ملكه (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) اي ما تسكن قلوبكم اليه (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) في اولادهم من المعنى المسمى فروهو نور ملكوتي تستضئ به النفس باتصالها بالملكوت السماوية واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول

قال وهب فبعث الله اشموئل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) اى فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول مالك ان لا تفعل كذا ولكن يقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه ومالنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه ومالنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اى اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا * قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) اى اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان الطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الادم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحمير ليرشدنا اوليدعو لنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكر ان له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فباى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا ايها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن

(يعقوب)

علم السياسة وتدبير الملك والحكمة المزينة لها (تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) اى ينزل اليكم بتوسط الملائكة السماوية ويمكن انه كانه صندوقا فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكرانها للملك على ما يرى من انه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهر وذنب كذنبه كالذي كان في عهد فريدون المسمى درفش كاويان (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر) هو منهل الطبيعة الجسمانية (فمن شرب منه فليس مني) اى من كرع فيه مفرطا في الري منه لان اهل الطبيعة وعبدة الشهوات اذل واعجز خلق الله لا قوة لهم بقتال جالوت النفس الامارة ولا بجالوت عدو الدين اذ لا حمية لهم ولا تشدد (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) اى الا من اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه (فشربوا منه) اى كرعوا فيه وانهمكوا (الا قليلا

يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا انى يكون له الملك علينا) اى من اين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن احق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبى (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لايكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) اى فضيلة وسعة (فى العلم) وذلك انه كان من اعلم بنى اسرائيل وقيل انه اوحى اليه حين اوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان اطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى ان الله تعالى لااعتراض عليه لاحد فى فعل فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبى فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا فى تلك السكينة ماهى فقال على بن ابى طالب هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى

منهم) اذ المتنزهون عن الاقذار الطبيعية المقدسون عن ملابسها المتجردون عن غواشيها قليلون بالنسبة الى من عداهم قال الله تعالى وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور وهم الذين آمنوا معه من اهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم ان الغلبة ليست بالكثرة بل بالنصرة الالهية فصبروا على ماعاينوا بقوة يقينهم فظفروا وقل من جد فى امر يطالبه * واستصحب الصبر الافاز بالظفر (فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو

فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لااله الاهو) فى الوجود فكل ماعبد دونه لم تقع العبادة الاله علم اولم يعلم اذلا معبود ولا موجود سواه (الحى) الذى حياته عين ذاته وكل ماهوحى لم يحى الابحياته (القيوم) الذى يقوم بنفسه ويقوم كل مايقوم به فلولا قيامه ماقام شئ فى الوجود (لا تأخذه) غفوة ونعاس كما يعترى الاحياء من غير قصدهم فان ذلك لايكون الا لمن حياته عارضة

روح من الله تعالى تكلم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان مايريدون وقال عطاء بن ابى رباح هى مايعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى فعيلة من السكون اى طمأنينة من ربكم ففى اى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ماقيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلايجوز تصويب قول وتضعيف آخر *وقوله تعالى (وبقية مماترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى لقداوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عزوجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذى ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بنى اسرائيل وصاحب قربانهم فى زمنه فاحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذى ينوطونه به كلابين فلما اخرجا كانا الكاهن الذى كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الى اشمويل ان انطلق الى عيلى وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وان يعصيانى فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل فى التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بنى اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بنى اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه فى بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم اعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فاصبحوا وقطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع فى اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بنى اسرئيل لايقوم له شئ فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت مافى جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه فى مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بنى اسرئيل كانت عندهم وهى من بنات الانبياء لاتزالون ترون ماتكرهون

مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه هنكم فاتوابعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت
ثم علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك
يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت
فى ارض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم
فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت
تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت
مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت
فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار
طالوت فاصبح فى داره فاقروا بملكه (ان فى ذلك لآية لكم) يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجئ
التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدق فيما اخبرتكم به ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم
التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا لطاعته وخرجوا معه وذلك
قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) اى خرج واصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره
شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون
الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره
وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان مسيرهم
فى حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله
ان يجرى لنا نهرا (قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) اى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو اعلم
بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه
فليس منى) اى فليس من اهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) اى لم يذقه يعنى الماء (فانه منى) يعنى
من اهل طاعتى (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم
التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه)
يعنى من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر
رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه
معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة اخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر
القى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله
تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه
وخالفوا امر الله تعالى اسود ت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر
ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل
الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعنى جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه)
يعنى اولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك
ونفاق فمن هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما راوا

فتغلبه الطبيعة بالحالة
الذاتية طالبا للهدو والراحة
والا بدال عن تحليل
اليقظة فأما من حياته
عين ذاته فلا يمكن له ذلك
وبين كون حياته غير
عارضة بقوله (ولا نوم)
فان النوم ينافى كون
الحياة ذاتية لانه اشبه
شئ بالموت ولهذا قيل
النوم اخو الموت ومن
لا نوم له لذاته لمنافاته كون
الحياة غير ذاته فلا سنة له اذ
السنة من مقدماته وآثاره
كما تقول ليس له ضحك ولا
تبسم وقوله لا تأخذه سنة
ولا نوم بيان لقيوميته (له ما
فى السموات وما فى الارض)
نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء
(من ذا الذى يشفع عنده الا
باذنه) اذ كلهم له وبه يتكلم
من يتكلم به وبكلامه فكيف
يتكلم بغير اذنه وارادته (يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم)
ما قبلهم وما بعدهم فكيف
بهم وبحالهم اى علمه شامل

العدو قال المنافقون (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت
يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين راوا
العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر
بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لاطاقة لنا لاقوة لنا اليوم
بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) اي يستيقنون ويعلمون (انهم ملاقوا الله) اي ملاقوا
ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لاواحد له من لفظه كالرهط
(غلبت فئة كثيرة باذن الله) اي بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة
* قوله عز وجل (ولما برزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعني
الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني
المؤمنين اصحاب طالوت (ربنا افرغ) اي اصبب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) اي قو قلوبنا لتثبت
اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل
المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعني ان الله تعالى
استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين
حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم
وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير
واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود
اصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيأ الا صرعته فقال له ابوه
ابشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال
فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير
يريده الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال له يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح
معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك
بني اسرائيل ان ابرز الي وابرز اليك او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان
قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته
ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي
بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع
هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على
رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم
فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال
له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على
القرن فلا يرى شيأ فقال يا ايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يارب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق

للازمنة والاشخاص
والاحوال كلها فيعلم المستحق
للشفاعة وغير المستحق لها
(ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء) اي بما اقتضت
مشيئته ان يعلمهم فعلم كل ذي
علم شيء من علمه ظهر على
ذلك المظهر كما قالت الملائكة
لاعلم لنا الا ما علمتنا (وسع
كرسيه السموات والارض)
اي علمه اذ الكرسي مكان
العلم الذي هو القلب كما قال
ابو يزيد البسطامي رحمة الله
عليه لو وقع العالم وما فيه
الف الف مرة في زاوية من
زوايا قلب العارف ما احس
به لغاية سعته ولهذا قال
الحسن كرسيه عرشه
مأخوذ من قوله عليه السلام
قلب المؤمن عرش الله
والكرسي في اللغة عرش
صغير لا يفضل عن مقعد
القاعد شبه القلب به تصويرا
وتخييلا لعظمته وسعته واما
العرش المجيد الاكبر فهو
اللوح الاول وصور تما

ربى يانبى الله ان لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزربية التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى واجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجئ الاسد او النمر او الذئب فيأخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها من قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فرداود عليه السلام فى طريقه بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال ياداود احملنى فانى حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة فى مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرنى ربى لم يغن هذا السلاح عنى شيأ وان نصرنى فلا حاجة لى به فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة جديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب فى قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لى قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا ثم واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخرجا لوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجزلى ماوعدتنى فقال له اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت على صداقا وليس لى شئ فقال لا اكلفك الا ماتطيق انت رجل جرئ وفى حيالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى بغلفهم زوجتك ابنتى فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خيط حتى نظم مائتى غلفة فجاء بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته واجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت ابى قال وهل

ومثالهما فى الشاهد الفلك الاعظم والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهن (ولا يؤده) اى ولا يثقله (حفظهما) لانهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما بل العالم المعنوى كله باطنه والصورى ظاهره فلا وجود لهما الا به وليسا غيره (وهو العلى) الشان الذى لا يعلو شئ وهو يعلو كل شئ ويقهره بالفناء (العظيم) الذى لا يتصور كنه عظمته وكل عظمة تتصور لشئ فهى رشحة من عظمته وكل عظيم فبنصيب من عظمته وحصة منها عظيم فالعظمة مطلقا له دون غيره بل كلها له ليس لغيره فيها نصيب وهى اعظم آية فى القرآن لعظم مدلولها (لا اكراه فى الدين) لان الدين فى الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبى الفطرة الانسانية المستلزم للايمان اليقينى كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا

اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر
مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فاتته به فوضعه
في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته
اين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله
داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت
منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته واغلق دونه ابوابه
ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدأت العيون واعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم
على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ
طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي
فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا
فاعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع
شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط
على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي
في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل
غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء
العنكبوت قال لو كان دخل ههنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى
اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه
احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم
فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب
طالوت التوبة والندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى
القبور ويبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة لا اخبرني بها فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد
من القبور ياطالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز
الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة او تعلم في الارض
عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق
منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق به اليها لاسألها عن توبتي قال نعم فانطلق
به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها
قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين حق عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم
قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت
قالت والله ما اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه
ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب على رأسه فلما
نظر الى ثلاثتهم قال مالكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل
له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت
اطلب التوبة فقال اشمويل ياطالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة

فطرت الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم والاسلام الذي
هو ظاهر الدين مبني عليه
وهو امر لا مدخل للاكراه
فيه والدليل على ان باطن
الدين وحقيقته الايمان كما ان
ظاهره وصورته الاسلام
مابعده (قد تبين) اي تميز
(الرشد من الغي) بالدلائل
الواضحة لمن له بصيرة
وعقل كما قيل قد اضاء الصبح
لذي عينين (فمن يكفر
بالطاغوت) اي ماسوى الله
وينفي وجوده وتأثيره
(ويؤمن بالله) ايمانا شهوديا
حقيقيا (فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها) اي
تمسك بالوحدة الذاتية التي
وثوقها واحكامها بنفسها فلا
شيء اوثق منها اذ كل وثيق
بها وثوق بل كل وجود بها
موجود دون نفسه معدوم فاذا
اعتبر وجوده فله انفصام
في نفسه لان الممكن وثاقته
في وجوده بالواجب فاذا

الا ان تخلى من ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفذوننى منها فقالوا بلى نفذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذى سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شدهو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال قد قتلت عدوك فقال داود ما انت باق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة فاتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى سبط وقيل الحكمة هى العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) اى وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة منصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث فى الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذى عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك عندى وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال المنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتى فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة منى ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة * قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعنى ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة بعضا وهم اهل الكفر والمعاصى قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار

قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن فى نفسه شيأ ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته اذ ليس فيه تجزؤ واثنينية وفى الانفصام لطيفة وهو انه انكسار بلا انفصال ولما لم ينفصل شئ من الممكنات من ذاته تعالى ولم يخرج منه لانه اما فصله واما صفته فلا انفصال قطعا بل اذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصما اى منقطع الوجود متعلقا وجوده بوجوده تعالى (والله سميع) يسمع قول ذوى دين (عليم) بنياتهم وايمانهم (الله ولى الذين آمنوا) متولى امورهم ومحبتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات صفات النفس وشبه الخيال والوهم الى نور اليقين والهدى وفضاء عالم الروح (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) ما يعبدون من دون الله (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من نور

(لفسدت الارض) يعني لهلكت من فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر
روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم
الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم
الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم
وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق)
اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث
تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار
فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى * قوله عز وجل (تلك
الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض)
فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة
واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم
لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) اي من الرسل
(من كلم الله) اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات
الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء آية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك
وفضل محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته
وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته
ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها
معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية
الى يوم القيامة (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا
وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي
واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلائق كافة وختم
بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت
في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم او احدكم ويريد
نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو
شئت لذكرت الثالث اراد نفسه * وقوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) يعني الحجج

(والادلة)

الاستعداد والهداية الفطرية
الى ظلمات صفات النفس
والشكوك والشبهات (واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون
الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه ان آتاه الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت قال انا احيي واميت
قال ابراهيم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت
بها من المغرب فبهت الذي
كفر والله لا يهدي القوم
الظالمين اوكالذي مر على
قرية وهي خاوية على
عروشها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها) اي ارايت
مثل الذي مر على قرية باد
اهلها وسقطت سقوفها
وخرت جدرانها عليها
فتعجب من احيائها لكونه
طالبا سالكا يصل الى مقام
اليقين بعد ولم يستعد لقبول
نور تجلي اسم المحيي والمشهور
انه كان عزيرا (فاماته الله)
اي فابقاه على موت الجهل كما
قال امتنا اثنتين على قول وقال

والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وايدناه بروح القدس) اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ولو شاء الله) اى ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) اى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) اى ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) اى ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه فى ملكه وفعله سأل رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان يأتى يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) اى ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحى القيوم)

﴿فصل فى فضل هذه الآية الكريمة﴾ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى اخرجه الترمذى قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل فى قومه والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هى سيدة آى القرآن اى افضله (م) عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان اى آية فى القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه

وكنتم امواتا فاحياكم (مائة عام) يمكن ان يكون العام فى عهدهم كان مبنيا على دور القمر فيكون ثمانية اعوام واربعة اشهر وان يكون مبنيا على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة وان تكون اعمارهم فى ذلك الزمان كانت طويلة (ثم بعثه) بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدة اللبث فما ظنه الا يوما او بعض يوم استصغار المدة اللابث فى موت الجهل المقتضية بالنسبة الى الحياة الابدية ولعدم شعوره بمرور المدة كالنائم الغافل عن الزمان ومروره ثم لما تفكر نبهه الله تعالى على طول مدة الجهل وموت الغفلة بانه مائة عام او اماته بالموت الارادى فى احدى المدد المذكورة فتكون المدة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته فى سبيل الله او اماته حتف انفه بالموت الطبيعى فتعلق روحه

ابوداود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم ابوالحسن الاشعري وابوبكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عزوجل نقص وتاول هؤلاء ما ورد من الملاق لفظ اعظم وافضل على بعض الآيات اوالسور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القارئ اوجزيل ثوابه وقول ان هذه الآية اوهذه السورة اعظم اوافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ بوهما ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عزوجل الله لا اله الا هو نفى الالهية عن كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لاكريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي بمعنى الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجود او بالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لاتأخذه سنة ولانوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لاتأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عزوجل لاينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لاينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان

بدن آخر من جنسه لاكتساب الكمال اما بعد زمان واما في الحال حتى مر عليه احدى المدد الثلاث المذكورة وهو لايطلع على حاله فيها ولم يشعر بمدته ومساده وكان ميتا ثم بالحياة الحقيقية فاطلع بنور العلم على حاله وعرف مبداه ومعاده وقوله (قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) كقوله تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الاساعة من النهار وقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية اوضحاها وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كل ذلك لغفلتهم عن مرور الزمان وكذا مفارق اخا او مصاحبا اوشيأ آخر اذا ادرك الوصال بعد طول مدة الفراق كان تلك المدة حينئذ لم تكن اذلا يحس

ورفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذى هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه اى يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد فى الليل بعد انقضائه فى اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه فى اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء فى آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله فى اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك فى العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من فى قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فاوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابى هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء انه صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى اعلم ❁ قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفى ملكه فان قلت لم قال له ما فى السموات ولم يقل من فى السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اى بأمره وهذا استفهام انكارى والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم و شفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) يعنى ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هو فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من احوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال احاط بالشئ اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه فى قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعنى ان يطلعهم

بها بعد مضيها وان قاساها قبل الوصال (وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) قيل طعامه التين والعنب وشرابه الخمر واللبن فالتين اشارة الى مدركات الكلية لكونه لباً كله وكون الجزئيات فيها بالقوة كالحبات التى فى التين والعنب اشارة الى الجزئيات لبقاء اللواحق المادية معها فى الادراك كالقشر والعجم واللبن اشارة الى العلم النافع كالشرائع والخمر اشارة الى العشق والارادة وعلوم المعارف والحقائق لم يتسنه اى لم يتغير عما كان فى الازل بحسب الفطرة ودعا فيك فان العلوم مخزونة فى كل نفس بحسب استعدادها كما قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فان حجبت بالمواد وخفيت مدة ما لتقلب فى البرازخ وظلماتها لم تبطل ولم تتغير عن حالها حتى اذا رفع الحجاب بصفاء القلب ظهرت كما كانت ولهذا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن (وانظر الى حمارك) اى بدنك بحاله على الوجه الاول والثانى وكيف نخرت عظامه وبليت على

عليه وهم الانبياء والرسل ليكون مايطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمى به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) اى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) اى حفظ السموات والارض (وهو العلى) اى الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شئ فيما يجب ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعا على كل وجه وقيل معناه انه لا يعلو ان يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شئ اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام * قوله عز وجل (لا اكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي

الوجه الثالث (ولنجعلك آية للناس) اى ولنجعلك دليلا للناس على البعث بعثناك (وانظر الى العظام كيف ننشزها) اى نرفعها (ثم نكسوها لحما) على كلا الوجهين ظاهر فانه اذا بعث وعلم حاله وتجرده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجمعها وكسوتها لحما (فلما تبين له) ذلك البعث والنشور (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) اى بلغني الى مقام العيان من مقام العلم الايقاني ولهذا قرر ايمانه بهمزة الاستفهام التقريرية (فقال اولم تؤمن) اى اولم تعلم ذلك يقينا واجاب ابراهيم عليه السلام بقوله (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) اى ليسكن وتحصل طمأنينته بالمعاينة فان عين اليقين انما يوجب الطمأنينة لا علمه (قال فخذ اربعة من الطير) اى القوى الاربعة التي تمنعك عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية وقيل كانت طاوسا وديكا وغرابا وحمامة وفي رواية بطة بدل الطاوس هو العجب

صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخل سبيلهما وقيل نزلت فى اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل فى اهل الكتاب لا اكراه فى الدين يعنى اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهرى سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه فى الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لايكره احدا فى الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله فى قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه فى الدين اى دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغى) يعنى ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعنى الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ماعبد من دون الله تعالى وقيل كل مايطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) اى ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لابد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لاانفصام لها) اى لاانقطاع لها حتى تؤدى الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذى لايمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعنى انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين (عليم) بما فى قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم * قوله عز وجل (الله ولى الذين آمنوا) اى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى امورهم فلايكلهم الى غيره وقيل هو متولى هداياتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر الى الايمان وكل مافى القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وهى الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) يعنى كعب بن الاشرف وحيى بن اخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) اى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا فى نور قط قلت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لمايجدون فى كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم فى حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتنى من مالك اذا اوصى به لغيره فى حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم (اولئك

والديك الشهوة والغراب الحرص والحمامة حب الدنيا لتألفها وكرها وبرجها والطاهر انها بطة فتكون اشارة الى الشره الغالب عليها (فصرهن اليك) اى املهن واضممهن اليك بضبطها ومنعها عن الخروج الى طلب لذاتها والنزوع الى مألوفاتها وقيل امر بان يذبحها وينتف ريشها ويخلط لحومها ودماءها بالدق ويحفظ رؤسها عنده اى يمنعها عن افعالها ويزيل هيئاتها عن النفس ويقمع دواعيها وطبائعها وعاداتها بالرياضة ويبقى اصولها فيه (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) اى من الجبال التى بحضرتك وهى العناصر الاربعة التى هى اركان بدنه اى اقمعها وامتها حتى لا يبقى الا اصولها المركوزة فى وجودك وموادها المعدة فى طبائع العناصر التى فيك كانت الجبال سبعة فعلى هذا يشير بها الى الاعضاء السبعة التى هى اجزاء البدن (ثم ادعهن) اى انها اذا انت حييت بحيتها كانت غير طبعية مستولية

اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عزوجل (الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه) يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنعه والذى حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية (ان اتاه الله الملك) اى لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنات فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وقيل كان هذا بعد القائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار سأله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فرعلى كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما رآه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بى واتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى رأسه اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكها حتى اماته الله عزوجل (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت (قال) يعنى قال نمرود (انا احيى واميت) قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحى من امات ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض اللفظ بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر) يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم

عليك وحشية ممتنعة عن قبول امرك فاذا قتلتها كنت حيا بالحياة الحقيقية الموهوبة بعد الفناء والمحو فتصير هى حية بحياتك لا بحياتها حياة النفس مطيعة لك منقادة لامرك فاذ دعوتها (ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز) غالب على قهر النفوس (حكيم) لا يقهرها الا بحكمة ويمكن حمله على حشر الوحوش والطيور وعلى هذا فيكون جعل اجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعاؤه واتيانه اليه ساعية توجهها الى الانسان بعد النشور (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ذكر سبحانه ثلاث انفاقات وفاضل بينها فى الجزاء اولها الانفاق فى سبيل الله وهو انفاق فى طلب الملك عن تجلى الافعال يطلبه صاحبه ليثيبه الله تعالى فأثابه سبعمائة اضعاف ما اعطى ثم زاد فى الاضعاف الى ما لا يتناهى بحسب المشيئة لان يده تعالى ابسط واطول من يده بما لا يتناهى (والله واسع) كثير العطاء

سل انت ربك حتى يأتى بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم
ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة
اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لايهدى القوم
الظالمين) يعنى لايرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى
بالظالمين نمرود ◎ قوله عز وجل (او كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها
والمعنى الم تر الى الذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره
هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير
الم تر الى الذى حاج ابراهيم او الى الذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد
انه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لايخاطب الكافر
ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لايستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء
وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارمياء
بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى
على احياء خلقه بعد اماتتهم لاتعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير
وجائز ان يكون ارمياء وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو امى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل
هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله
اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هى دير هرقل
وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد
محلة او قرية من نواحى جرجان وقيل ايضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر اوله وراء
ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى
او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها احيا الله حمار عزير (وهى
خاوية على عروشها) اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان
عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (انى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار
كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد
بحسب مجارى العرف والعادة لاعلى سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب
زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى
يحيى هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه
وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ماروى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث
ارمياء الى ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل يسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث
فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى ارمياء ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم
احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم
تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة

لايعتدر باعطائنا عطاؤه
(عليم الذين ينفقون
اموالهم فى سبيل الله)
بنيات المعطين واعتقاداتهم
انه من فضل الله تعالى
فيثيبهم على حسب ذلك
وثانيها الانفاق عن مقام
مشاهدة الصفات على
ماسيأتى وهو الانفاق
لطالب رضاء الله كما ان
الاولى هو الانفاق لطالب
عطاء الله وثالثها الانفاق
بالله وهو عن مقام شهود
الذات (ثم لايتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى لهم
اجرهم عند ربهم ولاخوف
عليهم ولاهم يحزنون)
نبه على ان الانفاق يبطله
المن والاذى لان الانفاق
انما يكون محمودا لثلاثة
اوجه كونه موافقا للامر
بالنسبة الى الله تعالى وكونه
مزيلا لرذيلة البخل بالنسبة
الى نفس المنفق وكونه
نافعا مريحا بالنسبة الى
المستحق فاذا من صاحبه
فقد خالف امر الله لانه
منهى وظهرت نفسه
بالاستطالة والاعتداد
بالنعمة والعجب والاحتجاب
بفعلها ورؤية النعمة منها
لامن الله وكلها رذائل
اردأ من البخل لازمة له

بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني احلف
بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من
صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه اني مهلك بني اسرائيل بيافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه ياارمياء اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم
يارب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل مالا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي
لااهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبل ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه
وقال لاوالذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم
انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر نقل الوحي
وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر
البابلي فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا واتى الخبر الى ملك بني
اسرائيل قال لارمياء اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لايخلف الميعاد وانا به
واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل
فقال له ارمياء من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت
ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا سخطا لي فافتني فيهم فقال ارمياء احسن
فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل
فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الرجل الذي اتيتك استفتيك في شأن اهلي فقال له ارمياء
اما طهرت اخلاقهم بعدلك فيهم فقال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة يأتيها احد من
الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارمياء ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذي
يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس
ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يانبي الله اين ما وعدك الله فقال اني بربي واثق ثم اقبل
ذلك الملك الى ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي
وعده فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الذي جئتك في شأن اهلي مرتين فقال ارمياء
اما آن لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يانبي الله ان كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت
اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لايرضي الله تعالى فقال له ارمياء على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم
يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا اسألك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله
عليهم ليهلكوا فقال ارمياء ثم يامالك السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لاترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله
عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
فلما راى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يامالك السموات والارض اين ميعادك
الذي وعدتني به فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه
وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر

(وجنوده)

ولو لم يكن له الا رؤية
نفسه بالفضيلة لكفاه
مبطلا واما الوجه الثالث
الذي هو بالنسبة الى
المستحق فيبطله الاذى
المنافي للراحة والنفع والمن
ايضا مبطل له لاقتضائه
الترفع واظهار الاصطناع
واثبات حق عليه ثم قال
(قول معروف ومغفرة
خير من صدقة يتبعها اذى)
اذ القول الجميل وان كان
بالرد يفرح قلبه ويروح
روحه والصدقة انما تنفع
جسده ولا تفرح القلب
الا بالتبعية وتصور النفع
فاذا قارن ما ينفع الجسد
ما يؤذي الروح تكدر
النفع وتنغص ولم يقع في
مقابلة الترح الحاصل من
القول الجميل ولو لم يكن
مع التنغيص ايضا لان
الروحانيات اشرف
واحسن واوقع في النفوس
(والله غني) عن الصدقة
المقرونة بالاذى فيعطي
المستحق من خزائن غيبه
(حليم) لايعاجل بالعقوبة
(يا ايها الذين آمنوا لاتبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى
كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر فمثله كمثل

وجنوده بيت المقدس ووطئ الشأم وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وكان في اولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارمياء على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياوهي ارض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما حرب بيت المقدس قدم بسبايا بني اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فاماته الله مائة عام وامات الله حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه واهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى (فاماته الله مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها (ثم بعثه) اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعني ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (او بعض يوم قال) يعني قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعني التين الذي كان معه قبل موته (وشرابك) يعني العصير كانه قد عصر من ساعته يعني العصير (لم يتسنه) يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) اي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب

صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله) هذا هو القسم الثاني من الانفاق فضله على الاول بتشبيه بالجنة فان الجنة مع ايتاء اكلها تبقى بحالها بخلاف الحبة وأشار بها انه ملك لهم كأنه صفة ذاتية ولهذا قال (وتثبيتا من انفسهم) اي توطينا لها على الجود الذي هو صفة ربانية وقوله (بربوة) اشارة الى ارتفاع رتبة هذا الانفاق وارتقائه عن درجة الاول (اصابها وابل) اي حظ كثير من صفة الرحمة الرحمانية ومدد وافر من فيض جوده لانها ملكة الاتصال بالله تعالى بمناسبة الوصف واستعداد قبوله والاتصاف به (فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) اي حظ كثير فحظ قليل (والله بما تعملون بصير) بأعمالكم يرى انها من اي القبيل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب

تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) تمثيل لحال من عمل صالحا انفاقا كان اوغيره متقربا به الى الله مبتغيا رضاه كافى هذا القسم من الانفاق ثم ظهرت نفسه فيه وتحركت فكانت حركاتها المخالفة بحركة الروح ودواعيها المتفاوتة المضادة لداعية القلب اعصارا فافترص الشيطان حركتها واتخذها مجالاله بالوسوسة فنفث فيها رؤية عملها اورياء فكان ذلك النفث نارا احرقت عملها احوج مايكون اليه كما قال امير المؤمنين على عليه السلام اللهم اغفرلى ماتقربت به اليك ثم خالفه قلبى (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض) امر بالقسم الثالث من الانفاق من طيبات ماكسبتم اذا المختار بالله يختار الاشرف من كل شئ للمناسبة كما قال امير المؤمنين على عليه

الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا مافعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعنى احياه وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز اى رفعته فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى احيا عزيرا او ارمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولافيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمار اذا لحم ودم لاروح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشى حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله اول مااحيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعدما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت مارأيت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله تعالى اماتنى مائة سنة ثم احيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا عزير ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين

الخلائق بكى عزير على التوراة فأتى الملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال انى عزير وقد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى (فلما تبين له) يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان يكره من احياء القرية ورآه عيانا فى نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى قال انى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال اعلم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى الاماتة والاحياء * قوله عزوجل (واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى) اختلفوا فى سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جذر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب انى قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارنى كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال اولم تؤمن) يعنى اولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبى) اى ليسكن قلبى عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا فى احياء الله الموتى ولا دافعاله ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى فى الجنة ويطلبونها ويسألونه فى دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بقوة حجتى فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد فى الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان يدخل دارى فقال اذن لى رب الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عزوجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بانك اتخذتنى خليلا وتجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سألتك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك

السلام ان الله جميل يحب الجمال ومن كان فى انفاقه بالنفس لايقدر على انفاق الاشرف لضن النفس ومحبتها اياه واستئثارها به عن تخصيصه بالله فما كان بالنفس ليس ببر اصلا لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) تخصونه بالانفاق كعادة المنفقين بالنفس والطبيعة (ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه) لحبكم الاطيب من المال لانفسكم لاختصاص محبتكم بالذات اياها ولهذا لاتؤثرون الله بالمال عليها فتنفقوا الطيب له (واعلموا ان الله غنى) فاتصفوا بغناه فتستغنوا به عن المال ومحبته (حميد) لايفعل الا الفعل المحمود فاقتدوا به (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) اى الخصلة القبيحة التى هى البخل فتعوذوا منه بالله فانه (والله يعدكم مغفرة منه) اى ستر الصفات نفوسكم بنوره (وفضلا) وموهبة من مواهب صفاته لكم وتجلياتها كالغنى المطلق فلا يبقى فيكم

من ابرهيم اذ قال رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم
الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى
﴿القول على معنى الحديث وما يتعلق به﴾ اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق
بالشك من ابرهيم على اقوال كثيرة فأحسنها واصحها مانقل المزنى وغيره من العلماء ان الشك
مستحيل فى حق ابرهيم فان الشك فى احياء الموتى لوكان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق
به من ابرهيم ولقد علمتم انى لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية
قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله
نحن احق بالشك امن ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابرهيم لكن فيه نفى الشك عنهما
يقول اذا لم اشك انا فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لايشك وقال ذلك على سبيل
التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى
وفيه الاعلام بان المسئله من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان
يفيد من المعرفة والطمأنينة مالايفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم
ولم يشك نبيا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم
ومعناه ان هذا الذى تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح
ابرهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله
عليه وسلم خير ولد آدم واما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابرهيم اى واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم
وقيل انه معطوف على قوله الم ترالى الذى حاج ابرهيم فى ربه والتقدير الم ترالى الذى حاج ابرهيم
فى ربه الم تر اذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال يعنى قال الله لابرهيم اولم تؤمن الالف فى
اولم تؤمن الف اثبات وايجاب كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * اى انتم كذلك والمعنى
اولست قد آمنت وصدقت انى احيى الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك
ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من آياتك
واعلم انك قد اجبتنى (قال فخذ اربعة من الطير) قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل
نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران
فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابرهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى
الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت
فيه اشارة ففى الطاوس اشارة الى مافى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة
الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص
ففى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك
هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ
بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن (اليك) ووجههن وقيل
معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك
ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها
ولحومها ودماءها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا فى عدد الاجزاء

خوف الفقر (والله واسع)
يسع ذواتكم وصفاتكم
وعشاؤكم لايضيق وعاء
جوده بالعطاء ولاينفد
عطاياه (عليم) بمواقع تجلياته
واستعدادها واستحقاقها
(يؤتى الحكمة من يشاء)
لاخلاصه فى الانفاق
وكونه فيه بالله فيعطيه
حكمة الانفاق لينفقوا من
الحكمة الالهية لكونه
متصفا بصفاته (ومن يؤت
الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا) لانها اخص صفات
الله (ومايذكر) ان الحكمة
اشرف الاشياء واخص
الصفات (الا اولوا الالباب)
الذين نورالله عقولهم
بنور الهداية فصفاها عن
شوائب الوهم وقشور
الرسوم والعادات وهو
النفس فجزاء الانفاق الاول
هو الاضعاف فجزاء الثانى
هو الجنة الصفاتية المثمرة
للاضعاف وجزاء الثالث
هو الحكمة اللازمة
للوجود والموهوب
فانظركم بينها من التفاوت
(وما انفقتم من نفقة
اوندرتم من نذر فان الله
يعلمه) من اى القبول هو
فيجازيكم بحسبه (وما
للظالمين) اى المنفقين رياء
الناس الواضعين الانفاق
فى غير موضعه اوالناقضين

والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امران يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لايقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم ان الله عزيز) يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لايعجزه شيء (حكيم) يعني في جميع اموره * قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) اي كمثل زارع حبة (انبتت) يعني اخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لايكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ماكان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لايترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى مايشاء من الاضعاف مما لايعلمه الا الله (والله واسع) اي غني يعطي الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة على الجواد والافضال (عليم) يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقدار الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف

حقوقهم برؤية انفاقهم اوضم المن والاذى اليه او بالانفاق من الخبيث (من انصار) يحفظونهم من بأس الله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير) لبعدها عن الرياء وكونها اقرب الى الاخلاص (ليس عليك هداهم) الى الانفاقات الثلاثة المذكورة المبرأة عن المن والاذى والرياء ورؤية الانفاق وكونه من الخبيث اى لايجب عليك ان تجعلهم مهديين انما عليك تبليغ الهداية (ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم) فلم تمنون به على الناس وتؤذونهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) فالكم تستطيلون به على الناس وكيف تراءون فيه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لاتظلمون) ليس لغيركم فيه نصيب فلا تنفقوا الا على انفسكم في الحقيقة لا على غيركم فلا ينقص به شيء منكم فلم تقصدون الخبيث بالانفاق منه فلانها مصروفة

اخرجتها لربى عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم (ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولااذى) اى لايتبع نفقته التى انفقها بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحنى الله منك وامثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فمنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبدالرحمن بن زيد كان ابى يقول اذا اعطيت رجلا شيأ ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلاتسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المن

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

اتيت قليلا ثم اسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

واما الاذى فهو مايصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان فى صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ماهم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما * وقوله تعالى (لهم اجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى فى الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولاهم يحزنون) يعنى على ماخلفوا من الدنيا (قول معروف) اى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة تعده بها وقيل دعاء صالح تدعوله بظهر الغيب (ومغفرة) اى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حال رده (خير من صدقة) يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير (يتبعها اذى) وهو ان يعطى الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله او يؤذيه بفعل (والله غنى) اى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لايحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعنى انه تعالى حليم لايعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم) يعنى اجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذى) اى كابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى مرآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخى كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء

الى الاقسام الثلاثة المذكورة من الانفاق للتحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها (للفقراء) اى اقصدوا بصدقاتكم الفقراء (الذين احصروا) احصرهم المجاهدة (فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض) للتجارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم فى الاحوال وصرف اوقاتهم فى العبادات (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) عن السؤال والاستغناء عن الناس (تعرفهم بسيماهم) من صفرة وجوههم ونور جباههم وهيئة سحناتهم انهم عرفاء فقراء اهل الله لا يعرفهم الا الله ومن هو منهم (لايسئلون الناس الحافا) اى الحاحا والمراد نفى مسئلة الناس بالكلية كقوله * على لاحب لايهتدى بمناره * والمراد نفى المنار والاهتداء جميعا او نفى الحاف واثبات التعطف فى المسئلة (وما تنفقوا من خير) على اى من انفقتم غنيا كان او فقيرا (فان الله به عليم) اى بان ذلك الانفاق له او لغيره فيجازى بحسبه (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم

من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) اى مثل هذا المرائى بصدقته وسائر اعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى (عليه تراب) اى على ذلك الصفوان تراب (فاصابه وابل) يعنى المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لاشئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقته يؤذى الناس يرى الناس ان لهؤلاء اعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) اى لايقدرون على ثواب شئ مما عملوا فى الدنيا (والله لايهدى القوم الكافرين) يعنى الذين سبق فى علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه * قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله) اى طلب رضا الله (وتثبيتا من انفسهم) يعنى على الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم فى سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك او رياء امسك (كمثل جنة) اى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها (اصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت اكلها ضعفين) اى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الريع ما يحمله غيرها فى سنتين وقيل اضعف فحملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فذلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لاتنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة

ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) عم الانفاق اولا وثانيا بحسب الاوقات والاحوال ليعلم انه لايتفاوت بها بل بالقصد والنية (الذين يأكلون الربوا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) آكل الربا اسوأ حالا من جميع مرتكبى الكبائر فان كل مكتسب له توكل ما فى كسبه قليلا كان او كثيرا كالتاجر والزارع والمحترف اذ لم يعينوا ارزاقهم بعقولهم ولم تتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم فى الحقيقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق المؤمن الا من حيث لايعلم واما آكل الربا فقد عين على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ او خسر فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لاتوكل له اصلا فوكله الله تعالى الى نفسه وعقله واخرجه من حفظه وكلاءته فاختطفه الجن وخلته فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر الناس المرتبطين به بالتوكل فيكون كالمصروع الذى مسه الشيطان فتخبطه

تربع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته او كثرت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لا يمن بها ولا يؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عز وجل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعنى ايحب احدكم ان تكون له جنة اى بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (واصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعنى له اولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فاصابها) يعنى اصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فبطلها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا امير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) اى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على

لا يهتدى الى مقصد (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) اى ذلك بسبب احتجاجهم بقياسهم واول من قاس ابليس فيكونون من اصحابه مطرودين مثله (يمحق الله الربوا ويربى الصدقات) وان كان زيادة فى الظاهر (ويربى الصدقات) وان كان نقصانا فى الشاهد لان الزيادة والنقصان انما يكونان باعتبار العاقبة والنفع فى الدارين والمال الحاصل من الربا لا بركة له لانه حصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصى اذ كل طعام يولد فى آكله دواعى وافعالا من جنسه فان كان حراما يدعوه الى افعال محرمة وان كان مكروها فالى افعال مكروهة وان كان مباحا فالى مباحة وان كان من طعام الفضل فالى

الناس زمان لايبالي المرء مااخذمنه من حلال ام من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل
من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب مااكلتم من كسبكم وان
اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد
به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد
به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب
الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا
الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل ﴿ المسئلة
الاولى ﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب
والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب
الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لاتجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به
التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ماروي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذي يعد للبيع اخرجه ابوداود وعن ابي عمرو بن حماس
ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر الا تؤدي زكاتك ياحماس
فقلت مالي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال
الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مائتي درهم اخرج منه ربع العشر
﴿ المسئلة الثانية ﴾ في قوله تعالى (ومما اخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب
الزكاة في كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابوحنيفة
الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضروات كالبطيخ والقثاء
والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ماروي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شئ اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث
ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شئ وانما يروى هذا
عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس
في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد
السلام بن عبدالله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبدالله بن المغيرة
ان يأخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك
لك ان رسول الله لى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو اقوى
المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون
وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء
والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية ﴿ المسئلة الثالثة ﴾
يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقي بنضح او سانية
ويدل على ذلك ماروي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون

مندوبات وكان في افعاله
متبرعا متفضلا وان كان
بقدر الواجب من الحقوق
فافعاله تكون واجبة
ضرورية وان كان من
الفضول والحظوظ فافعاله
تكون كذلك فعليه اثم الربا
وآثار افعاله المحرمة المتولدة
من اكله على ماورد في
الحديث الذنب بعد
الذنب عقوبة للذنب
الاول فتزداد عقوباته و
آثامه ابدا ويتلف الله ماله
في الدنيا فلا ينتفع به اعقابه
واولاده فيكون ممن خسر
الدنيا والآخرة وذلك
هو المحق الكلي واما
المتصدق فلكون ماله
مزكى تبارك الله في ثمره مع
حفظ الاصل وآكله
لايكون الا مطيعا في افعاله
ويبقى ماله في اعقابه و
اولاده منتفعا به وذلك
هو الزيادة في الحقيقة و
اولم تكن زيادته الا ماصرف
في طاعة الله لكفى به زيادة
واي زيادة افضل مما يبقى
عندالله ولو لم يكن نقصان
الربا الا ما حصوله من مخالفة
الله وارتكاب نهيه لكفى به
نقصانا واي نقصان افحش
ممايكون سبب حجاب

صاحبه وعذابه ونقصان حظه عندالله (والله لايحب كل كفارثيم ان الذين آمنو وعلوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون ولاتظلمون وان كان ذوعسرة فنظرة الا ميسرة وان تصدقوا خيرلكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها اوضعيفا اولا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين

اوكان عثريا العشر وماسقى بالنضح نصف العشر اخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون اوكان بعلا العشر وماسقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال ابوداود البعل ماشرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هوالذى ينبت من ماء السماء قوله اوكان عثريا اراد به القوى من الزرع وهوالبعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هوالاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يسقى عليها سواء كانت من الابل اوالبقر ولايجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابوحنيفة يجب العشر فى كل قليل اوكثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بماروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيمادون خمسة اوسق صدقة وليس فيمادون خمسة اواق صدقة وليس فيمادون خمسة ذود صدقة وفى رواية ليس فيمادون خمسة اوساق من تمراوحب صدقة اخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنالكم من الارض صدقة التطوع احتج بماروى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يغرس غرسا اويزرع زرعافيأكل منه طيراوانسان اوبهيمة الاكان له به صدقة اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (ولاتيمموا الخبيث) اى ولاتقصدوا الخبيث يعنى الردئ من اموالكم (منه تنفقون) اى من الخبيث عن البراء بن عازب فى قوله تعالى ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدركثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنووالقنوين فيعلقه فى المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذاجاع اتى القنوفضربه بعصاه فسقط البسراوالتمرفيأكل وكان ناس ممن لايرغب فى الخيريأتى بالقنوفيه الشيص والحشف وبالقنوقد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنالكم من الارض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الاان تغمضوافيه قال لوان احدكم اهدى اليه مثل مااعطى لم يأخذه الاعلى اغماض وحياء قال فكنا بعدذلك يأتى احدنا بصالح ماعنده اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرارثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيدلانفسهم فانزل الله تعالى ولاتيمموا الخبيث يعنى الردىء منه تنفقون يعنى تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعنى ذلك الشئ الخبيث الردىء (الاان تغمضوافيه) الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوزوالمساهلة وذلك ان الانسان اذارأى مايكره اغمض عينيه لئلايرى ذلك قال ابن عباس معناه لوان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذالم يأخذه الاوهو يرى انه قداغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لواهدى ذلك مااخذتموه الااستحياء من صاحبه وغيظا فكيف ترضون لى مالاترضون لانفسكم اذاكان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردىء لان اهل السهمان شركاء له فيماعنده وان كان كله رديئا فلابأس باعطاء الردئ (واعلموا ان الله غنى) يعنى عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوزواحتياج اليها (حميد) اى محمود فى افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اى اجركم على ماتفعلونه من الخير * قوله عزوجل (الشيطان يعدكم الفقر) اى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذالم يذكرالخيروالشرقال فى الخير وعدته والفقرسوء الحال وقلة ذات اليدواصله من كسرفقار الظهرومعنى الآية ان الشيطان

يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل على صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (فضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقون (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعى عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح الله عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليه ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي * قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر * ابني حنيفة احكموا سفهاءكم * اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد اوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير (وما يذكر

فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احدهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) اي آكل الربا كفار اثيم بفعله والله لا يحب من كان كذلك (لله ما في السموات) اي في العالم الروحاني كله بواطنه وصفاته واسرار غيوبه ودقائق جوده (وما في الارض) اي في العالم الجسماني كله ظواهره

الاولو الالباب) اى ومايتعظ بمواعظ الله الاذووالعقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه ❁ قوله عزوجل (وماانفقتم من نفقة) يعنى فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (او نذرتم من نذر) يعنى به ما اوجبتموه على انفسكم فى طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير فى الامر المهم والنذر فى الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم اوحج اوعتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله على نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لايطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به اخرجه ابوداود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم اخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لايأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لايقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتى به تكلفا من غير نشاط او يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله فى بعض روايات الحديث انه لايأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لايأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم ❁ وقوله تعالى (فان الله يعلمه) اى يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما فى قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعنى الواضعين الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من انصار) اى من اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم ❁ قوله عزوجل (ان تبدوا الصدقات) اى تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعماهى) اى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) اى تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) اى وتعطوها

واسماؤه وافعاله تشهد العالمين وهو على كل شئ شهيد (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) يشهده بأسمائه وظواهره فيعله ويحاسبكم به وان تخفوه يشهده بصفاته وبواطنه فيعلمه ويحاسبكم به (فيغفر لمن يشاء) لتوحيده وقوة يقينه وعروض سيأته وعدم رسوخها فى ذاته فان مشيئته مبنية على حكمته ويعذب من يشاء) لفساد اعتقاده ووجود شكه اورسوخ سيآته فى نفسه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على المغفرة والتعذيب جميعا (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة كان خلقه القرآن والترق بمعانيه والتحقق (والمؤمنون كل آمن بالله) وحده جميعا (وملائكته وكتبه ورسله) اى وحده تفصيلا عند الاستقامة مشاهد الوحدته فى صورة تلك الكثرة معطيا لكل تجل من تجلياته فى مظهر من مظاهره حكمه (لانفرق بين احد من رسله) اى يقولون لانفرق بينهم

الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية
صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق
العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الرياء واقرب
الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى
الفقير الآخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له
الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى
ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك
وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب
وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجاه
في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد امن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله
او يكون ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار
اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل
ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الآية واردة في زكاة الفرض وكان
اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة
فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات
الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * وقوله تعالى (ونكفر عنكم
من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيآتكم قال ابن عباس جميع سيآتكم
وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من
سيآتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من اظهار
الصدقة واخفائها * قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا
من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا
فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل
المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم
الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم
ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق
عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد
بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) اي من مال (فلانفسكم)
اي ما تفعلوا وتنفعوا به انفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي اي
ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم ان مرادهم
بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله

برد بعض وقبول بعض
ولا نشك في كونهم على
الحق وبالحق لشهود
التوحيد ومشاهدة الحق
فيهم بالحق (وقالوا سمعنا
واطعنا) اي اجبنا ربنا في
كتبه ورسله ونزول
ملائكته واستقمنا في سيرنا
(غفرانك ربنا) اي اغفر لنا
وجوداتنا وصفاتنا وامحها
بوجودك ووجود صفاتك
(واليك المصير) بالفناء
فيك (لا يكلف الله نفسا
الا وسعها) لا يحملها الا ما
يسعها ولا يضيق به طوقها
واستعدادها من التجليات
فان حظ كل احد من
الكشوف والتجليات
ما يطيق به وعاء استعداده
الموهوب له في الازل
من الفيض الاقدس ولا
يضيق عليه (لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت)
من الخيرات والعلوم
والكمالات والكشوف
على اي وجه سواء كانت
بقصدها او لا بقصدها فانها
من عالم النور فالخيرات
كلها ذاتية لها ترجع فانفسها
اليها دون الشرور
من الجهالات والرذائل
والمعاصي والنقائص فانها
امور ظلمانية غريبة عن

وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله فى صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون فى سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء فى ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف لفقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) اى يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وانتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم ﴿قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا فى موضع اللام فى قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التى سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة فى المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى ﴿وقوله (الذين احصروا فى سبيل الله) يعنى هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد فى سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا فى الارض) يعنى لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد فى سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات فى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب فى سبيل الله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) اى يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهى ترك الشئ والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة (تعرفهم بسيماهم) السيماء والسيمياء والسمة العلامة التى يعرف بها الشئ واختلفوا فى معناها فقيل هى الخضوع والتواضع وقيل هى اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هى صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعنى الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

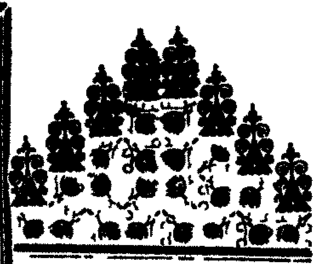
جوهرها فلا تصرها ولا تلحق تبعتها بها الا اذا كانت منجذبة اليها متوجهة بالقصد والاعتمال لتكسبها ولهذا ورد فى الحديث ان صاحب اليمين يكتب كل حسنة تصدر عن صاحبها فى الحال وصاحب الشمال لا يكتب حتى تمضى عليه ست ساعات فان استغفر فيها او تاب او ندم لم يكتب وان اصر كتب والمراد بالنفس ههنا الذات والا لكان الامر بالعكس فيكون حينئذ معناه لا يكلفها الا ما يسعها ويتيسر لها من الاعمال دون مدى الجهد والطاقة وذكر الكسب فى موضع الخير لكونها غير معتدية به معتملة له والاكتساب فى موضع الشر لكونها منجذبة اليه معتملة له بالقصد لكونها مأوى الشر (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) عهدك (او اخطأنا) فى العمل لسوالدوا قران على ورائك محتجبين عنك فانا غرباء بعداء طال العهد بنا مسافرين عنك محتصين فى الظلمات بأنواع البلاء ولا اقدار ولا مقدار لنا فى حضرتك حتى تؤاخذنا بذنوبنا (ربنا ولا تحمل علينا

لان يأخذ احدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خيرله من ان يسأل الناس اعطوه ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته فى وجهه خموش اوخدوش اوكدوح وقيل يارسول الله مايغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابوداود وقال زاد هشام فى حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفى رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائى (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر وقوله تعالى (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازى عليها فيه حث على الصدقة الانفاق والطاعة * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس فى رواية عنه نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفى رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث على بن ابى طالب فى الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعنى بنفقة الليل نفقة على وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفى الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية فى الذين يربطون الخيل للجهاد فى سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفى السر والعلانية (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات وقيل ان الآية عامة فى الذين ينفقون اموالهم فى جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات (فلهم اجرهم عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى الآخرة * قوله عز وجل (الذين يأكلون الربوا) اى يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف فى المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف فى الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء واصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال (لا يقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) اى يصرعه واصل الخبط الضرب والوطأ وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك

اصرا) فى ذاتنا وصفاتنا وافعالنا فتأصرنا وتحبسها فى مكاننا محبورين عنك فانه لا ثقل اثقل منها (كما حملته على الذين من قبلنا) من المحجوبين بظواهر الافعال وبواطن الصفات (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك ومشاهدة جمالك بمحض جلالك (واعف عنا) سيآت افعالنا وصفاتنا فانها كلها سيآت جنايات وحرمتنا برد عفوك ولذة رضوانك (واغفر لنا) ذنوب وجوداتنا فانها اكبر الكبائر كما قيل
اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
(وارحمنا) بالوجود الموهوب بعد الفناء (انت مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (فانصرنا) فان من حق الولى ان ينصر من يتولاه او سيدنا ومن حق السيد ان ينصر عبده (على القوم الكافرين) من قوى نفوسنا الامارة وصفاتها وجنود شياطين اوهامنا وخيا لاتنا المحجوبين بينك الحاجبين ايانا بكفرها وظلمتها

علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لايسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة ابدا قال يوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (واحل الله البيع وحرم الربوا) يعني واحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شئ مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيأ بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿فصل في حكم الربا﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك ﴿المسئلة الثانية﴾ اعلم ان



﴿سورة آل عمران﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) من تأويله (نزل عليك الكتاب بالحق) اي رقاك رتبة ودرجة فدرجة بتنزيل الكتاب عليك منجما الى العلم التوحيدي الذي هو الحق باعتبار الجمع المسمى بالعقل القراني (مصدقا لما بين يديه) من التوحيد الازلي السابق المعلوم في العهد الاول المخزون في غيب الاستعداد (وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) هكذا ثم (وانزل الفرقان) اي التوحيد التفصيلي الذي هو الحق باعتبار الفرق المسمى بالعقل الفرقاني وهو منشأ استقامة ومبدا الدعوة (ان الذين كفروا بآيات الله) اي احتجبوا عن هذين التوحيدين بالمظاهر والاكوان التي هي آيات التوحيد في الحقيقة (لهم عذاب شديد)

الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء والبر بالبر ربا الاهاء وهاء والشعير بالشعير ربا الاهاء وهاء والتمر بالتمر ربا الاهاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الاهاء وهاء والذهب بالذهب ربا الاهاء وهاء (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فقد اربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى الا ما اختلفت الوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة اشياء وهو النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى اشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الراى الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشياء المطعومة فذهب اصحاب الراى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان اوغير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا او مطعوما ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه

فى البعد والحرمان (والله عزيز) اى قاهر (ذو انتقام) لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض وفى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى انزل عليك الكتاب) فى العالمين فيعلم مواقع الانتقام (منه ايات محكمات) سمت من ان يتطرق اليها الاحتمال والاشتباه لا تحتمل معنى واحدا (هن ام) اى اصل (الكتاب واخر متشابهات) تحتمل معنيين صاعدا ويشتبه فيها الحق والباطل وذلك ان الحق تعالى له وجه هو الوجه المطلق الباقى بعد فناء الخلق لا يحتمل التكثر والتعدد وله وجوه متكثرة اضافية متعددة بحسب مرائى المظاهر وهى ما يظهر بحسب استعداد كل مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد يلتبس فيها الحق بالباطل فورد التنزيل كذلك لتصرف المتشابهات الى وجوه الاستعدادات فيتعلق كل بما يناسبه ويظهر الابتلاء

كالوباعه تغير مال الربا فان باعه بما يوافقه فى الوصف لافى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير اوكان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط فى بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فى القرض وهو من اقرض شيأ وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ماروى عن مالك قال بلغنى رجلا اتى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبدالله بن عمر فذلك الربا اخرجه مالك فى الموطا قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل على ذلك ماروى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة اخرجه مالك فى الموطا * وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) اى عن اكل الربا (فله ماسلف) اى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وامره الى الله) يعنى بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم اكل الربا ثم ياكله فامره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعنى الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عزوجل (يمحق الله الربوا) اى ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لايقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربى الصدقات) اى يزيدها وينميها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف اجرها فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربى احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخارى من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعنى كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا (اثيم) يعنى متماديا فى الاثم وفيه نهى عنه وان من اكل الربا لاينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا) يعنى صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعنى التى امرهم الله بها (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة باركانها وحدودها فى اوقاتها (وآتوا الزكاة) يعنى المفروضة عليهم فى اموالهم (لهم اجرهم عند ربهم) اى لهم ثواب اعمالهم فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى يوم القيامة

والامتحان فأما العلماء الراسخون المحققون الذين يعرفون الوجه الباقى فى اية صورة واى شكل كان فيعرفون الوجه الحق من الوجوه التى تحتملها المتشابهات فيردونها الى المحكمات متمثلين بمثل قول الشاعر وما الوجه الا واحد غير انه اذا انت اعددت المرايا تعددا * واما المحجوبون (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عن الحق (فيتبعون ماتشابه منه) الاحتجابهم بالكثرة عن الوحدة كما ان المحققين يتبعون المحكم ويتبعونه المتشابه فيختارون من الوجوه المحتملة مايناسب دينهم ومذهبهم (ابتغاء الفتنة) اى لطلب الضلال والاضلال الذى هم بسبيله (وابتغاء تأويله) بما يناسب حالهم وطريقتهم اذا اعوج سكين فعوج قرابه فهم كما لايعرفون الوجه الباقى فى الوجوه لزم ان لايعرفوا المعنى الحق من المعانى فيزداد حجابهم وينالوا ليستحقوا به العذاب (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) العالمون يعلمون بعلمه اى اعلمهم الله جميعا وتفصيلا

قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا) قيل نزلت فى العباس ابن عبدالمطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لى مايكفى عيالى فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله هذه الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبدالمطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبدياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمر والثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اى واتركوا مابقى من الربا والمعنى واتركوا طلب مابقى لكم مافضل على رؤس اموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) اى لم تتركوا مابقى من الربا بعد تحريمه (فاذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لاينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اى تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) اى ان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون) يعنى لاتظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لايدان لنا يعنى لاقوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عزوجل (وان كان ذو

(يقولون آمنا به) يصدقون علم الله به فهم يعملون بالنور الايمانى (كل من عند ربنا) لان الكل عندهم بمعنى واحد غير مختلف (وما يذكر الا اولو الالباب) بذلك العلم الوحد المنفصل فى التفاصيل المتشابهة الكثيرة الا الذين صفت عقولهم بنور الهداية وجردت عن قشر الهوى والعادة (ربنا لاتزغ قلوبنا) عن التوجه الى جنابك والسعى فى طلب لقائك والوقوف ببابك بالافتتان بحب الدنيا وغلبة الهوى والميل الى النفس وصفاتها والوقوف مع حظوظها ولذاتها (بعد اذ هديتنا) بنورك الى صراطك المستقيم والدين القويم وبسبحات وجهك الى جنابك الكريم (وهب لنا من لدنك رحمة) رحيمية تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك (انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد) اى يجمعهم ليوم الجمع الذى هو الوصول الى مقام الوحدة الجامعة للخلائق اجمعين الاولين

عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو
تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد مايؤديه فى دينه (فنظرة) اى فامهال
وتأخير (الى ميسرة) اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى
يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا ام هو عام فى كل دين على
قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدى ان الآية فى الربا وذكر
عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه
معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك
فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو
قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا
بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين
(وان تصدقوا خير لكم) يعنى وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس
اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر
رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصدق خير لكم
وافضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

﴿ فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه ﴾ (م) عن ابى
قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال الله قال الله قال فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن
معسر اويضع عنه (م) عن ابى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر
معسرا اووضع عنه اظله الله فى ظله يوم لاظل الاظله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه
لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين
لايدع له قضاء اخرجه ابو داود (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ
اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله (ق)
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع احدكم
على ملئ فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان له فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج
اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يارسول الله فاشار بيده ان دع الشطر
من دينك فقال كعب قد فعلت يارسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابى هريرة قال كان لرجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا
الاسنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتنى وفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم
قضاء وفى رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه

والآخرين فلا يبقى لهم
شك فى مشهدهم ذلك
(ان الذين كفروا لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيأ) بل هى سبب
حجابهم وبعدهم من الله
وتعذيبهم بعذابه لشدة
تعلقهم بهم ومحبتهم اياهم
(واولئك هم وقود النار
كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآياتنا
فأخذهم الله بذنوبهم
والله شديد العقاب قل
للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم
وبئس المهاد قد كان لكم
آية) يامعشر السالكين
دالة على كمالكم وبلوغكم
الى التوحيد (فى فئتين
التقتا فئة) القوى
الروحانية الذين هم اهل
الله وجنوده (تقاتل فى
سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم رأى العين)
هى جنود النفس واعوان
الشياطين محجوبة عن الحق
ترى الفئة الاولى مع قلة
عددهم مثليهم عند التقائهما
فى معركة البدن لتأيد الفئة
الاولى بنور الله وتوفيقه
وخذلان الفئة الثانية وذلهم
وعجزهم وضعفهم وانقطاعهم
عن عالم الايد والقدرة فغلبت

فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه (م) عن ابى قتادة الانصارى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله افضل
الاعمال فقام رجل فقال يارسول الله ارأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فى سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارأيت ان قتلت فى سبيل الله اتكفر عنى
خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين
فان جبريل قال لى ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا
وفزعنا فلما كان من الغد سألته يارسول الله ماهذا التشديد الذى نزل فقال والذى نفسى بيده
لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم احيى ثم قتل ثم احيى وعليه دين مادخل الجنة حتى
يقضى عنه دينه اخرجه النسائى * قوله عزوجل (واتقوا) اى وخافوا (يوما ترجعون
فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اى تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اى تردون
فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير اوشر (وهم لا يظلمون) اى
فى ذلك اليوم وفى هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة
وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا
ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول فى يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة
وروى الشعبى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا
اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل
مسمى قد احله الله فى كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اى تعاملتم بالدين اوداين بعضكم بعضا
والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم
لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص
احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لولم يذكر
ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى
اجل مسمى) يعنى الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولايجوز الى غير مدة
معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم فى الثمن فى البيع وفى السلم حتى لايكون لصاحب
الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لايلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم (ق) عن
ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمر العام والعامين فقال لهم
من اسلف فى تمر ففى كيل معلوم اووزن معلوم الى اجل معلوم * وقوله تعالى (فاكتبوه) اى
اكتبوا الدين الذى تداينتم به بيعا كان ذلك اوسلما اوقرضا واختلفوا فى هذه الكتابة فقيل هى
واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى واختاره محمد بن جرير الطبرى وقيل الامر محمول
على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد
والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤدى الذى اؤتمن امانته وهو قول

الاولى السانية وقهروهم
بتأييد الله ونصره وصرفوا
اموالهم التى هى مدركاتهم
ومعلوماتهم فى سبيل معرفة
الله وتوحيده (والله يؤيد
بنصره من يشاء) من اهل
عنايته المستعدين للقائه (ان
فى ذلك لعبرة لاولى الابصار)
اى اعتبارا اوامرا يعتبر به
فى الوصول الى الحقيقة
للمستبصرين الذين انفتحت
اعين بصائرهم واكتحلت
بنور الايقان العلى من اهل
الطريقة يعتبرون به احوالهم
فى النهاية (زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا) لان
الانسان مركب من العالم
العلوى والسفلى ومن نشأته
وولادته تحجبت فطرته
وخمدت نار غريزته وانطفأ
نور بصيرته بالغشاوات
الطبيعية والغواشى البدنية
والماء الاجاج من اللذات
الحسية والرياح العواصف
من الشهوات الحيوانية فبقى
مهجورا من الحق فى اوطان
الغربة وديار الظلمة يساربه
مبلوا بانواع النصب والتعب
فاذا هو بشمشة نور من التميز

الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) اى ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) اى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة امر الله تعالى بها (ولا يأب) اى ولا يمتنع (كاتب ان يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) اى كما شرعه الله وامر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذي عليه الحق) يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس) اى ولا ينقص (منه) اى من الحق الذي وجب (شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها) اى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (او ضعيفا) يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (او لا يستطيع ان يمل هو) يعني لخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلابد من ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه (بالعدل) اى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعني واشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادة معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل

ولمعان برق من عالم العقل وداع يناديه من الهوى والشيطان فتبعه فصادف منزلا نزها وروضة انيقة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكنا وقال عند الصباح يحمد القوم السرى * والداعي قد هيئ له القرى فذلك حب الشهوات اى المشتهيات المذكورة وتزيينها له وهو تمتع له بحسب ما فيه من العالم السفلي وكمال حياته يحجب به من تمتع الحياة الاخرى وكمالها بحسب ما فيه من العالم العلوي ولم ينبه على انها ابهى والذ واصفى مع ذلك وابقى وهو معنى قوله (والله عنده حسن المآب) فان ادركه التوفيق الالهي والتنبيه السري وقارنه الانباء النبوي كما قال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) انبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلوي الى مركزه واشتعلت ناره التي قد خمدت وتتابع عليه لوامع الانوار الالهية وطوالع الاشراقات القدسية فاستنار نور بصيرته الذي قد انطفا ورقت الحجب التي منعت فطرته عن طلب المقر والمأوى وتنغص عيشه الذي هو فيه فتكدر ما هو

وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود * وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروأة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذى يكذب على الله اولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأى شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شيأ مما يستحيى امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزارى القانع التابع اخرجه الترمذى قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من او امر الله او ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * وقوله تعالى (ان تضل احداهما) اى تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اى تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعنى اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة

عليه واستعظم ما كان قد استصفاه من الحياة الدنيا وسكنت في نفسه سورة الهوى بغلبة الجزء الروحاني على الجسماني وذاق طعم ماء فرات الحياة الحقيقية فلم يصبر على الملح الاجاج وباشر قلبه خطرات اليقين بجرعات شربها من الماء المعين فعلم انه كان اكمن في سرب من الارض فاستلمع ضوء الكواكب ليلا وظنه نهارا فعرج فاذا هو ببرية فيها ماء زعاق وانواع من الحشائش كالحنظل والجرجير ونحوها فظنها رياحين وثمارا لخبس عما وجد عن ضياء الشمس والوان الطيب والفواكه فعزم على رحيل الاوبة وغشيته وحشة الغربة فاتقى ما استطاب واستحلى ثم سار وخلى حتى اذا اضاء نور صبح عين اليقين وحان وقت طلوع شمس الوحدة رأى جنة يحير فيها بصره ودهش في وصفها عقله وكان ما كان مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا افاق وقد طلعت الشمس وجد فيها الافا واحبابا وعرف انه كان له مثوى ومآبا ورجع اليه الانس ونزل محلة القدس

الشهادة واداثها ومعنىالآية ولاياب الشهداء اذا مادعوا لاداءالشهادة التى تحملوها وقيل الآية فىالامرين جميعا يعنى فىالتحمل والاداء والاقامة فاذاكان فارغا وقيل الشاهدبالخيار مالم يشهد فاذاشهد وجب عليهالاداء (ولاتسأموا) اىولاتملواولا تضجروا(ان تكتبوه) الضمير راجع الىالحق اوالدين (صغيرا) كان (اوكبيرا) يعنى قليلاكان الحق اوالدين اوكثيرا (الى اجله) يعنى الى محل الحق والدين (ذلكم) يعنى ذلك الكتاب (اقسط عندالله) يعنى اعدل عندالله لانه امربه واتباع امره اعدل من تركه (واقوم للشهادة) يعنى ان الكتابة تذكر الشهود (وادنى الا ترتابوا) يعنى واحرى واقرب الى ان لاتشكوا فى الشهادة (الا ان تكون تجارة حاضرة) اى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم) اى فيما بينكم ليس فيها اجل (فليس عليكم جناح) اى لاضرر عليكم (ان لاتكتبوها) يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة مايجرى بين الناس فلوكلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلاحاجة الى الكتابة والاشهاد (واشهدوا اذاتبايعتم) يعنى فيماجرت العادة بالاشهادفيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هوللوجوب فيجب ان يشهد فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو امر ندب استحباب وهوقول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى ائتمن امانته * وقوله تعالى (ولايضار كاتب ولاشهيد) هذانهى عن المضارة واصله يضارر بكسر الراءالاولى معناه لايضار الكاتب فيأبى ان يكتب والشاهد فيأبى ان يشهد اويضار الكاتب فيزيد اوينقص اويحرف ماامل عليه فيضر صاحب الحق اومن عليه الحق وكذلك الشاهد قيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهمامشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامران يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعنى مانهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) اى معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعنى مايكون ارشادالكم فى امر الدنيا كما يعلمكم مايكون ارشادالكم فى امر الدين (والله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لايخفى عليه شئ من ذلك * قوله عزوجل (وان كنتم على سفر) اى فى سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعنى فارتهنوا ممن تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذادام وثبت والرهن ماوضع عندالانسان ممانوب مناب مااخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولايختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابى الشحم اليهودى على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك فى سفر ولاعند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال والمن كان على سفربان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق

بدارالقرار فى جوار الملك الغفار واشرقت عليه سبحات وجهه الكريم وحل بقلبه روح الرضا العميم وذلك معنى قوله (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) فالجنات جنات الافعال والازواج اصناف روحانيات عالم القدس والرضوان جنات الصفات (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) بانوار افعالك وصفاتك (فاغفر لنا ذنوبنا) اى ذنوب وجوداتنا بذاتك (وقنا عذاب النار) اى نار الهجران ووجود البقية (الصابرين) على غصص المجاهدة والرياضة (والصادقين) فى المحبة والارادة (والقانتين) فى السلوك اليه وفيه (والمنفقين) ماعداه من اموالهم وافعالهم وصفاتهم ونفوسهم وذواتهم (والمستغفرين بالاسحار) عن ذنوب تلوناتهم وبقياتهم فى اسحار ايام التجليات النورية عند طلوع طوالع الانوار وظهور تباشير صبح يوم القيامة الكبرى بالافق

العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية واجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله تعالى (فان امن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى اؤتمن امانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان امينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق امانته يعنى حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) اى المديون فى اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعنى اذا دعيتم الى اقامتها او ادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) اى فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شئ كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما فى انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام ان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اى تظهروا ما فى انفسكم يعنى من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا

الاعلى فأجابهم وقت طلوع شمس الذات من مغرب وجودهم فلم يبق مغربا بقوله (شهد الله انه لا اله الا هو) طلع الوجه الباقى فشهد بذاته فى مقام الجمع على وحدانيته اذلم يبق شاهد ولا مشهود غيره ثم رجع الى مقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته فى ذلك المشهد فقال (والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط) اى مقيما للعدل فى تفاصيل مظاهره وصور كثرتها الذى هو ظل الوحدة فى عين الجمع باعطاء كل ذى حق بحسب استعداده واستحقاقه حقه من جوده وكماله وتجليه فيه على قدر سعة وعائه (لا اله الا هو) فى المشهدين (العزيز) القاهر الذى يقهر كل شئ باعتبار الجمع فلا يصل اليه احد (الحكيم) الذى يدبر بحكمة كل شئ فيعطيه ما يليق به باعتبار التفصيل (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) هو هذا التوحيد

على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة
وقد انزلت عليك هذه الآية ولانطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا
كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما
اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله تعالى فى اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لايكلف
الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم
ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به قال نعم
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم
وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ماحدثت به انفسها مالم يعملوا به او يتكلموا به وفى رواية
ماوسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لايرد الا على الامر
والنهى ولايرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا
فى تأويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر
عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الايعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر مايشاء
ويعذب بما يشاء وقال آخرون فى معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ماابدوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على مااخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو مايحدث
لهم فى الدنيا من النوائب والمصائب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية
انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن
قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ماسألنى عنها احد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها فى يد قميصه فيفقدها
فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به
يوم القيامة وقال قوم فى معنى الآية وان تبدوا مافى انفسكم يعنى مما عزمتم عليه او تخفوه اى
ولاتبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما
لايكلف الله نفسا الا وسعها ولايؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايؤاخذ العبد
بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة
الى كونه تعالى عالما بكل مافى الضمائر والسرائر مما ظهر او خفى ومعنى الآية وان تبدوا مافى انفسكم
فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر
للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال
يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ماروى عن
صفوان بن محرز المازنى قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى

الذى قرره بنفسه فان
دينه دين اسلام الوجوه
كما قال ابراهيم صلى الله
عليه وسلم اسلمت وجهى
لله اى نفسى وجلتى
وانخلعت عن انيتى ففنيت
فيه وامر الله تعالى حبيبه
عليه الصلاة والسلام
فيما بعد بقوله (فان حاجوك
فقل اسلمت وجهى لله
ومن اتبعن * وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد
اهتدوا وان تولوا فانما
عليك البلاغ والله بصير
بالعباد ان الذين يكفرون
بآيات الله) اى المحجوبين
عن الدين (ويقتلون النبيين
بغير حق) لكونهم محجوبين
بدينهم لايقبلون الاماهم
عليه من التقيد والتقليد
والانبياء دعوهم الى
التوحيد ومنعوهم عن
التقيد فقتلوهم (ويقتلون
الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب
اليم) من اتباعهم اذ العدل
ظل التوحيد فمن لم يكمل
له لايمكنه العدل وهم
قد حجبوا بتقييدهم بدينهم
فقد حجبوا بظلمهم عن العدل
فخالفوهم وقتلوهم (اولئك
الذين حبطت اعمالهم

ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه واما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عز وجل (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص الانبياء وماذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة مافيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) اى وصدق المؤمنون بذلك ايضا (كل) اى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد احد لاشريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ واما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لانفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لانفرق بين احد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار

فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) التى عملوها على دين نبيهم لانهم كانوا بتقليد نبيهم ناجين بالمتابعة وانبياؤهم كانوا شفعاءهم بتوسطهم بينهم وبين الله فى وصول الفيض اليهم فاذا انكروا النبيين واتباعهم العادلين فقد خالفوا نبيهم لان الانبياء كلهم على ملة واحدة فى الحقيقة هى ملة التوحيد لانفرق بين احد منهم فى كونهم على الحق لمن خالف واحدا فقد خالف الكل وكذا من خالف اهل العدل من اتباع النبيين فقد ظلم ومن ظلم فقد خرج بظلمه عن المتابعة وايضا فنكر الاتباع منكر المتبوعين ومنكر الظل منكر الذات

تقديره وقالوا يعني المؤمنين لا نفرق بين احد من رسله (وقالوا سمعنا واطعنا) يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) اى نسألك غفرانك ربنا اويكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عزوجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يارسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مالم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعنى للنفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعنى من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ احدا بذنب غيره * قوله عزوجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا اى لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسئ قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه اعدل عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا او اخطأنا) فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو وارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل

خارج عن نورها واذا خالفوا نبيهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما تمكن به الاستفاضة من نوره فحجبوا عن نوره وكانت العالم منورة بنوره لاجل المتابعة لا نور ذاتى لها اذ لم تكن صادرة عن يقين فاذا زال نورها العارضى باحتجابهم عن نبيهم فقد اظلمت وصارت كسائر السيأت من صفات النفس الامارة وفيه ما سمعت غيره مرة من قتل كفار قوى النفس الامارة انبياء القلوب والآمرين بالقسط من القوى الروحانية (قل اللهم مالك الملك) تملك ملك عالم الاجسام مطلقا تتصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولا مؤثر فيه غيرك (تؤتى الملك من تشاء) تجعله متصرفا فى بعضه (وتنزع الملك ممن تشاء) بجعل التصرف فى يد غيره ولا غيرثمة ما تقلبه من يد الى يد فأنت المتصرف فيه على كل حال بحسب اختلاف المظاهر (وتعز من تشاء) بالقاء نور من انوار عزتك عليه فان العزة لله جميعا (وتذل من تشاء) بسلب لباس عزتك عنه

فنسى ولم نجد له عزما فثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك واما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيان وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ فى قوله او اخطأنا فعلى وجهين ايضا * احدهما ان يأتى العبد مانهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا تستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة من اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين * احدهما ما ليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكلف الله به عبده بحال * الوجه الثانى من تكليف ما لا يطاق هو ما فى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) اى تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) اى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) اى تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب

فيبقى ذليلا (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) كله وانت القادر مطلقا تعطى على حسب مشيئتك تتجلى تارة على بعض المظاهر بصفة العزو الكبرياء فتكسوه لباس العز والبهاء وتارة بصفة القهر والاذلال فتكسوه لباس الهوان والصغار وتارة بصفة المعز فتكون مذلا وتارة بصفة الذل فتكون معزا وتارة بصفة الغنى فتعطى المال وتارة بصفة المغنى فتفقره اى تجعله مستغنيا عن المال فقيرا لا يحتاج الى شئ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) تدخل ظلمة النفس فى نور القلب فيظلم وتدخل نور القلب فى ظلمة النفس فتستنير بخلطهما معا مع بعد المناسبة بينهما (وتخرج الحى) اى حى القلب (من الميت وتخرج الميت من الحى) اى من ميت النفس وميت النفس من حى القلب بل تخرج حى العلم والمعرفة من ميت الجهل وتخرج ميت الجهل من حى العلم تحجبه عن النور كبلعام بن باعورا (وترزق من تشاء) من النعمة الظاهرة والباطنة جميعا اومن

منك العفو واذا عفوت عنى فاستره على فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التى هى الانعام والاحسان ليفور بالنعيم والثواب (انت مولانا) اى ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعنى الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفى قوله لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لااؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لااحمل عليكم ولاتحملنا مالاطاقة لنا به قال لااحملكم واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبدالله بن مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها قال اذيغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لايشرك بالله من امته شيأ المقحمات الذنوب العظام التى تولج مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج (ق) عن ابى مسعود الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل مايحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذسمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الااليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الااليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الااعطيته عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفى عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولايقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان اخرجه الترمذى وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾

مدنية وهى مائتا آية وثلاثة آلاف واربعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الم الله لااله الاهو الحى القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل امرهم وهم العاقب واسمه عبدالمسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذى لايصدرون الاعن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بمالهم وصاحب رحلهم الذى يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده فى دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الحيرات جبب واردية يقول من رآهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مارأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله

(صلى الله)

احداهما (بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اذلامناسبة بينهم فى الحقيقة والولاية لاتكون الا بالجنسية والمناسبة فحينئذ لا يمكن ان تكون المحبة بينهم ذاتية بل مجعولة مصنوعة بالتصنع والرياء والنفاق وهى خصال مبعدة عن الحق اذكلها حجب ظلمانية ولولم يكن فيهم ظلمة تناسبت حال الكفرة ماقدروا على مخالطتهم ومصاحبتهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) اى من ولاية الله فى شئ معتد به اذليس فيهم نورية صافية يناسبون بها الحضرة الالهية (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الاان تخافوا من جهتهم امرا يجب ان تتقوه لوهم ظاهرا ليس فى قلوبكم شئ من محبتهم وذلك ايضا لايكون الا لضعف اليقين اذلو باشر قلوبهم اليقين لماخافوا الا الله تعالى وشاهدوا معنى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاخافوا غيره ولم يرجوا غيره ولذلك عقبه بقوله (ويحذركم الله نفسه)

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا
كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب
واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال
النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال
الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى
كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا
فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم
ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا الجحود فأنزل الله ردا عليهم
الم الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى
لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد
ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم اما الحى
فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم
بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن
(بالحق) اى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات
والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل
لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وانزل التوراة والانجيل من قبل)
اى من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل
منجما مفصلا فى اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس)
يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن
فى اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف
القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما
هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا
السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن
المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع
والاحكام (وانزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد
ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى
انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى فى امر عيسى عليه
السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق

اى يدعوكم الى التوحيد
العيانى كيلا يكون حذركم
من غيره بل من نفسه (والى
الله المصير) فلا تحذروا الا
اياه فانه المطلع على اسراركم
وعلانياتكم القادر على
مجازاتكم ان توالوا اعداءه
او تخافوهم سرا اوجهرا
(قل ان تخفوا ما فى صدوركم
او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى
السموات وما فى الارض
والله على كل شئ قدير يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا) كل ما يعمله الانسان
او يقوله يحصل منه اثر
فى نفسه وتنتقش نفسه به
واذا تكرر صار النقش
ملكة راسخة وكذا ينتقش
فى صحائف النفوس السماوية
لكنه مشغول عن هيئات
نفسه ونقوشها بالشواغل
الحسية والادراكات
الوهمية والخيالية لا يفرغ
اليها فاذا فارقت نفسه
جسدها ولم يبق ما يشغلها
عن هيئاتها ونقوشها
وجدت ما عملت من خير ا
وشر محضرا فان كان
شرا تمنى بعدما بينها وبين
ذلك اليوم او ذلك العمل
لتعذيبها به فتصير تلك

والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لايمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) اى غالب لايغلب (ذوانتقام) يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة * قوله عز وجل (ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء) اى لايخفى عليه شئ من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم فى الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا او انثى ابيض اواسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقى اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فكتب له ذلك فى بطن امه وقيل ان الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت فى دارك كذا وصنعت كذا وانه احيا الموتى وابرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ماقدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وانه المصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره فى الرحم فنبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه مالايخفى على الله عز وجل (لااله الا هو العزيز الحكيم) وهذا ايضا فى الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله فى الرحم * قوله عز وجل (هو الذى انزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (منه آيات محكمات) يعنى مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن ام الكتاب) يعنى هن اصل الكتاب الذى يعول عليه فى الاحكام ويعمل به فى الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الآيات فى اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعنى ان كل واحد منهما آية (واخر) جمع اخرى (متشابهات) يعنى ان لفظه يشبه

الهيئات والنقوش صورتها ان كانت راسخة والا وجدت جزاءها بحسبها وتكرر (ويحذركم الله نفسه) تأكيد لئلا يملوا مايستحقون به عقابه (والله رؤف بالعباد) فلهذا يحذرهم عن السيآت تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) لما كان عليه الصلاة حبيبه فكل من يدعى المحبة لزمه اتباعه لان محبوب المحبوب محبوب فيجب محبة النبى ومحبته انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولاتمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا التابع قسط من محبة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله تعالى محبته عليه ويسرى

يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر
كله محكما فقال في اول هود الر كتاب احكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى
في الزمر الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله
كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه
محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي
في آخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة
وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه
والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة
فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه
ما يحتمل اوجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة
في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله
انزلت عليك قال نعم قال ان كان حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون
سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هي احد وستون ومائة
فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة
فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا
فلا ندري ابكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه
وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر
والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد
العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة
احدها ان القرآن انزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز
للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد
الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب
هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق
عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا
لقالوا هلا انزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة
وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث
عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى
في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض

من باطن روح النبي نور
تلك المحبة عليه فيكون
محبوبا لله محبا له ولو لم
يتابعه خالف باطنه باطن
النبي فبعد عن وصف
المحبوبية وزالت المحبة
عن قلبه اسرع ما يكون
اذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن
محبا له (ويغفر لكم ذنوبكم)
كما غفر لحبيبه حيث قال
ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وذنبه
المتقدم ذاته والمتأخر
صفاته فكذا ذنوب المتابعين
كما قال تعالى لا يزال العبد
يتقرب الي الى آخر الحديث
(والله غفور) يمحو ذنوب
صفاتكم وذواتكم (رحيم)
يهب لكم وجودا وصفات
حقانية خيرا منهما ثم
نزل عن هذا المقام لانه اعز
من الكبريت الاحمر ودعاهم
الى ما هو اعم من مقام المحبة
وهو مقام الارادة فقال (قل
اطيعوا الله والرسول) اي
ان لم تكونوا محبين ولم
تستطيعوا متابعة حبيبي فلا
اقل من ان تكونوا مريدين
مطيعين لما امرتم به فان المريد
يلزمه متابعة الامر وامتثال
المأمور به (فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين) اي ان
اعرضوا عن ذلك ابعضافهم

تقع الحاجة الى الفكرة والحلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان متعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده * وقوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) اى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى اوائل السور وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا ادرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم * وقوله تعالى (ابتغاء الفتنه) اى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) اى تفسيره واصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله اى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وابى بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول ثم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتداء فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) اى الثابتون فى العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه وما لم نعلم ونحن معتقدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته

كفار منكرون محجوبون والله لا يحب من كان كافرا فبترك الطاعة يلزم الكفر وبترك المتابعة لا يلزم لان تارك المتابعة يمكن ان يكون مطيعا بمتابعة الامر ومعنى اطيعوا الله والرسول اطيعوا رسول الله لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل وآل عمران على العالمين) الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة واشار اليه بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا صلى الله عليه وسلم ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم عليه السلام واعمها الاصطفاء اى صفة آدم عليه السلام (ذرية بعضها من بعض) فى الدين والحقيقة اذ الولاية قسمان صورية ومعنوية وكل نبى تبع نبيا آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قبل الآباء

الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه فمنه تفسير لايسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لايعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع به عباده ولايجوز ان يكون فى القرآن شئ لايعرفه احد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان احدهما انهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل انس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر الا اولوا الالباب) اى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذووا العقول وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عزوجل (ربنا لاتزغ قلوبنا) اى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لاتزغ قلوبنا اى لاتملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) اى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) اى اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك انت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل احد على قدر استحقاقه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولاتكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب مايليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لانه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لايمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع على الانسان مابين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب مااعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم * قوله عزوجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه) اى ليوم

ثلاثة اب ولدك واب رباك واب علمك فكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم امه من نطفة ابيه فكذلك وجود القلب فى الولادة الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفحة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين واعلم ان الولادة المعنوية اكثرها يتبع الصورية فى التناسل ولذلك كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا ثم ثمر شجرة واحدة فان عمران بن يصهر اباموسى وهرون كان من اسباط لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعمران بن ماثان ابا مريم ام عيسى كان من اسباط يهوذا بن يعقوب وكون محمد عليه الصلاة والسلام من اسباط اسمعيل بن ابراهيم مشهور وكذا كون ابراهيم من نوح عليه السلام وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج فى الاعتدال وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل بحسب المناسبه وتفاوت الارواح

القضاء وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لاريب فيه اى لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لايخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لاتخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد * قوله عزوجل (ان الذين كفروا) يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغنى) اى لن تنفع ولن تدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اى من عذاب الله شيأ وقيل من بمعنى عند اى عند الله شيأ (واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعنى لما جاءتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) اى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم * قوله عزوجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل اراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان اباسفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشر به موسى لاترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لاتعجلوا حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يامعشر اليهود احذروا من القدر مثل مانزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم مانزل فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لايغرنك انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عزوجل قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون اى ستهزمون وتحشرون يعنى فى الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) اى الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم فى النار * قوله عزوجل (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن

فى الازل بحسب صنوفها ومراتبها فى القرب والبعد فتتفاوت الامزجة بحسبها فى الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة فى الامزجة على الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة فى الرتبة متناسبة فى الصفة وهذا مما يقوى ان المهدى عليه السلام من نسل محمد صلى الله عليه وسلم (والله سميع) حين قالت امراة عمران رب انى نذرت لقومها (عليم اذقالت امرات عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى) بنيتها كما شهدت بقولها (انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب) واعلم ان النيات وهيئات النفس مؤثرة فى نفس الولد كما ان

مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ماليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ماجاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية اى عبرة ودلالة على صدق مااقول انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين واصلها فى الحرب لان بعضهم يفئ الى بعض اى يرجع التقتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانيه سيوف ❊ وقوله تعالى (واخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرى بالتاء يعنى ترون اهل مكة ضعفى المسلمين يامعشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان احدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية اخرى عنه قال لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى اعين المشركين فى اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى ان المشركين لما

الاغذية مؤثرة فى بدنه فمن كان غذاؤه حلالا طيبا وهيئات نفسه نورية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا اوو ليا اونبيا ومن كان غذاؤه حراما وهيئات نفسه ظلمانية خبيثة ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا او كافرا خبيثا اذ النطفة التى يتكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة بتلك النفس فتناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد سر ابيه فكان صدق مريم ونبوة عيسى بركة صدق ابيها (وجد عند رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يجوز ان يراد به الرزق الروحانى من المعارف والحقائق والعلوم والحكم الفائضة عليها من عند الله اذ الاختصاص بالعندية يدل على كونها من الارزاق اللدنية (هنالك دعا زكريا ربه) كان زكريا شيخا هما وكان مقدما للناس اماما طلب من ربه ولدا حقيقيا يقوم مقامه فى تربية الناس وهدايتهم كما اشار اليه

اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ماكنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وماذلك الا اظهارا للقدرة التامة وقوله تعالى (رأي العين) اى في رأي العين (والله يؤيد) اى يقوى (بنصره من يشاء ان في ذلك) يعني الذى ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) اى لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل (زين للناس) قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم مافي الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين له هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له في ملكه * وقوله تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه انه اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى هو اربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن ابى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة

في سورة كهيعص فوهب له يحيى من صلبه بالقدرة بعدما امر باعتكاف ثلاثة ايام ولك التأويل بالتطبيق على احوالك وتفاصيل وجودك كما علمت وهو ان الطبيعة الجسمانية اى القوة البدنية امراة عمران الروح نذرت مافي قوتها من النفس المطمئنة لله تعالى بانقيادها لامر ومطاوعتها له فوضعت انثى النفس فكفلها الله زكريا الفكر بعدما تقبلها لكونها زكية قدسية فكلما دخل عليها زكريا الفكر محراب الدماغ وجد عندها رزقا من المعانى الحدسية التى انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر اياها فهنالك دعا زكريا الفكر تركيب تلك المعانى واستوهب من الله ولدا طيبا مقدسا عن لوث الطبيعة فسمع الله دعاءه اى اجاب فنادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم بامره في تركيب المعلومات يناجى ربه باستنزال الانوار ويتقرب اليه بالتوجه الى عالم القدس في محراب الدماغ قال رب هب لى من لدنك

والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان تكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اى تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) اى الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) اى المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل (قل اؤنبئكم) اى اخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا لحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات * قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) اى صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) اى استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما اصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم

ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) العقل بالفعل (مصدقا بكلمة من الله) بعيسى القلب مؤمنا به وهو كلمة من الله لتقدسه عن الاجرام والتولد عن المواد (وسيدا) لجميع اصناف القوى (وحصورا) مانعا نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية (ونبيا) بالاخبار عن المعارف والحقائق الكلية وتعليم الاخلاق الجميلة والتدابير السديدة بأمر الحق (من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) من جملة المفارقات والمجردات التي تصلح بافعالها ان تكون من مقربي حضرة الله تعالى بعد ان بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتهيا الى ادراك الحقائق القدسية والمعارف الكلية وكانت

الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق فى النية العزم على الفعل حتى يفعله (والقانتين) يعنى المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعنى اموالهم فى طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة فى جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم فى ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يانافع اسحرنا فاقول لا فيعاودالصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلى الصبح (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله وفى لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وله فى رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفرله حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على مايشاهده من النزول الذى هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لاتستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل مايشاء لايتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يابنى لاتكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله انه لااله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قال وانت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شئ فان انت اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألانى قالا فاخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لااله الا هو وذلك بان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد

امرأته التى هى طبيعة الروح النفسانية لانها محل تصرف الفكر عافرا بالنور المجرد * وعلامة ذلك اى علامة حصول النور المجرد وظهوره من النفس الزكية امساكه عن مكالمة القوى البدنية فى تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالطتهم فى فضول لذاتهم وشهواتهم ثلاثة ايام كل يوم عقد تام من المواد عمره عشر سنين الا ان يرمز اليهم باشارة خفية ويأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكل واحد منهم من غير ان يدنو منهم فى مقاصدهم وان يشتغل فى الايام الثلاثة التى مداها ثلاثون سنة من ابتداء سن التميز الذى هو العشر الاول بذكر ربه فى محراب الدماغ والتسبيح المخصوص به دائما وكذا قالت ملائكة القوى الروحانية لمريم النفس الزكية الطاهرة (واذقالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك) التنزهك عن الشهوات (وطهرك) عن رذائل الاخلاق والصفات المذمومة (واصطفاك على نساء العالمين) نفوس

بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل ان خلق الخلق
حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو (والملائكة)
اى شهد الملائكة بمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار
والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق
لفظ الشهادة عليهما (واولوا العلم) اى وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى اولى العلم
فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبد الله ابن سلام
واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) اى بالعدل نصب على الحال او القطع او المدح
ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان
قائم بحق فلان اى انه مجازله فالله مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازلهم باعمالهم (لا اله الا هو)
انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل
فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها
والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات (العزيز) اى الغالب الذى لا يقهر
(الحكيم) يعنى فى جميع افعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله
هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت
اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية رد الله
عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى
شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين فى اللغة الجزاء يقال
كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين
اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام
والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسند الثعلبى عن غالب القطان قال اتيت الكوفة
فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى
البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى
عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته
ثم قلت له انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم
واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة * قوله عز وجل (وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب) قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بأن نعته وصفته
فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل
واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة

الشهوانية الملونة بالافعال
الذميمة والملكات الرديئة
(يا مريم اقنتى لربك) اطيعى
لربك بوظائف الطاعات
والعبادات (واسجدى)
فى مقام الانكسار والذل و
الافتقار والعجز والاستغفار
(واركعى مع الراكعين)
فى مقام الخضوع والخشوع
مع الخاضعين (ذلك من
انباء الغيب) اى احوال
غيب وجودك (نوحيه
اليك) ياتى الروح (وما
كنت لديهم) لدى القوى
الروحانية والنفسانية اى
فى رتبتهم ومقامهم (اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم)
اى يتسابقون فى سهامهم
ويتبادرون فى حظوظهم
ايهم يدبر مريم النفس
ويكفلها بحسب رأيه
ومقتضى طبعه يترأس
عليها ويأمرها بما يراه من
مصلحة امره (وما كنت
لديهم) فى مقام الصدور
الذى هو محل نزاع القوى
الروحانية والنفسانية
ومحل نزاعهم الذى هو
الصدر (اذ يختصمون)
يتنازعون ويتجاذبون
فى طلب الرياسة عند ظهوره
قبل الرياضة وفى حالها
اذ غلبت ملائكة القوى

والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابناء الملوك السبعين حتى اهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعدما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التوارة من الاحكام (بغيا بينهم) اى طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ❁ قوله عز وجل (فان حاجوك) اى خاصموك يا محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل اسلمت وجهى لله) اى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اى اخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله (ومن اتبعن) يعنى ومن اسلم كما اسلمت انا (وقل للذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والاميين) يعنى مشركى العرب (ءاسلمتم) لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقال معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ❁ قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله) يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس) كان انبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم ونهوهم بالمعروف عن المنكر فقتلوهم جميعا من

لروحانية بتوفيق الحق بعد الرياضة وقالت لمريم النفس (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة) القلب موهوبا (منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) لانه يمسحك بالنور (وجيها فى الدنيا) لادراكه الجزئيات وتدبير مصالح المعاش اجود واصدق واصوب ما يكون فيطيعه ويذعن له ويحتشمه ويعظمه انس القوى الظاهرة وجن القوى الباطنة (و) فى (الآخرة من المقربين) لادراكه المعانى الكلية والمعارف القدسية وقيامه بتدبير المعاد والهداية الى الحق فتعطيه ملكوت سماء الروح وتكرمه ومن جملة مقربى حضرة الحق قابلا لتجلياته ومكاشفاته (ويكلم الناس فى المهد) فى مهد البدن (وكهلا) بالغا الى قرب طور شيخ الروح غالبا عليه بياض نوره (ومن الصالحين) لمقام المعرفة (قالت رب انى يكون لى ولد) تعجب النفس من حملها وولادتها من غير ان يمسها بشر اى من غير تربية شيخ وتعليم معلم بشرى وهو معنى بكارتها (قال كذلك

آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وانزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب اليم) انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبران لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفى هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (اولئك الذين حبطت) اى بطلت (اعمالهم فى الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو ان لا يقبل فى الدنيا ولا يجازى عليه فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) يعنى يمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) انزلت فى اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعنى القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى علمهم الذى علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) اى ليقضى بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعنى الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعنى عن الحق وقيل الذى تولواهم العلماء والذين اعرضوا هم الاتباع (ذلك بانهم) يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات) تقدم تفسيره فى سورة البقرة (وغرهم) اى واطمعهم (فى دينهم ما كانوا يفترون) اى يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل (فكيف

الله يخلق ما يشاء) اى يصطفى من شاء بالجذب والكشف ويهب له مقام القلب من غير تربية وتعليم كما هو حال المحبوبين وبعض المحبين (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) بالتعليم الربانى كتاب العلوم المعقولة وحكم الشرائع ومعارف الكتب الالهية من التوراة والانجيل اى معارف الظاهر والباطن (ورسولا الى بنى اسرائيل) الى المستعدين الروحانيين من اسباط يعقوب الروح (انى قد جئتكم بآية من من ربكم) تدل على انى آتيكم من عنده (انى اخلق لكم من الطين) بالتربية والتزكية والحكمة العملية من طين نفوس المستعدين الناقصين (كهيئة الطير) الطائر الى جناب القدس من شدة الشوق (فأنفخ فيه) من نفث العلم الالهى ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبة والتربية (فيكون طيرا باذن الله) اى نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق (وابرئ الاكمه)

اذا جمعناهم) اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) اى فى يوم (لاريب فيه ووفيت كل نفس
ما كسبت) اى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعد لهم فى ذلك
اليوم وانهم يقعون فيما لاحيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما
لايكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم
على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لايظلمون) اى لاينقص من حسناتهم ان كانت
لهم حسنة ولا يزاد على سيآتهم * قوله عزوجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا
ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عزوجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله
هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد امته ملك فارس والروم
فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من
ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل
ان اليهود قالوا والله لانطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية
قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله
امنا بخير اى اقصدنا مالك الملك اى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل
معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لايدعى الملك احد غيره وفى بعض
كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى
جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى
اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك
على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف
يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه
وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو
من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة
من بنى اسرائيل واتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لانبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته
احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى
من ابى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع
الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك
ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة
عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه
دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى ابا جهل واضرابه حين قتلوا
والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من
تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص
والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك
كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى
يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه

المحجوب عن نور الحق
الذى لم تنفتح عين بصيرته
قط ولم تبصر شمس وجه
الحق ولا نوره ولم يعرف
اهله بكحل نور الهداية
(والابرص) المعيوب
نفسه بمرض الرذائل
والعقائد الفاسدة ومحبة
الدنيا ولوث الشهوات
بطيب النفوس (واحيى
الموتى) موتى الجهل بحياة
العلم (باذن الله وانبئكم
بما تأكلون) تتناولون
من مباشرة الشهوات
واللذات (وماتدخرون
فى بيوتكم) اى فى بيوت
غيوبكم من الدواعى
والنيات (ان فى ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين
من ومصدقا لما بين يدى
من التوراة) اى من توراة
علم الظاهر (ولاحل لكم
بعض الذى حرم عليكم)
من انوار الباطن (وجئتكم
بآية) بدليل (من ربكم)
هو التوحيد الذى لم
يختلف فيه نبى قط (فاتقوا
الله) مخالفتى فانى على الحق
(واطيعون) فى دعوتكم
الى التوحيد (ان الله ربى
وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فلما احس
عيسى منهم) القلب من

اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لاينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك
الخير وبيدك ماسواه الا انه خص الخير بالذكر لان المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شيء
قدير) يعني من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل
في النهار) الآية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير
حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام
والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم
فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا
وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار
ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس
عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه
تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح
واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى
الولوج (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) وهو انه تعالى يخرج الانسان الحي
من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة
وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج
النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن
حي الفؤاد والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط
الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه * قوله عز وجل (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين)
قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم
عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء
اليهود لايفتنونكم عن دينكم فأبى اولئك النفر الا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت
في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبدالله بن ابي واصحابه
كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت
كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يارسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رايت
ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعني انصارا
واعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لايجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى
الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم واصل من اصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم و
اظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) اي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه
فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة

القوى النفسانية (الكفر)
الاحتجاب والانكار
والمخالفة (قال من انصاري
الى الله) اي اقتضى من
القوة الروحانية نصرته
عليهم في التوجه الى الله
(قال الحواريون) اي
صفوته وخالصته من
الروحانيات المذكورة
(نحن انصار الله آمنا بالله)
بالاستدلال وبالتنور
بنور الروح (واشهد بأنا
مسلمون) مذعنون منقادون
(ربنا آمنا بما انزلت) من
علم التوحيد وفيض النور
(واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين) الحاضرين
لك المراقبين لامرك او
من الشاهدين على
وحدانيتك (ومكروا)
اي الاوهام والخيالات
في اغتيال القلب واهلاكه
بانواع التسويلات (ومكر
الله) بتغليب الحجج العقلية
والبراهين القاطعة عن
تخيلاتها وتشكيكاتها ورفع
عيسى القلب الى سماء الروح
والقى شبهه على النفس ليقع
اغتيالهم (والله خير
الماكرين) اذ غلبت مكره و
قال لعيسى (اذ قال الله ياعيسى
اني متوفيك) اي قابضك
الى من بينهم (ورافعك الى)

الكفار ضدان لا يجتمعان (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله
نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين
او يكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان
يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين
والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم
وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين
فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت
لسعيد بن جبير فى ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى
الاسلام تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر
الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) اى ويخوفكم الله ان تعصوه
بان ترتكبوا النهى او تخالفوا المأمور به او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى
الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة * قوله عز وجل (قل ان تخفوا
ما فى صدوركم) يعنى ما فى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب
(او تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اى تظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) اى يحفظه عليكم
ويجازيكم به (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ
فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم
(والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء
ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وما عملت من سوء) اى تجد ما عملت من الخير
محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) اى تتمنى (لو ان بينها وبينه) اى وبين ما عملت من
السوء (امدا بعيدا) اى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل
معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد
(والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه
وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل
انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم
العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه * قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت
هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض
النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم
ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يا محمد
ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل

اى الى سماء الروح فى
جوارى (ومطهرك من)
رجز جوار (الذين
كفروا) من القوى الخبيثة
ومكرهم وخبث صحبتهم
(وجاعل الذين اتبعوك)
من الروحانيين (فوق
الذين كفروا) من
النفسانيات الى يوم القيامة
الكبرى والوصول الى
مقام الوحدة (ثم) يومئذ
(الى مرجعكم فأحكم
بينكم) بالحق (فيما كنتم
فيه تختلفون) قبل الوحدة
من التجاذب والتنازع
الواقع من القوى فأقر
كلا فى مقره هناك واعطيه
ما يليق به من عدى فيرتفع
التخالف والتنازع (فاما
الذين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا) بالحرمان
عن مقام القلب والاحتجاب
بهيئات اعمالهم (فى الدنيا
والآخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين آمنوا)
من الروحانيات (وعملوا
الصالحات) من انواع التزكية
والتحلية والتصفية فى اعانة
القلب على النفس ومتابعته
فى التوجه الى الحق (فيوفيهم
اجورهم) من الانوار
القدسية والاشراقات
الروحية عليهم (والله لا يحب
الظالمين) الذين ينقصون

(الظاهرة)

الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعنى ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابى بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل (قل اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله معلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لاتتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه اونهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم محمدا صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لايحب الكافرين) اى لايرضى فعلهم ولايغفر لهم (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعصى الامير فقد عصانى * قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم هو ابو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابرهيم) قيل اراد بآل ابراهيم نفسه وقيل ال ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى هذا الاصطفاء وجعل اسحق اصلا لبنى اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون اونفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل بن ماثان وهو من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) اى اصطفى ذرية واصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرءه الله تعالى اى خلقه.

الاجور (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) من الحقوق واما التأويل بغير التطبيق فهو انهم مكروا ببعث من يقتال عيسى عليه السلام فشبه لهم صورة جسدانية هى مظهر عيسى روح الله عليه السلام بصورة حقيقة عيسى فظنوها عيسى فقتلوها وصلبوها والله رفع عيسى عليه السلام الى السماء الرابعة لكون روحه عليه السلام فائضا من روحانية الشمس ولم يعلموا لجهالتهم ان روح الله لا يمكن قتله ولما تيقن حاله قبل الرفع قال لاصحابه انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى اى اتطهر من عالم الرجس واتصل بروح القدس الواهب الصور المفيض للارواح والكمالات المربى للناس بالنفث فى الروح فامدكم من فيضه وكان اذ ذاك لاتقبل دعوته ولايتبع مثله فامر الحواريين بالتفرق بعده فى البلاد والدعوة الى الحق فقالوا كيف ذاك اذا لم تكن معنا والآن انت بين اظهرنا ولاتجاب دعوتنا قال علامة امدادى اياكم قبول الخلق دعوتكم بعدى فلما رفع لم يدع

(بعضها من بعض) اى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا * قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هى حنة بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشئ من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا اخت ايشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك عنه حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارأيت ان كان ما فى بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من اجل ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل اخذ الشئ على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل (فلما وضعتها) اى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها انثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فيها بطنها قبل ان تضعه (والله اعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى وكانت مريم

اصحابه احدا الا ابانهم وظهر لهم القبول فى الخلق وعلت كلمتهم وانتشر دينهم فى اقطار الارض ولما لم يصل الى السماء السابعة التى عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم اليها المعبر عنها بسدرة المنتهى اعنى مقام النهاية فى الكمال ولم ينل درجة المحبة لم يكن له بد من النزول مرة اخرى فى صورة جسمانية يتبع الملة المحمدية لنيل درجتها والله اعلم بحقائق الامور (ان مثل عيسى عند الله) اى ان صفته عند الله فى انشائه بالقدرة من غير اب (كمثل آدم خلقه من تراب) فى انشائه من غير ابوين واعلم ان عجائب القدرة لا تنقضى ولا قياس ثمة على ان تكون الانسان من غير الابوين نظيرا من عالم الحكمة فان كثيرا من الحيوانات الناقصة القريبة الخلقة تتولد خلقا فى ساعة ثم تتناسل وتتوالد فكذا الانسان يمكن حدوثه بالتولد فى دور من الادوار ثم بالتوالد وكذا التكون من غير اب فان منى الرجل احر كثيرا من منى المرأة وفيه القوة العاقدة

من اجل النساء وافضلهن في وقتها (واني سميتها مريم) يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم
وارادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (واني اعيذها بك وذريتها) اي امنعها
واجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما
فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها
ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن
مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب * قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعني ان الله تعالى تقبل
مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن
قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس في المصادر فعول
بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ
ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعني
التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضا (وانبتها نباتا حسنا) معناه وانبتها فنبتت هي
نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعداء وانبتها
نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام
(وكفلها زكريا) قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة وقالت
دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا
احق بها لان خالتها عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا
نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل
هو الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها من غيره وكان كل قلم
مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم
زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى
وجرت اقلامهم مع جرى الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم
فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة
وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم
صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها
المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل
بابه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله
تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو
من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل
عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف

اقوى كما في الانفحة بالنسبة
الى الجبن والمنعقدة في مني
المرأة اقوى كما في اللبن فاذا
اجتمعا تم العقد وانعقد
ويتكون الجنين فيمكن وجود
مزاج اناثي قوى يناسب
المزاج الذكوري كما يشاهد
في كثير من النسوان فيكون
المتولد في كليتها اليمنى بمثابة
مني الذكر لفرط حرارته
بمجاورة الكبد لمن مزاج
كبدها صحيح قوي الحرارة
والمتولد في كليتها اليسرى
بمثابة مني الانثى فاذا احتملت
المرأة لاستيلاء صورة
ذكورية على خيالها في النوم
واليقظة بسبب اتصال
روحها بروح القدس وبملك
آخر ومحاكاة الخيال ذلك
كما قال تعالى فتمثل لها بشرا
سويا سبق المنيان من الجانبين
الى الرحم فتكون في المنصب
من الجانب الايمن قوة العقد
وفي المنصب من الجانب
الايسر قوة الانعقاد فيتكون
الجنين ويتعلق به الروح
وقوله (ثم قال له كن فيكون)
اشارة الى نفخ الروح
وكونه من عالم الامر ليس
مسبوقا بمادة ومدة كتخلق
الجسد فيتناسب آدم وعيسى
بما ذكر في اشتراكهما في
خرق العادة وبكون جسديهما

وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال) يعنى زكريا (يامريم انى لك هذا) اى من اين لك هذه الفاكهة (قال) يعنى مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يامريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بنى اسرائيل ازمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ماترى فدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يايوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها فى المحراب انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يامريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على ان يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع الكبر وطمع فى الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعنى انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) يعنى انه قال يارب اعطنى من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) اى سامعه ومجيبه * قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقيل ان يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى فى المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان يأذن فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يازكريا (ان الله يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمى يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه وقيل لان الله تعالى احيا قلبه بالان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء الذين قبله فى كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعنى الوعد الذى وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من

مخلوقين من تراب العناصر مسبوقين بمادة ومدة وكون روحه مبدعا من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة (الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه) اى فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق) ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله فى العالم العنصرى فيكون انفعال العالم العنصرى منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه كالغضب والحزن والفكر فى احوال المعشوق وغير ذلك من تحرك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس البشرية منه كانفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات ارواحنا فاذا اتصل نفس قدسى به او ببعض ارواح اجرام السماوية والنفوس الملكوتية كان تأثيرها فى العالم عند التوجه الاتصال تأثير

بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لايغضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو البخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يابنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واى داء ادواء من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذى لاياتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لامال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لايجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعنى انه من اولاد الانبياء الصالحين ❊ قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب) اى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربى اى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (انى يكون لى غلام) يعنى من اين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغنى الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالنى الكبر وادركنى الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به اكان شاكا فى وعد الله او فى قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام فى وعد الله وفى قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اى جهة يكون لى الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتى ورد شبابى على او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل مايشاء وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يازكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لايجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحى السماوى واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فاما مايتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس فى رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته

ما يتصل به فتنفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية منه بما اراد الم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف واحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية (وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة) اى ليس عيسى من الالهية فى شئ فلا يستحق العبادة بمجرد تجرد ذاته فان عالم الملكوت والجبروت كله كذلك (سواء بيننا وبينكم) اى لم يختلف فى كلمة التوحيد نبى ولا كتاب قط (الا نعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يااهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون هاانتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون ماكان ابرهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان

بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتي عاقر) اى عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل مايشاء لايعجزه شئ * قوله عزوجل (قال) يعنى زكريا (رب اجعل لى آية) اى علامة اعلم بها وقت حمل امرأتى فازيد فى العبادة والشكر لك (قال آيتك) اى علامتك على الذى طلبت معرفة عليه (ان لا تكلم الناس) اى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام) اى مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك من صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام (الا رمزا) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) اى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فاما العشى فهو مابين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو مابين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عزوجل (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يامريم ان الله اصطفاك) اى اختارك (وطهرك) يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) اى واختارك (على نساء العالمين) اى عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها انثى ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن ابى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل

من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيه امرأة فرعون اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (يامريم اقنتى لربك) اى قالت الملائكة لها شفاها اطيعى ربك وقيل معناه اطيلى القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدى واركعى مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لاتقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة اى صلى مع المصلين فى جماعة * قوله عز وجل (ذلك من انباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب (نوحيه اليك) اى نلقيه اليك يامحمد لانه لايمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يامحمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون اقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (ايهم يكفل مريم) يعنى يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى فى كفالتها وتربيتها * قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يامحمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يامريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الى فلان كلمة سرنى بها واخبرنى خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام انما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى

بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله)الاستنباء لايكون الابعد مرتبة الولاية والفناء فى التوحيد ما ينبغى لبشر محا الله بشريته بافنائه عن نفسه واثابه وجودا نورانيا حقانيا قابلا للكتاب والحكمة الالهية ثم يدعوا الخلق الى نفسه اذالداعى الى نفسه يكون محجوبا بالنفس كفرعون واضرابه من الذين علوا التوحيد وما وجدوه حالا وذوقا ولم يصلوا الى العيان ونفوسهم باقية

عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير فى قوله اسمه عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق اوموضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى اوميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الابرأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لان مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لايكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولايقيم بمكان فكأنه يمسح الارض اى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لااخمص له وسمى الدجال مسيحا لان ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد ❊ وقوله تعالى (وجيها) اى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والآخرة) اما وجاهته فى الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى واما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ماذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبدالله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة امه مما رماها به اهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة امه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه

ما اذاقت طعم الصلاة فاحتجبوا بها فدعوا الخلق الى نفوسهم وهم ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى (ولكن) يقول (كونوا ربانيين) منسوبين الى الرب لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين تالين لكتب الله اى كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولايأمركم) بتعبد معين والتقيد بصورة فانه حجاب وكفر ولا يأمر النبى بالاحتجاب بعد اسلامكم الوجود لله (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذانتم مسلمون واذاخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد
على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا
بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال
مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل
وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق
ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين
بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لايسمى
المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع اقواله وافعاله فلما
وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا
اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات * قوله عز وجل (قالت)
يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقول الله عز وجل (انى
يكون لى ولد) اى من اين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) اى ولم يصبنى رجل وانما قالت
ذلك تعجبا لاشكا فى قدرة الله تعالى اذ لم يكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب (قال كذلك الله
يخلق مايشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه
يخلق مايشاء ويصنع مايريد وهو قوله (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد
(ويعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة واحكام الشرائع
(والتوراة) يعنى التى انزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى انزل عليه وهذا اخبار
من الله تعالى لمريم ماهو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى
اسرائيل) اى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب
وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم)
يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على
شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ماهذه الآية قال (انى
اخلق) اى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم
هيأت الشئ اذا قدرته واصلحته (فانفخ فيه) اى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا)
قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا
على التوحيد على معنى يكون ماانفخ فيه طائرا اوماخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير
الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير
بلاريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما
ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ
طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير
مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله
تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى اعمل هذا
التصوير انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام

ان بين النبيين تعارفا
ازليا بسبب كونهم اهل
الصف الاول عرفاء بالله
وكل عارف يعرف مقام
سائر العرفاء ومتعهدهم
من الله بعهد التوحيد عام
لبنى آدم كما ذكر وعهد
النبيين خاص بهم وبمن
يعرفهم بحق المتابعة فقد
اخذ الله من النبيين عهدين
احدهما ماذكر فى قوله
واذ اخذ ربك من بنى آدم
الى آخره وثانيهما ماذكر
فى قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى بن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وهو عهد
التعارف بينهم واقامة
الدين وعدم التفرق به
بتصديق بعضهم بعضا
ودعوة الحق الى التوحيد
وتخصيص العبادة بالله تعالى
وطاعة النبى وتعريف
بعضهم بعضا الى اممهم
وخصوصه بسبب ان
معرفة الله تعالى فى صورة
التفاصيل وحجب الصفات
وتكثر المظاهر ادق واخفى
من معرفته فى عين الجمع
وهم من رزق حق المتابعة
عارفون بذلك وباحكام
تجليات الصفات التى هى

(وابرئ الاكمه والابرص) اى واشفى الاكمه والابرص واحييهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (واحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلق بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مربه وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ابوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال مت فقال له بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل (وانبئكم) يعنى واخبركم (بما تأكلون) اى بما لم اعاينه (وما تدخرون فى بيوتكم) اى وما ترفعونه فتخبؤنه فى بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره لعشاء وقيل كان فى الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبى فيبكى على اهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقال لا تقعدوا مع ذلك الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما فى البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذاهم خنازير ففشا ذلك فى بنى اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهى اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة

الشرائع خاصة دون من عداهم (فمن تولى بعد ذلك) اى بعد ما علم عهد الله مع النبيين وتبليغ الانبياء اليهم ما عهد الله اليهم (فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن دين الله ولا دين غيره معتد به فى الحقيقة الا توهما (افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض) وكل من فى السموات والارض يدين بدينه (طوعا) كالاعداء الانسان والشيطان (وكرها) كالانسان والشيطان اذا الكفر لا يسع موجودا سواهما فكلهم ممتثلون لما امرهم الله طائعون والانسان لاحتجابه بارادته ونسيانه عهد الله وقوله لدعوة الشيطان لمناسبته اياه بالظلمة النفسانية لا يؤمن ولا ينقاد الا كرها اللهم الا من عصمه الله واجتباه والشيطان لاحتجابه بحبه وانيته فى قوله انا خير منه وابائه واستكباره كفر وهو مع ذلك يعلم عصيانه يؤمن كرها ويتحقق ان كفره باراد ته تعالى وذلك من الايمان كما قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر

الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة حساب الرمل اونحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برائد من الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) اي لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة رفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه (واطيعون) يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قوله (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخباري له عن عيسى عليه السلام انه كان ربا كما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد * قوله عز وجل (فلما احس عيسى منهم الكفر) اي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله

ذكر سبب القصة

قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل

قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وقال اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وفي موضع اخر وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل فهذه لآيات دالة على ايمانه ولكن حين لا ينفعه (واليه ترجعون) في العاقبة فلا يبقى دين غير دين الله بل الكل عند الرجوع يدين بدينه

كل يدين بدين الحق لو فطنوا وليس دين لغير الحق مشروع

(قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير

على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لايهتم لذلك فانا آمر ابنى ان يدعوله فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لاتبالى فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى من ارض اخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندى غلاما لايسأل الله شيأ الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى بجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريدان يستخلفه فى ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لاتفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لاابالى اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركنى انا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريدان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من انصارى الى الله) اى مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى فى اى فى ذات الله وسبيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى (قال الحواريون نحن انصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ماتصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به فانطلقوا معه واختلف فى الحواريين فقيل كان يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت

الاسلام دينا) المراد من الاسلام ههنا التوحيد الذى هو دين الله فى قوله اسلمت وجهى لله وهو المذكور فى الآية التى قبلها وما وصف شموله لجميع الاديان ويلزمه الانقياد التام الطوعى المذكور فى فاصلة الآية بقوله ونحن له مسلمون (فلن يقبل منه) لعدم وصول دينه الى الحق تعالى لمكان الحجاب (وهو فى الآخرة من الخاسرين) الذين خسروا باشترائهم انفسهم وماجبوا به بالحق (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) انكر هدايته تعالى لقوم قد هداهم اولا بالنور الاستعدادى الى الايمان ثم بالنور الايمانى الى ان عاينوا حقية الرسول وايقنوا بحيث لم يبق لهم شك وانضم اليه الاستدلال العقلى بالبينات ثم ظهرت نفوسهم بعد هذه الشواهد كلها بالعناد واللجاج وحجبت انوار قلوبهم وعقولهم وارواحهم الشاهدة ثلاثتها بالحق للحق لشؤم ظلمهم وقوة استيلاء نفوسهم الامارة عليهم الذى هو غاية الظلم فقال (والله لايهدى القوم

منها قال واين هي قال في الحب قال كلها قال ثم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم
فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على
الالوان التي يريد الحوارى فجعل الحوار يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس
تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما
ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل
الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار
والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي
صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني
انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمنا بالله) اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعني
انت ياعيسى (بأنا مسلمون) قيل معناه واشهد باننا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك
ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء
قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما انزلت) يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم
بانهم مسلمون ربنا آمنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول)
يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك
فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين
الذين سال الحواريون ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع
الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون
للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته ﴿ قوله عز وجل
(ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما
يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله
وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح
فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من اخلاق الخبيث
والخديعة والحيلة (ومكر الله) اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته
وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو
القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى
عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة
فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راى ذلك يهوذا راس اليهود
وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله
عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهوذا ملك
اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ
عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه
قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت

الظالمين) لغلظ حجابهم
وتعمقهم في البعد عن الحق
وقبول النور وهم قسمان
قسم رسخت هيئة استيلاء
النفوس الامارة على قلوبهم
فيهم وتمكنت وتاهوا في العمى
والاستشراء وتمادوا في
البعد والعناد حتى صار ذلك
ملكة لا تزول وقسم لم يرسخ
ذلك فيهم بعد ولم تصر على
قلوبهم رينا ويبقى من وراء
حجاب النفس مسكة من نور
استعدادهم عسى ان
تداركهم رحمة من الله
وتوفيق فيندموا ويستحيوا
بحكم غريزة العقول فاشار
الى القسم الاول بقوله ان
الذين كفروا بعد ايمانهم الى
آخره والى الثاني بقوله
(اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور
رحيم ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن
تقبل توبتهم واولئك هم
الضالون) بالمواظبة على
الاعمال والرياضات ما
افسدوا (ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض

الارض وارسل الله عزوجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين
تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعونى بدراهم يسيرة فخرجوا
وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ماتجعلون لى ان دللتكم على
المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه
فرفع الله عيسى عليه السلام واخذ الذى دل عليه فقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله
فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى القى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى
كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام
وقال على من تبكيان ان الله عزوجل قد رفعنى ولم يصبنى الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة
ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك احد
بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله عزوجل
فاهبطه الله عزوجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة فى الارض ثم
رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله
عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعنى وهو افضل المجازين بالسيئة
العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام فى بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل
عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان
نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم انا يانبى الله
فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التار
حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوريشلم لمضى خمس خ
وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله
من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين
وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عزوجل (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك
ورافعك الى) اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها
من غير تقديم ولا تأخير وذكروا فى معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير
موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل
اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عزوجل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه
الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى متوفيك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفى
حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من
النهار ثم احياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو فى قوله ورافعك الى لاتفيد الترتيب والآية تدل على ان الله
تعالى يفعل به ماذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت فى الحديث
ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابوبكر الواسطى
معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما

ذهبا ولو افتدى به اولئك
لهم عذاب اليم ومالهم من
ناصرين) اذ لاتقبل هناك
الا الامور النورانية الباقية
لان الآخرة هى عالم النور
والبقاء فلا وقع ولا خطر
للامور الظلمانية الفانية
وهل كان سبب كفرهم
واحتجابهم الا محبة هذه
الفواسق الفانية فكيف
تكون سبب نجاتهم وقربهم
وقبولهم وندبتهم وهى بعينها
سبب هلاكهم وبعدهم
وخسرانهم وحرمانهم (لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وماتنفقوا من شئ
فان الله به عليم) كل فعل
يقرب صاحبه من الله فهو
بر ولا يمكن التقرب اليه الا
بالتبرى عما سواه فمن احب
شيأ فقد حجب عن الله تعالى
به واشرك شركا خفيا لتعلق
محبته بغير الله كما قال تعالى
ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله وآثر نفسه به على
الله فقد بعد من الله بثلاثة
اوجه وهى محبة غير الحق
والشرك وايثار النفس على
الحق فان آثر الله به على نفسه
وتصدق به واخرجه من
يده فقد زال البعد وحصل
القرب والا بقى محجوبا وان

رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة فى زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى اخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفى رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذويب تدرى ما امكم منكم قلت فاخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينماهما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبينه يعنى عيسى نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعنى وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من الحق فى امر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فاما الذين كفروا) يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى (فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى والذلة واخذ الجزية منهم

انفق من غيره اضعافه فانال برا لعله تعالى بما ينفق وباحتجابه بغيره (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) اى العقلاء بحكم الاصل اذ العقل يحكم بان الاشياء خلقت لمنافع العباد مطلقا فما يكون من جملة المطعومات خلقت لتناولها (الا ما حرم اسرائيل) الروح (على نفسه) بالنظر العقلى عند التجربة والقياس ومعرفة مضارها ومنافعها على التفصيل بعد الحكم الاجمالى بحلها فان العقل يحكم بحرمة ما يضر او يؤلم (من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) اى من قبل نزول الحكم الشرعى بالتوراة وسائر الكتب الالهية وذلك ان الناس اختلفوا بعدما كانوا امة واحدة على دين الحق كما ذكر فبعث الله النبيين لهدايتهم واصلاح احوال معاشهم ومعادهم وردهم الى الحق والاتفاق فاقتضت الحكمة الالهية بحسب احوالهم المختلفة وطباع قلوبهم المحرفة ونفوسهم المرتبضة حرمته من المألوفات والاشياء الصارفة عن الحق الحاجبة

(والآخرة) اى واعذبهم فى الآخرة بالنار (ومالهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا (واما الذين آمنوا) يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبدالله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم اجورهم) يعنى جزاء اعمالهم لا ينقص منه شئ (والله لا يحب الظالمين) اى لا يحب من ظلم غيره حقاله او وضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذين ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) اى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرأ ويكتب او نبى يوحى اليه وانت امى لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى انزل عليك (والذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش *قوله عزوجل (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية اجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماشأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انه عبدالله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبدالله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عندالله اى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير اب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ فى القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشأن فى خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اى انشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا آخر فقال انى اخبركم ايضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولا ام قلت هو مثله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة

بينهم وبين الله والهيبة للهوى والشهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة اياهم عن كمالهم واهتدائهم حرم عليهم (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس) قيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء قد حيت الارض تحته فالبيت اشارة الى القلب الحقيقى وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنطفة عند سماء الروح الحيوانى وارض البدن وخلقه قبل الارض اشارة الى قدمه وحدوث البدن وتعيينه بألفى عام اشارة الى تقدمه على البدن بطورين طور النفس وطور القلب تقدما بالرتبة اذا الالف رتبة تامة كما سبقت الاشارة اليه وكونه زبدة بيضاء اشارة الى صفاء جوهره ودحو الارض تحته اشارة الى تكون البدن من تأثير وكون

مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك
نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب فى العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكى ان بعض
العلماء اسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه
لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل
اربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما ❊
وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له
كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى اخبرتك به من تمثيل
عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبى
اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى
ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ❊ قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) اى فمن جادلك
فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا)
اى هلموا والمراد منه المجيئ واصله من العلو بالراى والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة (ندع ابناءنا
وابناءكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناءه (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) قيل اراد بالابناء الحسن
والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم
لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل
معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى
منا ومنكم فى امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران
ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب
وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى
مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين
واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت
فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا
لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا
يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال انى
اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى
اليك فى كل سنة الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا
وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى
نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى

اشكاله وتخطيطاته وصور
اعضائه تابعة لهيآته فهذا
تأويل الحكاية واعلم ان
محل تعلق الروح بالبدن
واتصال القلب الحقيقى به اولا
هو القلب الصورى وهو اول
ما يتكون من الاعضاء واول
عضو يتحرك وآخر عضو
يسكن فيكون اول بيت
وضع للناس (للذى ببكة)
الصدور صورة او اول
متعبد ومسجد وضع للناس
للقلب الحقيقى الذى ببكة
الصدور المعنوى وذلك
الصدور اشرف مقام من
النفس وموضع ازدحامات
القوى المتوجهة اليه (مباركا)
ذا بركة الهية من الفيض
المتصل منه بجميع الوجود
والقوة والحياة فان جميع
القوى التى فى الاعضاء تسرى
منه اولا اليها (وهدى للعالمين)
سبب هداية ونور يهتدى به
الى الله (فيه آيات بينات) من
العلوم والمعارف والحكم
والحقائق (مقام ابراهيم)
اى العقل الذى هو موضع
قدم ابراهيم الروح يعنى محل
اتصال نوره من القلب
(ومن دخله) من السالكين
والمتحيرين فى بيداء الجهالات
(كان آمنا) من اغوا السعالى
المتخيلة وعفاريت احاديث

كلهم حتى هلكوا فان قلت ماكان دعاؤه الى المباهلة الالتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فامعنى ضم الابناء والنساء المباهلة قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يامحمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله (لهو القصص الحق) واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتتابع فيه المعانى (ومامن اله الاالله) انما دخلت من لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كمازعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له فى الالهية (وان الله لهو العزيز) اى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) اى الذين يعبدون غيرالله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لماقدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا فى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ماتريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يامحمد ماتريد الا ان نقول فيك ماقالت اليهود فى عزير فانزل الله عزوجل قل ياأهل الكتاب تعالوا اى هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولاميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة اوقصيدة لها اول وآخر وشرح كلمة سواء اى عدل لاتختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (الانعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غيرالله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يامحمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان نقول عزير ابن الله ولانقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولانطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع ولايسجد بعضنا لبعض لان السجود لغيرالله حرام فلا نسجد لغيرالله وقيل معناه ولانطيع احدا فى معصية الله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا

النفس واختطاف شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع القوى النفسانية وصفاتها (ولله على الناس حج) هذا (البيت) والطواف به (من استطاع اليه سبيلا) من السالكين المستعدين الصادقين فى الارادة القادرين على زاد التقوى وراحلة قوة العزم دون من عداهم من الضعاف فى الاستعداد القاعدين من الضعف والمرض وسائر الموانع الخلقية اوالعارضة النفسانية اوالبدنية (ومن كفر) اى حجب استعداده مع القدرة واعرض عنه بهوى النفس (فان الله غنى) عنه و(عن العالمين) كلهم اى لايلتفت اليه لبعده وكونه غيرقابل لرحمته فى ذل الحجاب وهو ان الحرمان مخذولا مردودا (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وماالله بغافل عما تعملون ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم

عما امرتهم به (فقولوا) انتم لهؤلاء (اشهدوا باناّمسلمون) اى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان اباسفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها اباسفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى امابعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسين ويااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باناّمسلمون لفظ الحديث احد روايات البخارى وقد اخرجه بالطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبدالله بن اريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبدالله بن اروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ❊ قوله عزوجل (يااهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ماكان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ماكان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يااهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وماانزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأه الله عزوجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمأة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وستمأة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابرهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واورد على هذا التأويل ان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح مادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عزوجل اخبر فى القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا اونصرانيا فصح وثبت ماادعاه المسلمون وبطل ماادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (افلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يامعشر اليهود والنصارى حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها انتم هؤلاء) ها التنبيه وهو موضع النداء يعنى ياهؤلاء والمراد بهم اهل الكتابين يعنى يامعشر اليهود والنصارى (حاججتم) اى جادلتم وخاصمتم (فيمالكم به علم)يعنى فيماوجدتم فى كتبكم وانزل عليكم بيانه فى امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه

آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) بالانقطاع عما سواه والتمسك بالتوحيد الحقيقى (فقد هدى الى صراط مستقيم) اذ الصراط المستقيم هو طريق الحق تعالى كما قال ان ربى على صراط مستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) فى بقايا وجودكم فان حق اتقائه هو ان يتقى كما يجب ويحق وهو الفناء فيه اى اجعلوه وقاية لكم فى الحذر عن بقايا ذواتكم وصفاتكم فان فى الله خلفا عن كل مافات (ولاتموتن الا وانتم مسلمون) الا على حال اسلام الوجوه له اى لكن موتكم هو الفناء فى التوحيد (واعتصموا بحبل الله جميعا) اى بعهده فى قوله الست بربكم مجتمعين على التوحيد (ولا تفرقوا) باختلاف الاهواء فان التفرق عن الحق انما يكون باختلاف المبادئ واتباع الهوى وتجاذب القوى والموحد عنها بمعزل اذ تنور قلبه بنور الحق واستنارت

ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وانتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم برأه الله عز وجل مما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برئ من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى ويستقبل الكعبة فى صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له * قوله عز وجل (ان اولى الناس بابراهيم) يعنى اخصهم به واقربهم منه (للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الامة الاسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى ابى وخليل ربى ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين اخرجه الترمذى وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابى طالب واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قال وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من اتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد

(الاوثان)

نفسه من فيض القلب فتسالمت القوى وتصادقت (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى التوحيد المفيد للمحبة فى القلوب (اذ كنتم اعداء) لاحتجابكم بالحجب النفسانية والغواشى الطبيعية بعداء عن النور والمقاصد الكلية التى تقبل الشركة وتزال بالاتفاق فى مهوى الظلمة (فألف بين قلوبكم) بالتحاب فى الله لتنور بنوره (فأصبحتم بنعمته اخوانا) فى الدين اصدقاء فى الله (وكنتم على شفا حفرة من النار) هى مهوى الطبيعة الفاسقة ومحل الحرمان والتعذيب (فأنقذكم منها) بالتواصل الحقيقى بينكم الى سدرة مقام الروح وروح جنة الذات (كذلك يبين الله لكم آياته) بتجليات الصفات اللطيفة والاشراقات النورية (لعلكم تهتدون) الى جماله وتجلى ذاته (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اى ليكن من جملتكم جماعة عالمون عاملون عارفون اولو استقامة

الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا قد ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي ياجعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر مايقذى العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم اوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم فقال عمرو يانجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود

في الدين كشيوخ الطريقة يدعون الى الخير فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للانسان بحسب النوع من معرفة الحق تعالى والوصول اليه والاضافي مايتوصل به الى المطلق او الكمال المخصوص بكل احد على حسب اقتضاء استعداده الخاص فالخير المدعو اليه اما الحق تعالى واما طريق الوصول * والمعروف كل امر واجب اومندوب في الدين يتقرب به الى الله تعالى والمنكر كل محرم او مكروه يبعد عن الله تعالى ويجعل فاعله عاصيا او مقصرا مذموما فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة ولا مقام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان غير الموحد ربما يدعو الى طاعة غير الله وغير المستقيم في الدين وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف عنده منكر في نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف في نفس الامر لكن بلغ مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما كبعض

لو يضلونكم يعني من دينكم و يردونكم الى الكفر (ومايضلون الا انفسهم) لان المؤمنين لايقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (ومايشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم (ياأهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم مافيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وانتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لايقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لاينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وانتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ماتستحقون على كتمان الحق من العقاب * قوله عز وجل (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول مايواجه منه وانشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

* وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه اي انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم

المنكرات والتصرف في اموال الناس ويحرم حلالا بل مندوبا كتواضع الخلق ومكافاة الاحسان وامثال ذلك (واولئك هم المفلحون) الاخصاء بالفلاح الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في ارضه (ولاتكونوا) ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعكم على طريقة واحدة (كالذين تفرقوا) واتبعوا الاهواء والبدع (واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) الحجج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة واتفاق الكلمة للناس فان للناس طبائع وغرائز مختلفة واهواء متفرقة وعادات وسيرا متفاوتة مستفادة من امزجتهم واهويتهم ويترتب على ذلك فهوم متباينة واخلاق متعادية فان لم يكن لهم مقتدى وامام يحذ عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق تهم وعاداتهم واهواؤهم بته وطاعته كانوا ملين متفرقين فرائس يطان كشريدة الغنم ونون للذئب ولهذا قال

عصل لها اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك فى قلوب بعض من كان فى ايمانه ضعف * قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اى ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اى وافق ملتكم التى انتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) اى الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد اى ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى (او يحاجوكم عند ربكم) يعنى الا ان يحاجوكم اى اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اى عند فعل ربكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله الآن انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء)

امير المؤمنين عليه السلام لابد للناس من امام بر او فاجر ولم يرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدا الشان الا وامر احدهما على الآخر وامر الآخر بطاعته ومتابعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر لم يرح بحبوحة الجنة وقال الله مع الجماعة الا ترى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو اليه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ابيضاض الوجه عبارة عن نور وجه

يعني الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه
تكذيب لليهود فى قولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك
اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل فى اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل فى زيادة
الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) اى ذو سعة يتفضل على
من يشاء (عليم) اى بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته
ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل
على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص
وللفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) * قوله عز وجل
(ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك)
الآية نزلت فى اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة
عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل
عبدالله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب
بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية اودع رجل من قريش عبدالله بن سلام
الفا ومائتى اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل
من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم
اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين واخذ ماله باى طريق كان (الا
ما دمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة
وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف
بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه اودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال
وانت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك
(ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل)
يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب
حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل
ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل
انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانهم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل
علينا فى اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية
فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع
العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله
الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى)
اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفى ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها
ثم يبتدئ من اوفى اى ولكن (من اوفى بعهده) اى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى انزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء

القلب بنور الحق المتوجه
اليه والاعراض عن الجهة
السفلية النفسانية المظلمة وذلك
لا يكون الا بالتوحيد
والاستقامة فيه بتنور النفس
ايضا بنور القلب فتكون
الجملة متنورة بنور الله
واسوداده ظلمة وجه القلب
بالاقبال على النفس الطالبة
حظوظها والاعراض عن
الجهة النورية الحقية لمصادقة
النفس ومتابعة الهوى فى
تحصيل لذاتها وذلك انما
يكون باتباع السبل المتفرقة
الشيطانية (فاما الذين
اسودت وجوههم) فيقال
لهم (اكفرتم بعد ايمانكم)
اى احتجبتم عن نور الحق
بصفات النفس الظلمانية
وسكنتم فى ظلمتها بعد هدايتكم
وتنوركم بنور الاستعداد
وصفاء الفطرة وهداية
العقل (فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون) عذاب
الحرمان باحتجابكم عن الحق
(واما الذين ابيضت وجوههم
ففى رحمة الله) التى هى
روح الوصال ونور القدس
وشهود الجمال (هم فيها
خالدون تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق وما الله يريد ظلما
للعالمين ولله ما فى السموات
وما فى الارض والى الله

فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عزوجل (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى احبار اليهود ورؤسائهم ابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث ابن قيس وخصم له (ق) عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عزوجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم ابو عبدالرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فى نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية واخرجه الترمذى وابوداود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبدالله بن ابى اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) اى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثنى عليهم بجميل (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس) لكونكم موحدين قائمين بالعدل الذى هو ظله (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) اذ لا يقدر على ذلك الا الموحد العادل لعلمه بالمعروف والمنكر كما مر فى تأويل قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا قال امير المؤمنين عليه السلام نحن النمرقة الوسطى بنا يلحق التأويل والينا يرجع الغالى فيأمرون المقصر بالمعروف الذى يوصله الى مقام التوحيد وينهون الغالى المحجوب بالجمع عن التفصيل وبالوحدة عن الكثرة (وتؤمنون بالله) اى تثبتون فى مقام التوحيد الذى هو الوسط وكذا فى كل تفريط وافراط واعتدال فى باب الاخلاق (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) لكانوا مثلكم (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) لكونهم منقطعين عن اصل القوى والقدر كائنين فى الاشياء بالنفس التى هى محل العجز والشر وانتم معتصمون

ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك (م) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال المسبل المنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنافق المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار فقالوا يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك * قوله عزوجل (وان منهم) يعني من اليهود (لفريقا) يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابوياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) اي يعطفون ويميلون واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (السنتهم بالكتاب) يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف تلوى لسانه من سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيائه (وماهو من الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ماهو منه (ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله) يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا في كتاب الله ماليس فيه قوله عزوجل (ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ماكان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ماكان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان ابارافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يامحمد تريدان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذالله ان آمر بعبادة غيرالله ومابذلك امرني الله ومابذلك بعثني فانزل الله هذه الآية ماكان لبشر اي ماينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لاواحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادالي من دون الله) ومعنى الآية انه لايجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادالي من دون الله وكيف يدعوالناس

بالله معتضدون به كائنون في الاشياء بالحق الذي هو منبع القهر فقدرتهم لاتبلغ الاحد الطعن باللسان والخبث والايذاء الذي هو حد قدرة النفس ونهايتها وقدرتكم تفوق كل قدرة بالقهر والاستئصال لاتصافكم بصفات الله تعالى فلا جرم ينهزمون منكم عند المقاتلة ولا ينصرون (ضربت عليهم الذلة) لان العزة لله جميعا فلا نصيب فيها لاحد الا لمن تخلق بصفاته بمحو صفات البشرية كالرسول والمؤمنين الذين هم مظاهر عزته كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن خالفهم فهو مضاد لصفة العزة مباين للاعزاء فتلزمه الذلة وتشمله على اي حال تكون الا برابطة مابينه وبين اهل العزة كقوله (الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذمة وعهد وذلك يكون امرا

الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام مايدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات ربانى هذه الامة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس اى يعلمهم وينصحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لى ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهى تدل على الذى علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير * وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع عمله وخاب سعيه * قوله عزوجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اى ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عزوجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عزوجل (واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر فى اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعنى حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية

عارضيا لا اصل له مرتبطا برابطة مجعولة فلا تقابل صفتهم الذاتية اللازمة لهم التى هى الذلة الناشئة من اصل نفوسهم * واستحقوا غضبا شديدا من عند الله لبعدهم واعراضهم عن الحق ولزمتهم المسكنة لانقطاعهم عن الله الى نفوسهم فوكلهم الى انفسهم (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين) اى بالله ثم وصفهم باحوال اهل الاستقامة اى منهم اهل التوحيد والاستقامة (وما تفعلوا من خير فلن يكفروه) اى كل ما يصدر منكم مما يقربكم عند الله يتصل به جزاؤه منه لن تحرموا شيأ منه قال الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى مشيا اتيته هرولة الحديث وقال انا جليس من ذكرنى وانيس من شكرنى ومطيع من اطاعنى اى كما اطاعوه بتصفية الاستعداد وانوجه نحوه

فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته
الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء
وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى
ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول
سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله
الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون
النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل
كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم
فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي
طالب مابعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ
هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان
الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا
به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين * وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ
بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ اخذ الله
ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل
قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الآية واذا استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول
مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه * وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله
فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به
والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال
البغوي قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح
اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري الآية
وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ماقرر في عقولهم من الدلائل الدالة
على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم
بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم
لهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق
كان من النبيين قال معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان
اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ
الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه

الماكم بافاضة الفيض على
حسبه والاقبال اليكم
(والله عليم بالمتقين) بالذين
اتقوا ما يحجبهم عنه
فيتجلى لهم بقدر زوال
الحجاب (مثل ماينفقون في
هذه الحيوة الدنيا) الفانية
ولذاتها السريعة الزوال
طلبا للشهوات اورياء
اوسمعة في المفاخر وطلب
محمدة الناس لايطلبون به
وجه الله ومايهلكه وتفنيه
بالكلية من ريح هوى
النفس التي فيها بردنيا تكم
الفاسدة واغراضكم الباطلة
كالرياء ونحوه (كمثل ريح
فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم) بالشرك
والكفر (فأهلكته)
عقوبة من الله لظلمهم (وما
ظلمهم الله) باهلاك حرثهم
(ولكن انفسهم يظلمون)
لانه مسبب عن ظلمهم كما
قيل مهلا يداك اوكتا
وفوك نفخ (ياايها الذين
آمنوا لاتتخذوا بطانة من
دونكم) بطانة الرجل صفيه
وخليصه الذي يبطنه
ويطلع عليه اسراره
ولا يمكن وجود مثل
هذا الصديق الااذا اتحدا
في المقصد واتفقا في الدين
والصفة متحابين في الله

وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالتوافق اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد (واخذتم على ذلكم اصري) اى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد (قالوا اقررنا) اى قال الانبياء اقررنا على الزمنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا و بينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان (وانا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يامعشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم اوقال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فاولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (افغير دين الله يبغون) وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اى فغير دين الله تطلبون يامعشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (وله اسلم) اى خضع وانقاد (من فى السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبى وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا فى يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت فى وقت اليأس فلم ينفعه ذلك فى القيامة وقيل انه لاسبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فى مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع مايقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه فى الدنيا * قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله عز وجل فى الآية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم بين فى هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لايبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع فى قوله آمنا ومعنى الآية قل يامحمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما انزل علينا) يعنى وقل يامحمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره

لا نغرض كما قيل فى الاصدقاء نفس واحدة فى ابدان متفرقة فاذا كان من غير اهل الايمان فبأن تكون كاشحا احرى ثم بين نفاقه واستبطانه العداوة بقوله (لا يألونكم خبالا) الى آخره اذ المحبة الحقيقية الخالصة لا تكون الا بين الموحدين لكونها ظل الوحدة فلا تكون بين المحجوبين لكونهم فى عالم التضاد والظلمة فاين الصفاء والوفاق فى عالمهم بل ربما تألفهم الجنسية العامة الانسانية لاشتراكهم فى النوع والمنافع والملاذ واحتياجهم الى التعاون فيها فاذا لم تحصل اغراضهم من النفع واللذة تمارشوا وتباغضوا وبطلت الالفة التى كانت بينهم لكونها مسندة عن امر قد تغير اذ النفس منشأ التغير والمنافع الدنيوية لا تبقى بحالها واللذات النفسانية سريعة الانقضاء فلا تدوم المحبة عليها بخلاف المحبة الاولى فانها مستندة الى امر لا تغير فيه اصلا هذا اذا كانت فيما بينهم فكيف اذا كانت بينهم وبين من يخالفهم فى الاصل

حرف وبدل (وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) اى وما اوتى النبيون (من ربهم لانفرق بين احد منهم) وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى انزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) اى موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا * قوله عزوجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعنى ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعنى الذين وقعوا فى الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبرى عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عزوجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت فى اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصارى وطعمة بن ابيرق وجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا ان الرسول حق) يعنى وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التى بمثلها تثبت النبوة (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لايهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال فى اول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا قال فى آخرها والله لايهدى القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لايهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (اولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين

والوصف وانى يتجانس النور والظلمة ومن اين يتوافق العلو والسفل فبينهما عداوة حقيقية وتخالف ذاتى لاتخفى آثاره كما بين الله تعالى بقوله (ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم) لامتناع اختفاء الوصف الذاتى قال النبى عليه الصلاة والسلام مااضمر احد شيأ الا واظهره الله فى فلتات لسانه وصفحات وجهه (وماتخفى صدورهم اكبر) لانه نار وهذا شرار ذاك الاصل وهذا فرعه (قد بينا لكم الآيات) دلائل المحبة والعداوة واسبابهما (ان كنتم تعقلون) اى تفهمون من فحوى الكلام (هاانتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم) بمقتضى التوحيد اذ الموحد يحب الناس كلهم بالحق للحق ويراهم متصلين بنفسه اتصال الاحياء والاقرباء بل اتصال الاجزاء فينظر اليهم بنظر الرحمة الالهية والرأفة الربانية ويعطف عليهم ترحما اذ يراهم اهل الرحمة شغلوا بالباطل وابتلوا بالقدر ولايحبونكم

تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصارى لما
لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى
من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية فبعثها اليه اخوه
الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن
اسلامه (واصلحوا) اى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لاتكفى
حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق
بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) اى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة
بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى
والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى
ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله
خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم
هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى احد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن
سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا
نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث فلما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله
لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة
والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست
التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن فان الذى يموت
على الكفر لاتقبل توبته كانه قال ان اليهود او الكفار او المرتد الذين فعلوا ثم ماتوا على ذلك
لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم
والكفر فى ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها فى حال الشرك ولم يتوبوا
من الشرك فان توبتهم فى حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر
وقال ابن جرير الطبرى معنى لن تقبل توبتهم اى مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد
ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من
كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم على ان المعنى
الذى لاتقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذى لاتقبل التوبة منه هو
الازدياد على الكفر بعد الكفر لايقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لايقبل عمل
مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم
وقوله تعالى (واولئك هم الضالون) يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا

بمقتضى الحجاب والبقاء
فى ظلمة النفس وتضاد
الطبع (وتؤمنون
بالكتاب) اى بجنس
الكتاب (كله) لشمول
علمكم التوحيدى ولا
يؤمنون للتقيدى بدينهم
والاحتجاب بما هم عليه
(واذا لقوكم قالوا آمنا)
لنفاقهم المسبب لاغراضهم
العاجلة (واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من
الغيظ) لحقدهم الذاتى
وبغضهم الكامن والباق
ظاهر قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور
ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وان تصبروا)
على ما يبتليكم الله به من
الشدائد والمحن والمصائب
وتثبتوا على مقتضى
التوحيد والطاعة (وتتقوا)
استعانة بهم فى اموركم
والالتجاء الى ولايتهم
(لايضركم كيدهم شيأ)
لان المتوكل على الله الصابر
على بلائه المستعين به
غيره ظافر فى بيته
غالب على خصمه محفوظ
بحسن كلاءة ربه والمستعين
بغيره مخذول موكول الى
نفسه محروم من نصرة

به كما قال الشاعر
من استعان بغير الله فى طلب
فان ناصره عجز وخذلان
(ان الله بما يعملون) من
المكايد (محيط) فيبطلها
ويهلكها وقد قيل اذا
اردت ان تكبت من
يحسدك فازدد فضلا فى
نفسك فالصبر والتقوى
من اجل الفضائل ان
لزمتموهما تظفروا على
عدوكم (واذ غدوت من
اهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال والله سميع
عليم اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله
لعلكم تشكرون اذ تقول
للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين بلى
ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين) الصبر
على مضض الجهاد وبذل
النفس فى طاعة الله وتحمل
المكروه طلبا لرضا الله
لا يكون الا عند التقوى
وتأييد الحق وسوره بنور
اليقين وثباته نزول

بهم الذين ضلوا على سبيل الحق واخطؤا مناهجه ❊ قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة فى جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا) اى قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد فى التغليظ لانه تصريح بنفى القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ فى الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان الكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله فى تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شئ من ذلك وفيه معناه لو ان الكافر انفق فى الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (اولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت الا الشرك لفظ مسلم ❊ قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعنى من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى

(تخرجوا)

تخرجوا جواز كاة اموالكم فعلى هذاالقول قيل انالآية منسوخة بآيةالزكاةوفيهبعدلانه ترغيب فىاخراجالزكاة وقال ابن عمرالمراد بها سائرالصدقات وقالالحسن كلشئ انفقهالمسلم من ماله مما يبتغى به وجهالله ويطلب ثوابه حتىالتمرة فانهيدخل فىقوله لن تنـالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثرالانصار بالمدينةمالاوكان احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلةالمسجد وكان رسولالله صلىاللهعليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذهالآية لن تنالواالبرحتى تنفقوا مما تحبون قام ابوطلحة الى رسولالله صلىالله عليه وسلم فقال يارسولالله انالله تعالى يقول فى كتابهلن تنالواالبر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالى الى بيرحاوانها صدقةللهعزوجل ارجو برها وذخرها عندالله فضعها يارسولالله حيث شئت فقال رسولالله صلىالله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح اوقال ذلك مال رابح ارى ان تجعلها فىالاقربين فقال ابوطلحةافعل يارسولالله فقسمها ابو طلحة فىاقاربه وبنى عمه قوله بخ بخ هى كلمة تقالعندالمدح والرضاوتكريرهاللمبالغة وهى مبنية علىالسكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح اى ذوربح وفى الروايةالاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعهوثوابه وبيرحااسم موضعبالمدينة وهو حائط كان لابى طلحة وروى عن ناهد قال كتب عمربنالخطاب ابىموسىالاشعرى ان يبتاعله جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمرانالله عزوجل يقول لن تنالواالبر حتى تنفقوا مماتحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبدالله بن عمر ان عبدالله بن عمر رضىالله عنهما خطرت على قلبه هذهالآية لن تنالواالبر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبدالله فذكرت مااعطانىالله تعالى فمن كان شئ احب الى من فلانة فقلتهى حرة لوجهالله تعالى قال ولولا انى لااعود فىشئ جعلتهلله لنكحتها وعن عمروبن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالواالبر حتى تنفقوا مماتحبون جاءزيدبنحارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبهاالى رسولالله صلىالله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يارسولالله فاعطاها رسولالله صلىاللهعليهوسلم اسامة ابن زيدبن حارثة فقال يارسولالله انما اردت ان اتصدق بهـافقال رسولالله صلىالله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفىرواية كأن زيدا وجد فىنفسهلمارأىذلك منهالنبىصلىاللهعليه وسلم قال اما انالله قدر قبلها وروى ان اباذر نزل به ضيف فقال للراعى ائتنى بخيرا بلى فجاء بناقة مهزولة فقال للراعى خنتنى فقال الراعى وجدت خيرالابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم اوضع فىحفرتى وقوله تعالى (وما تنفقوا من شئ) يعنى من اى شئ كان من طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه (فانالله به عليم) اى يعلمه ويجازيكم به ❁ قولهعزوجل (كلالطعام كانحلالابنىاسرائيلالاما حرم اسرائيلعلىنفسه من قبل ان تنزلالتوراة) سبب نزول هذهالآية ان اليهود قالوا للنبىصلىالله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكانابراهيم لايأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكلذلك كله فلست على ملته فقالالنبى صلىاللهعليه وسلمكان ذلكحلالا لابراهيم قالواكلماتحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزلالله عزوجل كلالطعام كان حلالا لبنى اسرائيل الاماحرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبلان تنزل التوراة

السكينة والطمأنينة عليه والتقوى فى مخالفة امر الحق والميل الى النفع والغنيمة وخوف تلف النفس لاتكون الا عند انكسار النفس تحت قهر سلطان القلب والروح اذ الثبات والوقار صفه الروحوالطيشوالاضطراب صفة النفس فاذا استولى سلطان الروح على القلب واخذ مملكته عصمه من استيلاء صفات النفس وجنودها عليه فيشفقه القلبويسكناليهلنورانيته المحبوبة لذاتها ويتقوى به على النفس وقواها فيهزمها ويكسرها ويدفع غلبتها وظلمتها عن نفسه ويجعلها ذلولا مطيعة مطمئنة اليه فيزول عنها الاضطراب وتتنور بنوره وعند ذلك تنزل الرحمة ويناسب القلب ملكوت السماء فىنورانيتها وقهرها لما تحتها ومحبتها وشوقها لمافوقها وبذلك التناسب يصل بها ويستنزل قواها واوصافهافىافعالهخصوصا عنداهتياجه وانقلاعه عن الجهة السفلية وانقطاعه بقوة اليقين والتوكل الى الجهة العلوية ويستمد من

يعنى ليس الامر على ماتدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ماليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز ولهذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف مافى التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس فى التوراة علم ان الذى اخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل انواع الطعام اوسائر المطعومات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرئيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يااباالقاسم اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هى العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان اصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفى رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يايعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لوشئت ان اصرعك فعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى ماقال له الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى آخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فى صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فيهاج به عرق النسا ولقى منه شدة فكان لاينام الليل من الوجع ويبيت وله زغاء اى صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لايأكل عرقا ولاطعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون

قوى قهرها على من يغضب عليه فذلك نزول الملائكة واذا جزع وهلع وتغير وخاف اومال الى الدنيا غلبة النفس وقهرته واستولت عليه وحجبته بظلمة صفاتها عن النور فلم تبق تلك المناسبة فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة (وما جعله الله الا بشرى لكم) اى ماجعل الامداد بالملائكة الا لتستبشروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم فى التوجه الى الحق والتجريد للسلوك (ولتطمئن قلوبكم) فتحقق الفيض بقدر التصفية والخلف بقدر الترك (وما النصر الا من عند الله) لا من الملائكة ولا من غيرهم فلا تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة ولا بالخلق عن الحق فانها مظاهر لاحقيقة لها ولاتأثير (العزيز) القوى الغالب بقهره (الحكيم) الذى ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بحكمته (ليقطع طرفا من الذين كفروا) يقتل بعضهم تقوية للمؤمنين (او يكبتهم) يخزيهم ويذلهم بالهزيمة اعزازا للمؤمنين (فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم) بالاسلام تكثيرا

العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء ان يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل ثم استثنى ماحرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما على بنى اسرائيل اماقوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام حلالا لبنى اسرائيل على نفسه امابعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا فى حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التوراة فقال الذى حرم الله عليهم فى التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافانى الله تعالى لايأكله ولدى ولم يكن ذلك محرما عليهم فى التوراة وقال الكلبى لم يحرمه الله فى التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله فى التوراة وانما حرموا على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعنى قل لهم يامحمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) اى فاقروها ومافيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فرى الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له الوجود (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فاولئك هم الظالمون) اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعى عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التى كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعنى قل صدق الله يامحمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله فى قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بنى اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله فى ان سائر الاطعمة كانت محللة على بنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يامعشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى اتبعوا مايدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) اى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه ❁ قوله عز وجل (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون

لسواد المؤمنين (او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) بسبب ظلمهم واصرارهم على الكفر تفريحا للمؤمنين واوقع بين المعطوف والمعطوف عليه فى اثناء الكلام قوله ليس لك من الامر شئ اعتراضا لئلا يغفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى لنفسه تأثيرا فى بعض هذه الامور فيحجب عن التوحيد ولا يزول ونظير شهوده فى الاقسام كلها اى ليس لك من امرهم شئ كيفما كان انت الا بشر مأمور بالانذار ان عليك الا البلاغ انما امرهم الى الله (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اى توكلوا على الله فى طلب الرزق فلا تكسبوه بالربا فانه عليكم كما يجب عليكم التوكل لهم فى طلب الفتح وجهاد العدو لئلا تجبنوا بكلاءة الله وحفظه واعلموا ان جزاء المرابى هو جزاء الكافر

بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم اكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليتفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شيء آخر اولم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج والطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الاقصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا مص كل مافيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها اولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروى عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس هو اول بيت بناه آدم في الارض قيل ان آدم لما اهبط الارض استوحش وشكا الوحشة فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فأمره ببنائه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا

فاحذروه لكونه محجوبا عن افعاله تعالى كما ان الكافر محجوب عن صفاته وذاته والمحجوب غير قابل للرحمة وان اتسعت فارفعوا الحجاب بالطاعة وترك المخالفة كي تدرككم رحمة الله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) ستر افعالكم التي هي حجابكم عن مشاهدة افعال الحق بافعاله تعالى فانما حرمتم عن التوكل وجنة عالم الملك التي هي تجلي الافعال برؤية افعالكم اي الى مايوجب ستر افعالكم بافعاله وجنة الافعال من الطاعات بعدكم وردا عوذ بعفوك من عقابك ولان المراد بالجنة ههنا جنة الافعال وصف عرضها بمساواة عرض السموات والارض اذ توحيد الافعال هو توحيد عالم الملك وانما قدر طولها لان الافعال باعتبار السلسلة العرضية وهي توقف كل فعل على فعل آخر تنحصر في عالم الملك الذي يقدره الناس واما باعتبار الطول فلا تنحصر فيه ولا يقدرها اذ تتعلل مظاهر الوصف والوصف مظهر الذات فلا نهاية له ولا حدة فالمحجوبون عن الذات والصفات

ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى ان رجلا قام الى على بن ابى طالب فقال الا تخبرنى عن البيت اهو اول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته * قوله تعالى (فيه آيات بينات) اى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا تطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابرهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت * قوله تعالى (مقام ابرهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق

رون الاعراض هذه الجنة واما البارزون لله الواحد القهار فعرض جنتهم عين طولها ولا حد لطولها فلا يقدر قدرها طولا ولا عرضا (اعدت للمتقين) الذين يتقون حجب افعالهم وشرك نسبة الافعال الى غير الحق (الذين ينفقون فى السراء والضراء) لا تمنعهم الاحوال المتضادة عن الانفاق لصحة توكلهم على الله برؤية جميع الافعال منه (والكاظمين الغيظ) لذلك ايضا اذ يرون الجناية عليهم فعل الله فلا يعترضون ولو لم يغيظوا لكانوا فى مقام الرضا وجنة الصفات (والعافين عن الناس) لما ذكرنا ولتعوذهم بعفوه تعالى عن عقابه (والله يحب المحسنين) الذين يشاهدون تجليات افعاله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة) كبيرة من الكبائر وبرؤية افعالهم صادرة عن قدرتهم (او ظلموا انفسهم) نقصوا حقوقها بارتكاب الصغائر وظهور انفسهم فيها (ذكروا الله) فى صدور افعالهم برؤيتها واقعة بقدرة الله وتبرأوا منها اليه لرؤيتهم ابتلاء

عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على انه لو قتل فى الحرم اوسرق اوزنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك ❊ قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) اى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

﴿ فصل ﴾ فى فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان النبى عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل فى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذى وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من

اياهم بها (فاستغفروا لذنوبهم) طلبوا ستر افعالهم التى هى ذنوبهم بأفعاله بالتبرى عن الحول والقوة اليه (ومن يغفر الذنوب) اى وجودات الافعال (الا الله) اى علموا ان لا فاعل الا هو (ولم يصروا على ما فعلوا) فى غفلتهم وحالة ظهور انفسهم بل تابوا ورجعوا اليه فى افعالهم (وهم يعلمون) ان لا فعل الا لله (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) بمقتضى توحيد الافعال (قد خلت من قبلكم سنن) بطشات ووقائع بما سه الله فى افعاله بالذين كذبوا بالانبياء فى توحيد الافعال (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فى آثارها فتعلموا كيف كان عاقبتهم (هذا) الذى ذكر (بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) من علم توحيد الافعال وتفصيل المتقين الذين هم اهل التكين فى ذلك والتائبين الذين هم اهل التلوين والمصرين

مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا
وقال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذى هذا حديث غريب

﴿ فصل ﴾ فى احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام
والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر
ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او
حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط
الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض
حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والآخر ان يكون مستطيعا
بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر فى الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس
بمتصل وانما المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله
عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر
واختلف العلماء فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا
ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثنى من ظاهر الآية
بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال
وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه
بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة
ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة
كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال
الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج
فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على
من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا
ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد
ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان
عليه ووجد رفقة يخرجون فى وقت جرت العادة بخروج اهل البلد فى ذلك الوقت فان خرجوا
قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم
ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر اورصدى يطلب
الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده
من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة
وهو قادر على المشى اولم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان
الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك

المحجوبين عنه المكذبين
به وزيادة هدى وكشف
عيان وتثبت واتعاظ للذين
اتقوا رؤية اعمالهم او
هدى لهم الى توحيد
الصفات والذات (ولا تهنوا)
فى الجهاد عند استيلاء
الكفار (ولا تحزنوا)
على ما فاتكم من الفتح
وما جرح واستشهد من
اخوانكم (وانتم الاعلون)
فى الرتبة لقربكم من الله
وعلو درجتكم بكونكم
اهل الله (ان كنتم مؤمنين)
موحدين لان الموحد يرى
ما يجرى عليه من البلاء
من الله فاقل درجاته
الصبر ان لم يكن رضا
يتقوى به فلا يحزن ولا يهن
(ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك
الأيام نداولها بين الناس
وليعلم الله الذين آمنوا)
الوقائع وكل ما يحدث من
الامور العظيمة يسمى يوما
واياما كما قال تعالى وذكرهم
بأيام الله وقد مر تفسير
ليعلم الله من ظهور العلم
التفصيلى التابع لوقوع
المعلوم (ويتخذ منكم
شهداء) الذين يشهدون
الحق فيذهلون عن انفسهم
اى نداول الوقائع بين

واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ماروى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين * قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين * قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل مالا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء (وانتم شهداء) قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله

الناس لامور شتى وحكم كثيرة غير مذكورة من خروج ما في استعدادهم الى الفعل من الصبر والجلد وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها وقمعها وغير ذلك ولهذين العلتين المذكورتين ولتخليص المؤمنين من الذنوب والغواشي التي تبعدهم من الله بالعقوبة والبلية اذا كانت عليهم ومحق الكافرين وقهرهم وتدميرهم اذا كانت لهم وقد اعترض بين العلل قول (والله لا يحب الظالمين) ليعلم ان من ليس على صفة الايمان والشهادة وتمحيص الذنوب وقوة الثبات لكمال اليقين بل حضر القتال لطلب الغنيمة او لغرض آخر فهو ظالم والله لا يحبه (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) كل موقن اذا لم يكن يقينه ملكة بل كان خطرات فهو في بعض احواله يتمنى امورا ويدعي

والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعنى شاسا اليهودى واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك فى الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفى الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهى القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة فى هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبى الله صلى الله عليه وسلم اما نبى الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى وقوله (ومن يعتصم بالله) اى يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع فى آفة وفيه حث لهم فى الالتجاء الى الله تعالى فى دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة * قوله عز وجل

احوالا بحسب نفسه دائما وكذلك حال غير اليقين وعند اقبال القلب هو صادق ما دام موصوفا بحاله اما فى غير تلك الحالة وعند الادبار فلا يبقى من ذلك اثر وكذا كل من لم يشاهد حالا ولم يمارسه ربما ادعاه لتصوره فى نفسه وعدم تضرره به حال التصور اما فى حال وقوعه وابتلائه فلا يطيق تحمل شدائده كما حكى عن سمنون المحب رحمه الله لما قال فى ابياته * فكيفما شئت فاختبرنى * فابتلى بالاسر فلم يطق فكان يتردد فى الطريق ويرضخ الى الصبيان ما يلعبون به كالجوز ويقول ادعوا على عمكم الكذاب وفى هذا المعنى قال الشاعر

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزالا

فلا يلتفت بحال الا اذا صار مقاما ولا يعتبر مقاما الا اذا امتحن فى مواطنه فاذا خلص من الامتحان فقد صح وهذا احد فوائد مداولة الايام بينهم ليتمرنوا بالموت ويتقوى يقينهم ويتوفر صبرهم ويتحقق

(ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة
في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم
رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة
بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت افلح حمي الدبر ومنا سعد
بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة
احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب
الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج
ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية ياايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط
ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم من انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق
تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر
من هذه الآية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية
شق ذلك على المسلمين وقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله
تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن
زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس
وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتي
العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال
ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق
تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب
ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى
هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك
الحال مرفوع عنه كذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما انعم الله به عليه
بالبال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء
والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) لفظ النهي واقع على
الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على اسلام فاذا ورد عليكم الموت
صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت
لابد منه فمتى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا
اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل
معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم
فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا

(بحبل)

مقامهم بالمشاهدة كما قال
(فقد رأيتموه) من قتل
اخوانكم بين ايديكم
(وانتم تنظرون) تشاهدون
ذلك وفيه توبيخ لهم على
ان يقينهم كان حالا لا مقاما
ففشلوا في المواطن (وما
محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افائن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم)
اي انه رسول بشر سيموت
او يقتل كما الانبياء
قبله فمن كان على يقين من
دينه فبصيرة من ربه لا يرتد
بموت الرسول وقتله ولا
يفتر عما كان عليه لانه يجاهد
لربه لا للرسول كأصحاب
الانبياء السالفين وكما قال
انس عم انس بن مالك
يوم احد حين ارجف بقتل
رسول الله عليه السلام
وشاع الخبر وانهزم المسلمون
وبلغ اليه تقاول بعضهم ليت
فلانا يأخذ امانا من ابي
سفيان وقول المنافقين لو
كان نبيا ما قتل ياقوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد حي
لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله فقاتلوا على
ما قاتل عليه وموتوا على ما
مات عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقول هؤلاء
وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء

بحبل الله جميعا) اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان
حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه
فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل
حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا وانى تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان
على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره
البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى امر به وان
ماتكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته
(ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية
متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا مايكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق
والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب
النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى
البغوى بسنده عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا يرضى
لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم
ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من اهل
الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك
العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت آخى بنى عمرو بن عوف وكان شريفا
يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له الى حين سمع به ودعاه الى الله عزوجل والى الاسلام
فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى
معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها
عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعى افضل من هذا قرآن انزله الله عزوجل على نورا وهدى
فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث
ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيس انس بن رافع ومعه فتية
من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فسمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له
قالوا وما هو قال انا رسول الله قد بعثنى الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيأ
وانزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اى

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل
(ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيأ) انما اضر نفسه
بنفاقه وضعف يقينه
(وسيجزى الله الشاكرين)
لنعمة الاسلام كأنس ابن
النضر واضرابه من الموقنين
(وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا)
فان كان موقنا شاهد هذا
المعنى وكان من اشجع الناس
كما حكى حاتم بن الاصم عن
نفسه انه شهد مع الشقيق
البلخى رحمهما الله بعض
غزوات خراسان قال فلقينى
شقيق وقد حمى الحرب فقال
كيف تجد قلبك ياحاتم قلت
كما كان ليلة الزفاف بين
الحالين فوضع سلاحه وقال
اما انا فهكذا ووضع رأسه
على ترسه ونام بين المعركة
حتى سمعت غطيطه وهذا غاية
فى سكون القلب الى الله
ووثوقه بقوة اليقين (ومن
يرد ثواب الدنيا نؤته
منها ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزى
الشاكرين وكأين من
نبى قاتل معه ربيون كثير
فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين وما
كان قولهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى
امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا

قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عزوجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عزوجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبدالقيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبه وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهو العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لايشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عزوجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفهمهم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد ابن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبدالاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما

على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولىكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) جعل القاء الرعب فى قلوب الكفار مسببا عن شركهم لان الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات فى قوى النفس من وقوع ظل الوحدة عليها عند تنورها بنور القلب المنور بنور الوحدة فلا تكون تامة حقيقة الا للموحد الموقن فى توحيده واما المشرك فلانه محجوب عن منبع القوة والقدرة بما اشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم لامكانه الخفى الوجود الضعيف الذى لم يكن له بحسب نفسه قوة ولا وجود ولاذات فى الحقيقة ولم ينزل الله بوجوده حجة لوجوده اصلا لتحقق عدمه بحسب ذاته فليس له الا العجز والجبن وجميع

جالسان فى الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى انفسكما حاجة قال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال مااحسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين فالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارايت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله مااراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليه متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بمانكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين مالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى داربنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ماكان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم ابوقيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهو بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابوجابر اخبرناه وكنا

الرذائل اذلا يكون اقوى من معبوده وان اتفقت له دولة اوصولة اوشوكة فشئ لا اصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلا كانت دولة المشركين (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) اى وعدكم النصران تصبروا وتتقوا فما دمتم على حالكم من قوة الصبر على الجهاد

نكثم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعونا الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسما بنت عمر وبن عدى ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يامعشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ماقلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك ماشئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناهما كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم والهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يامعشر الخزرج هل ترون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت ماسمعته قط يااهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول

وتيقن النصر والثبات على اليقين واتفاق الكلمة بالتوجه الى الحق والاتقاء عن مخالفة الرسول وميل النفوس الى زخرف الدنيا والاعراض عن الحق مجاهدين لله لا للدنيا كان الله معكم بالنصر وانجاز الوعد وكنتم تقطعونهم باذنه وتهزمونهم (حتى اذا فشلتم) اى جبنتم بدخول

الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق
لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا
الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى
جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا
وتبايعونه على حربنا وانه والله ماحى من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال
فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ماكان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به
وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان
جديدتان قال فقلت له كلمة كانى اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوه ابا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت
سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما
الى قال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا اردهما
قال والله يا ابا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا
العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فامرهم
بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد
المخزومى ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل
المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز
وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم اعداء يعنى قبل
الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يامعشر
الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم
وبين الوقوع فى النار الا ان تموتوا على كفركم (فانقذكم منها) اى فخلصكم بالايمان من الوقوع
فى النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام فى قوله ولتكن لام الامر اى لتكن منكم امة دعاة
الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اما بيده او بلسانه
او بقلبه (م) عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى
هذا يكون معنى الآية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول
يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين
وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
لعجز او ضعف فحسن ادخال لفظة من فى قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر

الضعف فى يقينكم وفساد
اعتقادكم فى حق نفسه
بتجويز غلوله فى الغنيمة
(وتنازعتم) فى امر الحرب
بعد الاتفاق وما صبرتم
عن حظ الدنيا وعصيتم
الرسول بترك ما امركم
به من ملازمة المركز
وملتم الى زخرف الدنيا
(فى الامر وعصيتم من
بعدما اراكم ماتحبون)

بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذى فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب فى فعل ما ينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك ما لا ينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (واولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعنى ولا تكونوا يامعشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فى قول اكثر المفسرين واختلفوا فى دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا فى دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع فى هذه الآية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا او يختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السماء وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدى وقال ان بارضى منهم كثيرا وفى رواية ثم قرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن ابى غالب قال رأى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابى امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الامرة اومرتين او ثلاث مرات اواربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن ۞ وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعنى الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل فى التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (واولئك لهم عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم فى الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله ان الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها البهم الواحد من العرا ربقة وروى البغوى بسنده عن

من الفتح والغنيمة وحان زمان شكركم لله وشدة اقبالكم عليه فذهلتم عنه فكان اشرفكم يريد الآخرة والباقون يريدون الدنيا ولم يبق فيكم من يريد الله منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) بما فعلتم

عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد ❁ قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفى بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ماقدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ماقدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب يعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجود وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن ابى ابن كعب انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهم اهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لانالهم اختلجوا دونى فاقول اى رب اصحابى فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب اصحابى اصحابى فيقال لى لاتدرى مااحدثوا بعدك زاد فى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى اوقال من امتى فيحلون عن الحوض فاقول يارب اصحابى فيقول انه لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على على بن

فكان الابتلاء لطفا بكم وفضلا (والله ذوا فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم) فى الاحوال كلها اما بالنصرة واما بالابتلاء فان الابتلاء فضل ولطف خفى اعلموا ان احوال العباد جالبة لظهور اوصاف الحق عليهم فما

ابى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على ايها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فايؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فايعود اليهم حتى يعمل عملا استوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة * وقوله تعالى (واما الذين ابيضت وجوههم) يعنى المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففى رحمة الله) يعنى ففى جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لايدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة فى لان فى كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم فى رحمة الله وانهم فى الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعنى القرآن وقيل هذه الآيات التى تقدمت (نتلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى لايعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة فى قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبرانهم وانما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لايظلم احدا من خلقه (ولله مافى السموات ومافى الارض) لما ذكر الله انه لايريد ظلما للعالمين لانه لاحاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا اوعزا او سلطانا اويتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له مافى السموات ومافى الارض وان جميع مافيهما ملكه واهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفى قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعنى واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصى فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم * قوله عز وجل (كنتم خير امة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم

اعدواله نفوسهم موهوب لهم من عند الله كما مر فى قوله مطيع من اطاعنى كما يكونون مع الله يكون الله معهم ولئلا ينساموا الى الاحوال دون المسالكات وليتزنوا بالصبر على الشدائد والثبات فى المواطن ويتمكنوا فى اليقين ويجعلوه ملكاتهم ومقاما ويتحققوا ان الله لايغير

ودينا خير من دينكم الذى تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف فى لفظة كان فقيل هى بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهى عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم فى علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين فى الامم الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم فى اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم منذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم فى دنياكم خير امة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم اى صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس فى قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال انتم فكنا كلنا ولكن فى خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرنى يعنى اصحابى والقرن اهل كل زمان مأخوذ من الاقتران وكأنه الزمان الذى يقترن فيه اهل ذلك الزمان فى اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام فى حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع

ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولا يميلوا الى الدنيا وزخرفها ولا يذهلوا عن الحق ولا يبيعوه بالدنيا والآخرة وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنوبهم وينالوا درجة الشهادة برفع الحجب خصوصا حجاب محبة النفس فيلقوا الله طاهرين ولهذا قال ولقد عفا عنكم اذ الابتلاء.

امتى اوقال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار اخرجه الترمذى عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتى امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتى كمثل المطر لايدرى آخره خير ام اوله اخرجه الترمذى وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا انهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابى بكر مناكير عن سالم بن عبدالله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا اوسبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل من امتى الجنة سبعون الفا لاحساب عليهم ولاعذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى اخرجه الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى * وقوله تعالى (اخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت (خ) عن ابى هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى اعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لااله الاالله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) اى وتصدقون بالله وتخلصونه له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر فى هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط فى هذا الحكم لانه مالم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا

كان سبب العفو (فأثابكم غما بغم) اى صرفكم عنهم فجازاكم غما بسبب غم لحق رسول الله من جهتكم بعصيانكم اياه وفشلكم وتنازعكم او غما بعد غم اى غما مضاعفا لتتمرنوا بالصبر على الشدائد والثبات فيها وتتعودوا رؤية الغلبة والظفر والغنيمة وجميع الاشياء من الله لامن انفسكم فلا (لكى لا تحزنوا على ما

السبب حسن تقدم ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ذكر الايمان * وقوله تعالى (ولو آمن اهل الكتاب) يعنى ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذى جاء به (لكان خيرا لهم) يعنى مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة فى الدنيا والثواب العظيم فى الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعنى من اهل الكتاب (المؤمنون) يعنى عبدالله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشى واصحابه الذين اسلموا من النصارى (واكثرهم الفاسقون) اى المتمردون فى الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا فى دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا اذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعنى لن يضركم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعنى باللسان من طعنهم فى دينكم او تهديد او القاء شبهة وتشكيك فى القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعنى منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعنى لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعنى جعلت الذلة ملصقة بهم كالشئ يضرب على الشئ فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لاترى فى اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون فى جميع البلاد (اينما ثقفوا) اى حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعنى الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعنى المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لاعز لهم الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعنى رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا فى غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعنى كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون فى المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هى الجزية وذلك لان الله تعالى اخرج المسكنة من الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقى عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هى الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودى يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب اى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك الذى نزل بهم بسبب عصيانهم الله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم مانزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما اسلم عبدالله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ماتركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفى قوله ليسوا سواء قولان

فاتكم) من الحظوظ والمنافع (ولاما اصابكم والله خبير بما تعملون) من الغموم والمضار (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة) خلى عنكم الغم بالامن والقاء النعاس على الطائفة الصادقين دون المنافقين الذين (قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل

احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لايستوى اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه * وقوله (من اهل الكتاب امة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال ابو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى امرؤلها * مطيع فلا ادرى ارشد طلابها

اراد ان غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لاحاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلاحاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اى مهدية قائمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) اى يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لاتكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لايصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابوقيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ماكانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير مايصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لايحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفته محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) اى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (واولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) اى من جملة الصالحين الذين صلحت

لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم) لانفس الرسول ولا الذين وافقوا علامة للعفو (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) لقوله مااصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا

احوالهم عندالله عزوجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يراد بالصالحون المسلمون والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين * قوله عزوجل (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبدالله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فاخبر الله تعالى انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن تكفروه اى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى * قوله عزوجل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) قال ابن عباس يريد بنى قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عزوجل لن تغنى عنهم اموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش فان اباجهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابوسفيان مالا كثيرا فى يومى بدر واحد على المشركين وقيل ان الآية عامة فى جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى اى تدفع عنهم اموالهم بالفدية او افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولا يخلص له من عذاب الله وهو قوله (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عزوجل (مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) قيل اراد نفقة ابى سفيان واصحابه ببدر واحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل اراد نفقة المرائى الذى لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لا يريد بما انفق وجه الله تعالى فانه لا ينتفع بنفقته فى الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والقصور منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة او حر فهى مهلكة ايضا (اصابت) يعنى الريح التى فيها صر (حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى

فى كتاب من قبل ان نبراها (وليبتلى الله ما فى صدوركم) اى وليمتحن ما فى استعدادكم من الصدق والاخلاص واليقين والصبر والتوكل والتجرد وجميع الاخلاق والمقامات ويخرجها من القوة الى الفعل (وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) اى وليخلص ما برز منها من مكمن الصدر

ومنع حق الله فيه (فاهلكته) يعنى فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية. مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته اونار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض تشبيه ماانفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ماحصلت فيه المشابهة بين ماهو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ماحصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر فى اهلاك ماينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ماينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ماينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن انفسهم يظلمون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول ان الله ذكر فى سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لاتتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على مالا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لاتتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اى لاتتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لاتتخذوا اولياء ولا اصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مباطنتهم فقال تعالى (لايألونكم خبالا) يعنى لايقصرون ولايتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ماعنتم) اى يودون عنتكم وهو مايشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من افواههم) اى ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المؤمنين (وماتخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (اكبر) اى اعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون)

الى محزن القلب من عثرات وساوس الشيطان ودناءة الاحوال وخواطر النفس فعلى ذلك فان البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه بتصفيتهم عن صفات نفوسهم واظهار مافيهم من الكمالات وانقطاعهم عنده من الخلق ومن النفس الى الحق ولهذا كان متوكلا بالانبياء ثم الاولياء وقال

مابين لكم فتتعظون به * قوله تعالى (هاانتم) هاللتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور (اولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولايحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولايحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لاتعلمون مافى قلوبهم ولايحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولايحبونكم اى لايفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لايؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقوله كثر الدرهم فى ايدى الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) اى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع انملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل مايحصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو يسرونه فى قلوبهم * قوله عزوجل (ان تمسسكم) اى تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل مايصل الى شئ ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اى اصابه (حسنة) المراد بالحسنة ههنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) اى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) اى مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم اوغدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) اى بما اصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله ومالنا لكم فيها من شدة (وتتقوا) اى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا مانهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لايضركم) اى لاينقصكم (كيدهم) اى عداوتهم ومكرهم (شيأ) اى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) اى عالم بجميع ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم بانا الفضله ماأوذى نبى مثل ماأوذيت كانه قال ماصفى نبى مثل ماصفيت ولقد احسن من قال
لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار *
اذلا يظهر على كل منهم الاما فى مكمن استعداده كما قيل عند الامتحان يكرم الرجل او يهان (ان الذين تولوا منكم

حافظ لايعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين انهذا كان فى يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبدالله بن ابى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله بن ابى واكثر الانصار يارسول الله اقم بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يارسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض اصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولتها هزيمة ورأيت انى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ماصنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ماصلى باصحابه الجمعة وكان قدمات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبدالله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلاتطلبوا المدبرين ولاتخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عبدالله بن ابى ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ماقاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبدالله بن ابى ابن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله

يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان) اى طلب منهم الزلة ودعاهم اليها وهى الزلة التولى (ببعض ماكسبوا) من الذنوب فان الشيطان انما يقدر على وسوسة الناس وانفاذ امره اذا كان له مجال بسبب ادنى غفلة فى القلب حادثة من ذنب وحركة من النفس كما قيل الذنب بعد الذنب

عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى
المؤمنون انهزام المشركين طمعوا فى ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله
من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله
وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين
فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من اصحابه منهم ابوبكر وعلى
والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان
من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك اى واذكر اذ غدوت من اهلك
يعنى من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضى الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على
انها من اهله تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواضع ومواطن للقتال وقيل
تتخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعنى لاقوالكم (عليم) يعنى بنياتكم وما فى ضمائركم * قوله
عزوجل (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) اى تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف
رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبدالله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبدالله بن ابى
لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبدالله بن ابى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا (والله وليهما)
اى ناصرهما وحافظهما ومتولى امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشئ
والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف
مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس هنا اولى
والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله
لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق)
عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموا بها ما اخرجتهم من ولاية الله
تعالى * وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا
اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض
الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا
امرهم الا اليه * قوله عزوجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة
معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين
منته عليهم بالنصر يوم بدر (وانتم اذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين

الاول (ولقد عفا الله عنهم) بالاعتذار والندم (ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اى يجعل ذلك القول والاعتقاد ضيقا

كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح
والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر
منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم
من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة
فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقواكم ما انتم به عليكم من نصرته * قوله عز وجل
(اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون
فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر
قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى
ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف كما ذكرهما (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة
آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال
ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم
القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ
كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة آلاف وكانوا قد امدوا بالف
من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله
تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم
حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد
والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثانى ان هذا الوعد
بانزال الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما
كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى
وفتى شاب ينبل له كلما فنى النبل اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما
انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال رأيت
عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
عنه كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان
المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف
ولا بخمسة آلاف كما هنا وايضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منهم وكان
المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من
الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد
المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين
آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر واجيب عن احتجاج

وضنكا وغما فى قلوبهم
لرؤيتهم القتل والموت
مسببا عن فعل ولو كانوا
موقنين موحدين لرأوا
انه من الله فكانوا منشر
حى الصدور (والله يحيى)
من يشاء فى السفر والجهاد
وغيره (ويميت) من يشاء
فى الحضر وغيره (والله
بما تعملون بصير ولئن قتلتم
فى سبيل الله او متم لمغفرة

الاول لهذا القول بان الله تعالى امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة آلاف بان هذا تقريب حسن والله ان يزيد ماشاء في اي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ويتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ههنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن انس رضي الله عنه قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبدالله بن ابي اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال او ضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة في الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال واما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولا ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر ان ينصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مددا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما

من الله ورحمة) اي لنعيمكم الاخروي من جنة الافعال وجنة الصفات خير لكم من الدنيوي لكونكم عاملين للآخرة و (خير مما يجمعون ولئن متم اوقتلتم لالى الله تحشرون) لكان توحيدكم فحالكم بما بعد الموت احسن من حالكم قبله (فبما رحمة من الله) اي فبما تعاملك رحمة

بدالن يعنى يكفكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اى على لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجئ المشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الف وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم اراشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم اراشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم اراشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى الفين من الملائكه وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف فى سورة الانفال وذكرهنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفونى اننى اناذلكم * شاكى سلاح فى الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا فى تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبى كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعنى بالصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوى بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال * قوله تعالى (وماجعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الابشرى لكم) يعنى بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) اى ولتسكن (قلوبكم به) اى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الامن عندالله) يعنى لاتحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عندالله لامن عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لاعلى الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض

رحيمية اى رحمة تامة كاملة وافرة هى صفة من جملة صفات الله تابعة لوجودك الموهوب الالهى لا الوجود البشرى (لنت لهم ولوكنت فظا) موصوفا بصفات النفس التى منها الفظاظة والغلظ (غليظ القلب لانفضوا من حولك) لان الرحمة الالهية الموجبة لمحبتهم اياك تجمعهم (فاعف

(عن)

من الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كال القدرة والقوة والحكم وهو كال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اى ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (او يكبتهم) اصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة اوالاهلاك اواللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) اى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى املوه من الظفر بكم ❊قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امر مصالح عبادى شئ الا ما اوحى اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا اويهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك

عنهم) فيما يتعلق بك من جناياتهم لرؤيتك اياه من الله بنظر التوحيد وعلو مقامك من التأذى بفعل البشر والغيظ من افعالهم وتشفى الغيظ بالانتقام منهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحق الله لمكان غفلتهم وندامتهم واعتذارهم (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله

مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم
وقيل معناه ليس لك من امر خلق شئ الا ماوافق امرى انما انت عبد مبعوث لانذارهم
ومجاهدتهم وقيل ان قوله اويتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس
لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين
كفروا اويكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى فى ذلك
كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم
من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم اويولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل
هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك
هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وماسبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من
بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله اويعذبهم فيحتمل ان يكون
المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو
كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض)
هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له ما فى السموات وما فى
الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب
من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لامارع له فى حكمه ولامعارض له فى فعله (والله غفور رحيم)
يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على
سبيل التفضل والاحسان الى عباده لاعلى سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لوادخل جميع
خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولوادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة
والرحمة غالب * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) اراد
به ماكانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل
فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون مايؤدى قال له
صاحب الدين زدنى فى المال حتى اريدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين
اضعافا مضاعفة فنهى الله عزوجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله)
يعنى فى اكل الربا فلاتأكلوه (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح
يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر
ولهذا عقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) يعنى واتقوا ايها المؤمنون
ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار
بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ماحرم الله عليهم من الربا وغيره مما
اوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية
لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون
المؤمنين (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به اونهاكم عنه من اكل الربا وغيره (والرسول)
اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين

ان الله يحب المتوكلين) فى امر الحرب وغيره مراعاة لهم واحتراما ولكن اذا عزمت ففوض الامر الى الله بالتوكل عليه ورؤية جميع الافعال والفتح والنصر والعلم بالاصلح والارشد منه لامنك ولا تشاوره ثم حقق معنى التوكل والتوحيد فى الافعال بقوله (ان ينصركم

عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولاتعذبوا انه المعتمد الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى مايوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لايحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ماقبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) اى عرض الجنة (السموات والارض) كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون اكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلايعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وماضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه فقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب ارأيتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان لمثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى ان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون واراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء هى ام فى الارض فقال اى ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه

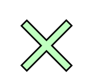
الله «الا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وماكان لنبى ان يغل) لبعد مقام النبوة وعصمة الانبياء عن جميع الرذائل وامتناع صدور ذلك منهم مع كونهم منسلخين عن صفات البشرية معصومين عن تأثير دواعى النفس

وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات
السبع وان جهنم تحت الارضين ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض
(اعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل
(الذين ينفقون في السراء والضراء) يعني في العسر واليسر لايتركون الانفاق في كلتا الحالتين
في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد
منهم في عرس اوحبس فانهم لايدعون الاحسان الى الناس فاول ماذكر الله من اخلاقهم
الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت
اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى
احب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذى (ق) عن ابي هريرة انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما
الى تراقيهما فاما المنفق فلاينفق الاسبغت اووفت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو اثره واما
البخيل فلايريد ان ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلاتتسع الجنة الدرع من
الحديد (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه
الاملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا
(ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق)
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة
كل خزنة باب اى فل هلم فقال ابوبكر يارسول الله ذاك الذى لاتوى عليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انى لارجوان تكون منهم قوله اى فل يعني يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك
يعني ذاك الذى لاهلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء
نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده في جوفه
ولايظهره بقول ولافعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء
ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس
الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله
تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اى الحور شاء اخرجه الترمذى وابو داود
(ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله
درالتقوى ماتركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعني اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه
فتكون الآية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك السوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص
وقيل يعفون ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل
ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون اشارة الى المذكورين في الآية
والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرعنه وقيل الاحسان ان تحسن

والشيطان فيهم قائمين بالله متصفين بصفاته (ومن يغلل يأت بماغل) كن باء بسخط من الله اى يظهر على صورة غلوله بما غل بعينه (افمن اتبع رضوان الله) اى النبي في مقام الرضوان التى هى جنة الصفات لاتصافه بصفات الله والغال في مقام السخط لاحتجابه بصفات نفسه

لمن اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب ۞ قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفى رواية ابى صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصارى والآخر ثقفى فخرج الثقفى فى غزوة واستخلف اخاه الانصارى على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا كثر الله فى الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فاتى به الى ابى بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (اوظلموا انفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة مايكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو اى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب ۞ وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لايعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لاذنب له وانه لامفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لايطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لايجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على مافعلوا) يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا قيل الاصرار وهو ترك الاستغفار ۞ عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين

(ومأواه جهنم وبئس المصير) اسفل حضيض النفس المظلمة فهل يتشابها (هم درجات) اى كل م[illegible] اهل الرضا واهل السخ[illegible] ذوو درجات متفاوتة[illegible] اذهم مختلفون اختلاف[illegible] الدرجات (قل هو م[illegible] عند انفسكم) لاينا فى قول[illegible] قل كل من عند الله لا[illegible] السبب الفاعل فى الحي[illegible]





المسلون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) اى اذا كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد (فقد مس القوم) يعنى الكفار (قرح مثله) يعنى في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات ثم قال افى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك مايسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان * ان لنا العزى ولا عزى لكم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفى حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون

وبذل النفس طلبا لرضاء الله او بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة (امواتا بل احياء عند ربهم) بالحياة الحقيقية مجردين عن دنس الطبائع مقربين في حضرة القدس (يرزقون) من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واستشراق الانوار ويرزقون في الجنة الصورية

(فكانت)

فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعنى انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعامنهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لايحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعنى وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد وقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لاتشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لايحب الظالمين) يعنى المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لايحب من لايكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) اى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص فى اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) اى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستئصالهم * قوله عز وجل (ام حسبتم) اى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لاتحسبوا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد منكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذا المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به (ويعلم الصابرين) يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين

كما يرزق سائر الاحياء فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل من المعنوية والصورية درجات على حسب الاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها على حسب تفاضل درجات اهل الجبروت والملكوت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها على حسب

قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما اخبرالله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من يشاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد (فقد رايتموه) يعنى رايتم ما كنتم تمنون والهاء فى رايتموه عائدة على الموت اى رايتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس فى عينك علة اى رايته رؤية حقيقية وقيل معناه وانتم تنظرون ماتمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال اهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا اوعلينا لاتبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم قالوا لن نزال غالبين ماثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه ابودجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله

تفاوت درجات عالم الملك من السموات العلى وجنات الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فالطير الخضر اشارة الى الاجرام السماوية

ابن قيئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا
وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى
كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ
قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن
خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة
ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول
قتلنى محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر
لقتلتهم اليس قال لى انا اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما
حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبى الله قالوا
وفشا فى الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله
بن ابى فيأخذ لنا امانا من ابى سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين
ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين
وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يامعشر المسلمين
ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طائفة من
اصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا
اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم
بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض
من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه ومحمد اسم علم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة

والقناديل هى الكواكب اى تعلقت بالسيرات من الاجرام السماوية لنزاهتها وانهار الجنة منابع العلوم ومشارعها وثمارها الاحوال والمعارف والانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية والصورية فان كل ما وجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات

والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * برهانه والله اعلى واجد * اغر عليه بالنبوة خاتم

من الله مشهور يلوح ويشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو آخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) يعني انقلبتم على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد الكافر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جرير عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبار الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى * قوله عز وجل (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) اي بامر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعني من يرد

موجود في الآخرة وفي طبقات السماء الدواصق بها في الدنيا (فرحين بما آتاهم الله من فضله) من الكرامة والنعمة والقرب عند الله (ويستبشرون) بحال اخوانهم (الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) ولم يسالوا درجاتهم بعد من خلفهم لاستسعادهم من قريب بقتلهم ولحوقهم بهم (الا خوف

(بعمله)

بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله * وقوله تعالى (وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبي) اي وكم من نبي (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ماوهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ماروى عن سعيد بن جبير انه قال ماسمعنا ان نبيا قتل في القتال * وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل الف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استذلوا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبدالله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان

عليهم ولاهم يحزنون) بدل اشتمال من الذين اى يستبشرون بانهم آمنوا لا خوف عليهم ولاهم يحزنون (يستبشرون بنعمة من الله) اى امهم نعمة عظيمة لايعلم كنهها هي جنة الصفات بحصول مقام الرضوان المذكورة بعد امهم (وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) وزيادة عليها هي جنة الذات والامن الكلي من بقية الوجود وذلك حال كونهم شهداء الله ومع ذلك فان الله لايضيع اجر ايمانهم الذي هو جنة الافعال وثواب

والمقصود من الآية حكاية ماجرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى فى الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه * ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا فى امرنا) يعنى ما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت اقدامنا) لكى لاتزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لايكون الامن عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنه امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل مافعلوا وقلتم مثل ماقالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنه ومافيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع مايشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل مافعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على اعقابكم) يعنى يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان اباسفيان ومن معه ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ماصنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك

الاعمال (الذين استجابوا لله) بالفناء فى الوحدة الذاتية (والرسول) بالمقام بحق الاستقامة (من بعد ما اصابهم القرح) اى كسر النفس (للذين احسنوا منهم) اى ثبتوا فى مقام المشاهدة (الذين قال لهم الناس) قبل الوصول الى المشاهدة (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) اى اعتبروا لوجودكم واشتدوا بكم فاعتدوا بهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) اى يقينا وتوحيدا بنفى الغير وعدم المبالاة به وتوصلوا بنفى ماسوا الله تعالى اثباته بقولهم

بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما اشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار اى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) اى المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المقام والمعنى وبئس مقام الظالمين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعني بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اى قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز (من بعد ما اراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يا معشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون امر رسول الله

(حسبنا الله) فشاهدوه ثم رجعوا الى تفاصيل الصفات بالاستقامة فقالوا (ونعم الوكيل) وهي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فصارت بردا وسلاما عليه (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) اى رجعوا بالوجود الحقاني في جنة الصفات والذات كما مر آنفا (لم يمسسهم سوء) البقية ورؤية الغير (و) هم

صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك * قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لابد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو مابينه بقوله اذ تصعدون يعنى هاربين فى الجبل وقيل هو ابتداء كلام لاتعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب فى الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه للمفسرين فى معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم فى الجبل عند الهزيمة والثانى انه الابعاد فى الارض فى حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على احد) اى لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم فى اخراكم) اى فى آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر اى رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعنى فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التى نالتهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لايستعمل فى الاغلب الا فى الخير وقد يجوز استعماله فى الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل مايعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه * اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحدرجة هى السياط والباء فى قوله غما بغم بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو مافاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو ماأنالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ماسمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثانى حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان اباسفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك * قوله تعالى (لكيلا) فى لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما انساكم الحزن على مافاتكم ولا ما اصابكم وقد روى

(اتبعوا رضوان الله) الذى هو جنة الصفات فى حال ساوكهم حين لم يعلموا ما اخفى لهم من قرة اعين وهى جنة الذات المشار اليها بقوله (والله ذو فضل عظيم) فان الفضل هو المزيد على الرضوان (انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه) المحجوبين بانفسهم مثله من الناس او يخوفكم اولياءه (فلا تخافوهم) ولا تعتدوا

انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل (ثم انزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذي اصابكم (امنة نعاسا) يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت اراهم وما منهم يومئذ احد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) يعني المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اي كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) اي ما لنا (من الامر من شيء) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة واشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف احب (يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال

بوجودهم (وخافون ان كنتم مؤمنين) موحدين اي لا تخافوا غيري لعدم عينه واثره (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) لحجابهم الاصلي وظلمتهم الذاتية خوف ان يضروك (انهم لن يضروا الله شيئا) املاء الكفار وطول حياتهم سبب لشدة عذابهم وغاية هوانهم وصغارهم لازديادهم بطول عمرهم حجابا على حجاب وبعدا على بعد وكلما ازدادوا بعدا

الحق ماقتلنا ههنا وعن ابن عباس فى قوله تعالى اهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون كنا على الحق يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق والذى قال لوكان لنا من الامر شئ هو معتب ابن قشير (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المنافقين (لوكنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) اى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لاينفع مع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لابد وان يقتلوا والمعنى لوجلستم فى بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله مافى صدوركم) اى وليختبر مافى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ماعلمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى اولياء الله مافى صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشان اوليائه المؤمنين (وليمحص مافى قلوبكم) قال قتادة اى يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر مافى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عزوجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) اى انهزموا وهربوا منكم يامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) اى طلب زلتهم كما يقال استعجله اى طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه امرهم بها (ببعض ماكسبوا) يعنى بمعصية النبى صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا القاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب واناب (حليم) لايعجل بالعقوبة وما يستأصلهم بالقتل * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا فى الارض) يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها (اوكانوا

عن الحق الذى هو منبع العزة ازدادوا هوانا (يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه) من ظاهر الاسلام وتصديق اللسان (حتى يميز الخبيث من الطيب) من صفات النفس وشكوك الوهم

غزا) جمع غازای غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فاتوا اوكانوا غزا فقتلوا (لوكانوا عندنا) يعنى مقيين (ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لوكانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هوالله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البنت فى البيت وهل يحمى احد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ماتعملون من خيراو شرفيجازيكم به فاتقوه ولاتكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم كانوا عندناماماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هوالمحيى المميت فمن قدرله البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدرله الموت لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لاتخرج فتقتل فلأن يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت فى بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم لمغفرة من الله ورحمة) يعنى فى العاقبة (خير مما يجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ماتخافونه من القتل فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان ماتلونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبدالله خوفا من ناره امنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبدالله تعالى شوقا الى جنته اناله مايرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبدالله شوقا الى وجهه الكريم لايريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون * قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى فى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعنى جافيا (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سيء الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) اى لنفروا عنك وتفرقوا حتى لايبقى منهم احد عندك (فاعف عنهم) اى تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد (واستغفر لهم) اى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ماعندهم واختلف العلماء فى المعنى الذى من اجله امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى امر الحرب ونحوه

وحظوظ الشيطان ودواعى الهوى من طيبات صفات القلب كالاخلاص واليقين والمكاشفة ومشاهدات الروح ومناغيات السر ومسامراته وتخلص المعرفة والمحبة لله بالابتلاء ووقوع الفتن والمصائب بينكم (وما كان الله ليطلعكم على) غيب وجودكم من الحقائق والاحوال الكامنة فيكم بلا واسطة الرسول لبعد ما بينكم وبينه وعدم المناسبة وانتفاء استعداد التلقى منه

من امور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان مابه الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت مارأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل مانزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه في شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال على بن ابى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا اوردت كل مهذب * لبيب اخى حزم لترشد فى الامر * ولاتك ممن يستبد برأيه
فتعجز اولاتستريح من الفكر * الم تر ان الله قال لعبده * وشاورهم فى الامر حتما بلانكر *

* قوله تعالى (فاذا عزمت) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله فى امورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شيء الا على الله تعالى فى جميع اموره وان المشاورة لاتنافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه فى جميع امورهم * قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) اى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولاراد لقضائه ولادافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد فى كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لاتعصى الله من اجل رزقك ولاتطلب لنفسك ناصرا غيره ولالعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لايكتوون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يانبى الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا

(ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) فيطلعه على اسراره وحقائقه بالكشف ليديكم الى ماغاب عنكم من كنوز وجودكم واسراره الجنسية النفسانية التى بينه وبينكم الموجبة لامكان اهتدائكم به (فآمنوا بالله ورسله) بالتصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة ليمكنكم التلقى والقبول منهم (وان تؤمنوا) بعد ذلك الايمان

وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لنبى ان يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبى ان يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وماكان لنبى ان يغل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس فى قوله تعالى وماكان لنبى ان يغل يقول ماكان لنبى ان يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجوز فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ماكان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبى استنوابه وقال مقاتل والكلبى نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له وان لاتقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لاتتركوا المركز حتى يأتيكم امرى قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلانقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله تعالى ماكان لنبى ان يغل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظى ومحمد بن اسحق بن يسار هذا فى شأن الوحى يقول وما كان لنبى ان يكتم شيأ من الوحى رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشئ فى خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين اى وماكان لنبى اى يخون لان النبوة والخيانة لايجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلاتليق به الخيانة لانها فى نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخن امته فى شئ لامن الغنائم ولامن الوحى وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبى صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ماكان النبى ليغل على نفى الغلول عن الانبياء وقيل معناه ماكان لنبى الغلول اراد ما غل نبى قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وماكان يحل لنبى الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول فى بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لاتليق به ونفى عنه ذلك بقوله وماكان لنبى ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وماكان لنبى ان يخان اى تخونه امته والثانى ان يكون من الاغلال ومعناه وماكان لنبى ان يخون اى ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بالشئ الذى بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ فى النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتى باثم ماغله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم القيامة

بالتحقيق والسلوك الى اليقين والمتابعة فى الطريقة (وتتقوا) الحجب النفسانية وموانع السلوك (فلكم اجر عظيم) من كشف الحقيقة ماآتاهم الله من فضله من المال والعلم والقدرة والنفس ولاينفقونه فى سبيل الله على المستحقين والمستعدين والانبياء والصديقين فى الذب عنهم

وهو فى جزاء عمله (وهم لايظلمون) يعنى بل يعدل بينهم يوم القيامة فى الجزاء فيجازى كل على عمله

﴿ فصل فى ذكر احاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال ﴾ وقد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشئ فى خفية وانه الخيانة الا انه قد صار فى العرف مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيا قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى يعنى وادى القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بنى الضبيب فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار اوشراكان من نار وفى رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بنى الضبيب وفيه اذجاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذى يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذى لايدرى من رماه (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قدغلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين اخرجه ابو داود والنسائى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر احرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود ✱ قوله تعالى (افمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) اى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضى للعقوبة وهو من الله انزل العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه

او الفناء فى الله (ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) اى يجعل غل اعناقهم وسبب تقيدهم وحرمانهم عن روح الله ورحمته وموجب هوانهم وحجابهم عن نور جماله لمحبتهم له وتعلقهم به (ولله ميراث السموات والارض) من

يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعنى النار او المتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعنى هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعنى من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير فى قوله هم درجات عائد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير فى قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه * قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لايكون الامن الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حى من احياء العرب الاوقد ولدوه وله فيهم نسب الابنى تغلب فانهم كانوا نصارى وقد تبتواعلى النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى مايخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابوطالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معدوعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبدالله لايوزن به فتى الارجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلوا عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى السماوى (ويزكيهم) اى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على

النفوس وصفاتها كالقوى والقدر والعلوم والاموال وكل ما ينطبق عليه اسم الوجود فمالهم يبخلون بماله عنه (والله بما تعملون خبير قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت

لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعنى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عيا لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فهدا هم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ❊ قوله تعالى (اولما اصابتكم مصيبة) يعنى ما اصابهم يوم احد (قد اصبتم مثليها) يعنى ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم فى اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم انى هذا) اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند انفسكم) يعنى انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة فى المدينة على الخروج الى العدو واختار وهم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة فى الموضع الذى عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلمانى عن على بن ابى طالب قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ماصنع قومك فى اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر لم يسنده البغوى واسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعنى بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ❊ قوله عز وجل (وما اصابكم) يعنى من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد (فباذن الله) يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولاتقع التسلية الا اذا علموا الان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) اى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمنافق هو الذى اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامى لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا) المقول له عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد فى الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبدالله بن ابى ابن سلول بثلث الناس وقال ماندرى علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم

ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم) (ان كنتم صادقين) روى ان انبياء بنى اسرائيل كانت معجزتهم ان يأتوا بقربان

جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصارى اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اى لاجل دين الله وطاعته اوادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ماتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ اقرب منهم للايمان) اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله اعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق واصحابه وفى المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم فى النسب لافى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبدالله بن ابى واصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لو اطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوالانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى قل لهم يا محمد (فادرؤا) اى فادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لاينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى شهداء احد ويدل على ذلك ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنة لئلا يزهدوا فى الجنة ولاينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية آخرجه ابوداود (م) عن مسروق قال سألنا عبدالله عن هذه الآية ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا اى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما

فيدعوا الله فتأتى نار من السماء تأكله وتأويله ان يأتوا بنفوسهم يتقربون بها الى الله وبه عون الله بالزهد والعبادة تأتى نارا لعشق من سماء الروح تأكله وتفنيه فى الوحدة فبعد ذلك صحت نبوتهم وظهرت فسمع به عوام بنى اسرائيل فاعتقدوا ظاهره

رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا واجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا * ذكر مايتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبدالله كذا جاء عبدالله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبدالله بن عمرو قد ذكره ابو مسعود الدمشقى والحميدى فى مسنده عن عبدالله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لاتفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسئ يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم فى جوف طير خضر اى يجعل الله ارواح الشهداء فى جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل فى جوف طير فتسرح فى الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها فى الصور الحسان المرفهة وتعذيبها فى الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما فى هذا القول من ابطال ماجاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء فى بعض روايات هذا الحديث مايرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعنى يحيى جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالى اراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد ابى يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقى الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدى تمن على اعطيك قال رب تحيينى فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق من انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت فى شهداء بئر معونة وهى بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال انى لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بماله فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة ابن اسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى

وان كان ممكنا من عالم القدرة فاقترحوا على كل نبى تلك الآية كانوهموا من اقراض الله الذى هو بذل المال فى سبيل الله بالانفاق لاستيفاء

ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل
في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة انى رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله
ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق
الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين
فابوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لا نخفر ابا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ
عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم
في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد
فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم
عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما
الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم
واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول
الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن
عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمري اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر
اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن
امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن
الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان ممن اصيب
عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه ان
عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى
رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي براء ان عامر بن
الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن
الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان
عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد
من عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن
انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين
راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على
بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه آخر معه فاخبر جبريل

الثواب وبذل الافضال
والصفات بالمحو في السلوك
لاستبدال صفات الحق وافعاله
وتحصيل مقام الابدال فقر
الحق وغناهم اوكابروا
الانبياء في الموضعين بعدما
فهموا (ان كنتم صادقين فان
كذبوك فقد كذب رسل من
قبلك جاؤا بالبينات والزبر

عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قدلقوا ربهم فرضى عنهم وارضاهم قال فكنا نقرا ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان وبنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروابهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال انس فقرانا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا فى القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اى ولاتظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لايظنن ظان ان الذين قتلوا فى سبيل الله اموات يعنى كاموات غيرهم ممن لم يقتل فى سبيل الله (بل احياء) اى بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل فى سبيل حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احياء فى الآخرة اويكون المراد انهم احياء فى الحال وعلى تقدير انهم احياء فى الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه فى معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احياء فى الاخرة قال معنى الآية بل هم احياء فى الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا فى سبيل الله وقيل بل هم احياء فى الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة فى الحال بقوله بل احياء يعنى فى حال مايقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثانى واختلفوا فى معنى هذه الحياة هل هى للروح اوللجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لايبلى فى قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى انه لما اراد معاوية ان يجرى الماء على قبور الشهداء امر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوى بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لايسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه ❁ وقوله تعالى (عند ربهم)

والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن

يعنى فى محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم (ويستبشرون) اى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد فاخبرهم الله عز وجل انى قد انزلت على نبيى محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ان لا خوف عليهم) يعنى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الثانى لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) يعنى كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع اجر المؤمنين

﴿ فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله ﴾ (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذى عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله او نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون زعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابو داود والنسائى واخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين (ق) عن ابى سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس

الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون

فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شئ الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذى والنسائى نحوه عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من اهل بيته اخرجه ابو دود * قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابى كان خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى اوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان فى سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال (ق) عن عائشة فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختى كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب فى اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولو ددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا

بما اتوا) اى يعجبوا بما فعلوا من طاعة وايثار وكل حسنة من الحسنات ويحبون رؤيته (ويحبون ان يحمدوا) اى يحمدهم الناس فهم محبوبون بعرض الحمد والثناء من الناس او ان يكونوا محمودين فى نفس الامر عند الله (بما لم

وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ماتقول قال والله ماارى ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله انى انهاك عن ذلك فوالله لقد حلنى مارأيت على ان قلت ابياتا قال وماقلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذسالت الارض بالجرد الابابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكمو * اذ تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وحش يقابله * وليس يوصف ماانذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحمل لكم آبالكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان اباسفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يامحمد موعد مابيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابوسفيان فى اهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب فى قلبه فبداله الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يانعيم انى قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الاعام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدالى ان لااخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولااخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا فى جمع كثير لاطاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يااباه يزيدا تضمن لى هذه القلائص وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابى سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لايفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قدجمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق

يفعلوا) بل فعله الله على ايديهم اذلا فعل الا الله والله خلقكم وما تعملون (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فائزين من عذاب الحرمان (ولهم عذاب اليم) لمكان استعداد هم واحتجابهم بافعالهم وكان من حقهم ان ينسبوا الفضيلة والفعل الجميل الى الله ويتبرؤا من حولهم وقوتهم اليه ولا يحتجبوا برؤية الفعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا الله واطاعوه فى جميع أو امره واطاعوا الرسول ايضا (من بعد ما اصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من الم الجراح (للذين احسنوا منهم واتقوا) يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصية والتخلف عنه (اجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة ❊ قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفى المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثانى ان المراد بالناس الركب مع عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابى سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى دياركم فقتلوا الا كثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) اى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافينا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع ورى * اى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل باموره كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ❊ قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) اى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا ❊ قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك فى افواههم ليرهبوا المؤمنين

(ويخوفوهم)

من انفسهم ولا يتوقوا به المدح والثناء (ولله ملك السموات والارض) ليس لاحد فيها شئ حتى يعطى غيره فيعجب بعطائه (والله على كل شئ قدير) لا يقدر غيره على فعل ما حتى يعجب برؤيته فيفرح به فرح اعجاب (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله)

ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يامعشر المؤمنين باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لايخافون الشيطان اذا خوفهم ولايطيعونه اذا امرهم (فلاتخافوهم) يعني فلاتخافوا اولياء الشيطان ولاتقعدوا من قتالهم ولاتجبنوا عنهم (وخافون) اى فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بوعدي انى متكفل لكم بالنصر والظفر * قوله تعالى (ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر) قيل هم كفار قريش هم وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولايحزنك يامحمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لايحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة الكفار فلايحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيأ (يريد الله الايجعل) بمسارعتهم (لهم حظا في الآخرة) يعني لايجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كما يفعل المشترى من اعطاء شئ واخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعني باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (ولاتحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرا بالتاء فمعناه ولاتحسبن يامحمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرا بالياء قال معناه ولاتحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير (انما نملي لهم) الاملاء الامهال والتأخير واصله من الملاوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولايظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء في الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) يعني انما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعني في الآخرة روى البغوى بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبد الله مامن نفس برة ولافاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولاتحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وماعند الله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من اهل العلم انزل الله عز وجل هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه انهم لايؤمنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايؤمنون ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويملي لهم ليزدادوا كفرا واثما وبغيا * قوله تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين

في جميع الاحوال وعلى جميع الهيئات (قياما) في مقام الروح بالمشاهدة (وقعودا) في محل القلب بالمكاشفة (وعلى جنوبهم) اى تقلباتهم في مكان النفس بالمجاهدة (ويتفكرون) بالبابهم اى عقولهم الخالصة عن شوب الوهم (في خلق السموات والارض) عالم الارواح والاجساد يقولون عند الشهود (ربنا

على ماانتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يامحمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لايؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه ومايعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال مابال اقوام طعنوا فى علمى لاتسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمى فقال من ابى يارسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ماكان الله ليذر المؤمنين على ماانتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماكان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ماانتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافق يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا اظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ماكان الله ليذر المؤمنين فى اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ماكان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يامحمد اخبرنا عمن يؤمن بك ومن لايؤمن والمعنى وماكان الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافرا ومنافق لانه لايعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه لايطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل فى معنى الآية وماكان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء ويطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعنى انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ما خلقت هذا) الخلق (باطلا) اى شيأ غيرك فان غير الحق هو الباطل بل جعلته اسمائك ومظاهر صفاتك (سبحانك) ننزهك ان يوجد غيرك اى يقارن شئ فردانيتك او يثنى وحدانيتك (فقنا عذاب النار) نار الاحتجاب بالاكوان عن افعالك وبالافعال عن صفاتك وبالصفات عن ذاتك وقاية

وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا اقر بجميع الرسول كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ماشاء من غيبي واعلمه بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه (فلكم اجر عظيم) يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبدالله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في اخبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره * وقوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكوة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السود اوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان تكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزميته بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان في اصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ

مطلقة تامة كافية (ربنا انك من تدخل النار) بالحرمان (فقد اخزيته) بوجود البقية التي كلها ذل وعار وشار (وما للظالمين) الذين اشركوا برؤية الغير مطلقا اوالبقية (من انصار ربنا اننا سمعنا) باسماع قلوبنا (مناديا) من اسرارنا التي هي شاطئ وادي الروح الايمن (ينادي للايمان) الى الايمان

مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في اعناقهم الطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم * قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله مافيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فمالهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بماكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما يعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات هي ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عزوجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اسيع فقال ابوبكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عندالله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص ياابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا ومايستقرض الا الفقير من الغني فان كان ماتقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء فغضب ابوبكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك ياعدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد انظر ماصنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ماحملك على ماصنعت فقال يارسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولايخلو ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول اوقالوها استهزاء وايما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لاتصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ماقالوا) يعني قولهم ان الله

العياني (ان آمنوا بربكم فآمنا) اي شاهدوا ربكم فشاهدنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) ذنوب صفاتنا بصفاتك (وكفر عنا سيئاتنا) سيئات افعالنا برؤية افعالك (وتوفنا مع الابرار) عن ذواتنا في صحبة الابرار من الابدال الذين توفاهم بذاتك عن ذواتهم لا الابرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين

فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ماقالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ماقال هؤلاء اليهود ونكتب مافعله اسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ماقالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ماوصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ماارتكبوه من العظائم انهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لايبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) اى ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) اى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت ايديكم) انما ذكر الايدى على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن * قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب من اليهود اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه (ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدى انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاى معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل مايتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لاتحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ولها دوى وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول

بالكلية (ربنا وآتنا ماوعدتنا على) اتباع (رسلك) او محمولا على رسلك من البقاء بعد الفناء والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التوحيد (ولاتخزنا يوم القيامة) الكبرى ووقت بروز الخلق لله الواحد القهار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة وبالجمع عن التفصيل (انك لاتخلف

واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل ناروقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عزوجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عزوجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم يعني يامعشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ماطلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيي وسائر من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يامحمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) اي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل ❁ قوله عزوجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولابد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يارسول الله انما نزلت في بني آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عزوجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها مااخذ منها فما احد يموت الاويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لاتذوق الموت فاحكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لاتقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون اجوركم) يعني توفون جزاء اعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر بذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل مااستمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور مايغر الانسان مما لايدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعلموا فيه بطاعة الله مااستطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فامامن اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ماهو خير منها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل اعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرة

الميعاد) فتبقى مقاما وراء نالم نصل اليه (فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر) القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والكشف (اوانثى) النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات (بعضكم من بعض) يجمعكم اصل واحد

اعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي، وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (في اموالكم) يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق (وانفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اي شئ يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني اترهنني نساءكم قال انت اجمل العرب اترهنك نساءنا فقال له ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته اني لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد رضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف امد يدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتأذن لي ان اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف عليه اسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا واوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس بجرح في رأسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا واصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من

وحقيقة واحدهي الروح الانسانية اي بعضكم منشأ من بعض فلا اثيب بعضكم واحرم بعضا (فالذين هاجروا) عن اوطانهم الوفات النفس (واخرجوا من ديارهم) ديار صفاتها اوهاجروا من احوالهم التي التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التي يسكنون اليها (واوذوا في سبيلي)

رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل في شأن كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فان ذلك من عزم الامور) اي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به ۞ قوله تعالى (واذ اخذ الله) اي واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعني لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا تكتمونه) يعني ولا تخفون ذلك على الناس (فنبذوه) يعني الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) اي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت اريد ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا ۞ قوله عز وجل (لا تحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب اي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن

اي ابتلوا في سبيل سلوك افعالي بالبلايا والمحن والشدائد والفتن ليغترفوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل في سبيل سلوك صفاتي بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى الرضا (وقاتلوا) البقية بالجهاد في (وقتلوا) وافنوا في بالكلية (لأكفرن عنهم سيآتهم) كلها من الصغائر

حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ماسألهم عنه (بما اتوا) يعنى يفرحون بما فعلوا (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) اى ويحبون ان يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اى يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود فى الارض كلها ان محمدا ليس بنبى فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك فى قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) اى فلا تظنهم بنجاة من العذاب الذى اعده الله لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت فى اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك ✽ قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم ✽ قوله عز وجل (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما فى الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكى تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون ارزاقكم فى النهار وتسكنون فى الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولى الالباب يعنى ياذوى العقول الصافية يعنى الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المؤمنين وهى خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ

والكبائر اى سيآت بقاياهم (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) الجنات الثلاثة المذكورة (ثوابا) اى عوضا لما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة (والله عنده حسن الثواب) اى لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذى لا يبقى منه شئ ولهذا قال والله لانه الاسم الجامع لجميع الصفات

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن وضوأه ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ماصنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى واخذ باذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفى رواية فقمت عن يساره فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكره * قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على بن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون قياما فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لايتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذى وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب ان يصلى على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل فى كل احيانه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لايذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لايذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هى هاهنا التبعة * وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة متطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيماله صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون فى خلق السموات والارض وماابدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظيم آثاره وافعاله تدل على عظيم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وماجليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) اى ويقولون ربنا وقيل معناه يتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا (ماخلقت هذا باطلا) يعنى عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن ان تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعنى انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار

فلم يحسن ان يقول والرحمن فى هذا الموضع او اسم آخر غير اسم الذات (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) اى حجبوا عن التوحيد الذى هو دين الحق فى المقامات والاحوال (متاع قليل) اى هو يعنى الاحتجاب بالمقامات والتقلب فيها تمتع قليل (ثم مأواهم جهنم) الحرمان (وبئس المهاد لكن الذين

تعليم عباده كيفية الدعاء لمن اراد ان يدعو فليقدم الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء
يأتى بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) اى اهنته واذللته
وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت فى ايذائه والخزى ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان
وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزى الله النبى والذين
آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمؤمن
لا يخزى قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها احدها ماروى عن انس فى تفسير قوله تعالى انك من تدخل
النار فقد اخزيته قال من يخلد وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لا يخرج منها وهذا
الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار لا على مذهب المعتزلة
فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد اخزيته الوجه
الثانى فى الجواب ان المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية
على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ماروى عن عمرو بن دينار قال قدم
علينا جابر بن عبدالله فى عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار
ابن جرير الطبرى لان من ادخل النار فقد اخزى بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك
الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانبارى حمل الآية على العموم اولى من نقلها
الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث فى الجواب ماقاله اهل المعانى وهو ان الخزى
يحتمل معانى منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزى خزاية اذا
استحيى واذا عمل يستحيى منه ويخجل فيكون خزى المؤمن الذى يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله
النار الى ان يخرج منها وخزى الكافر الهلاك بالخلود فى النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء
مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله فى طرف النفى والاثبات على معنييه جميعا
وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع فى الجواب وهو الذى اختاره الفخر الرازى وصححه ان قوله تعالى
يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه لا يقتضى نفى الاخزاء مطلقا وانما يقتضى ان لا يحصل الاخزاء
حال مايكونون مع النبى وهذا النفى لا يناقضه اثبات الاخزاء فى الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات فى
وقت آخر والله اعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها
(من انصار) يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادى للايمان) قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا
قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى المنادى هو
القرآن قال اذ ليس كل احد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن
ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى
وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها واللام فى للايمان بمعنى الى يعنى
ينادى الى الايمان (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائر
ذنوبنا (وكفر عنا سيآتنا) اى صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك
التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح فى الدعاء والمبالغة فيه مندوب
اليه وقيل معناه اغفر لنا ماتقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا فى المستقبل وقيل يريد بالغفران

اتقوا ربهم لهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها)
من المؤمنين اى مقدرين
الخلود فيها اذا دخلوها (نزلا) هو
ما يعد للضيف ونصبه على الحال
(من عندالله وما عندالله خير
للابرار * وان من اهل
الكتاب) اى المصوبين عن
التوحيد والمذكورين بصفة
التقلب فى الاحوال والمقامات
(لمن يؤمن بالله) اى يتحقق

مايزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير مايكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعنى فى جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون فى درجتهم يوم القيامه وقيل توفنا فى جملة اتباعهم واشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعنى على السنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذى هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم تلك الكرامة فسألوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعنى ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا فى ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذ وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا فى الخزى وهو الهلاك ولا يحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة فى موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) * قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعنى اجاب دعاءهم واعطاهم ما سألوه (انى) اى وقال لهم انى (لا اضيع عمل عامل منكم) يعنى لا احبط عملكم ايها المؤمنون بل اثيبكم عليه (من ذكر او انثى) يعنى لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله ما اسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشئ فانزل الله تعالى انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذى وغيره * وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعنى فى الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعنى على خلقى وسيرتى وقيل ان الرجال والنساء فى الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) يعنى المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى فى سبيلى فى طاعتى ودينى وابتغاء مرضاتى وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعنى وقاتلوا العدو واستشهدوا فى جهاد الكفار (لاكفرن عنهم سيآتهم) يعنى لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعنى ذلك الذى اعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذى اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

بالتوحيد الذاتى (وما انزل اليكم) من علم التوحيد والاستقامة (وما انزل اليهم) من علم المبدا والمعاد (خاشعين لله) قابلين لتجلى الذات (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) التى هى تجليات صفاته وثمن لبقية الموصوف بالقلة (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) من الجنان المذكورة (ان الله سريع الحساب)

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا واوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى واوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) اى ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعنى مصيرهم فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) اى وبئس الفراش هى * قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) اى جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لا ينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل والنعمة التى اعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى * قوله عز وجل (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم) قال ابن عباس نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى

يحاسبهم ويجازيهم فيعاقب على بقايا من بقى منهم شئ او يثيب بنفى البقايا على حسب درجاتهم فى المواطن الثلاثة (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) لله (وصابروا) مع الله (ورابطوا) بالله اى اصبروا فى مقام النفس بالمجاهدة وصابروا فى مقام القلب مع سطوات تجليات صفات الجلال بالمكاشفة ورابطوا

الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعل غيرهم من رؤساء اليهود (اولئك) اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب (لهم اجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب* قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني داوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

في مقام الروح ذواتكم بالمشاهدة حتى لا يغلبكم فترة اوغفلة اوغيبة بالتلوينات (واتقوا الله لعلكم تفلحون) في مقام الصبر عن المخالفة والرياء وفي المصابرة عن الاعتراض والامتلاء وفي المرابطة عن البقية والجفاء لكي تفلحوا الفلاح الحقيق السرمدي الذي لا فلاح وراءه ان شاء الله

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن

فهرس الجزء الأول من المجلد الأول الخاص بتفسير ابن عربي